أدَب وفَن كِتابَةِ القِصَة

كيف تصبح كاتب قصة ؟

يَحيَى الصُّوفي

الكتاب: أدِب وفِن كِتابِةِ القِصِة

المؤلف: يِحيِى الصُّوفي

رقم الإيداع: ١٣٧١٨ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: 978-977-493-802-3
الطبعة: الأولى / ٢٠٢٤

الناشر
شمس للنشر والإعلام
ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)
www.shams-group.net
shams@shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يُسمح بطبع أو نشر أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هَذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

أدَب وفَن كِتابَةِ القِصَةِ

كيف تصبح كاتب قصة؟

يَحيَى الصُّوفى

يَحيَى الصُّوفِي

إهـداء

إلى مُحبي الحرف

وعُشَّاق الكلمة والجُملة والسرد

أهدي كتابي

المؤلف

محتويات الكتاب

- مقدمة ١١
- تمهيد ١٥
- الجزء الأول: كل شيء حول القصة ١٩
- الفصل الأول: ما هي القصة؟ ٢٣
- الفصل الثاني: كيف بدأت القصة؟ ٢٧
- الفصل الثالث: القصة وما يشبهها من السرد ٣٣
- الفصل الرابع: إلى ماذا أحتاج لكتابة قصة؟ ٣٧
- الفصل الخامس: من أين أبدأ بكتابة قصة؟ ٤٦
- الفصل السادس: كيف أكتب قصة؟ ٥٤
- الفصل السابع: لماذا أكتب؟ ٦٢
- الفصل الثامن: لمن أكتب؟ ٧١
- الفصل التاسع: في أي موضوع أكتب؟ ٨١
- الفصل العاشر: ما هي البلاغة؟ ٩١
- الفصل الحادي عشر: ما هي الثقافة؟ ٩٨
- الفصل الثاني عشر: أي الكُتب أُطالع؟ ١١٢

• الجزء الثاني: أدوات وإشارات ورموز ١٢٥
- الفصل الثالث عشر: علامات الترقيم ١٢٩
- الفصل الرابع عشر: كتابة الهمزة ١٤٨
- الفصل الخامس عشر: قواعد كتابة الأعداد ١٥٣
- الفصل السادس عشر: أخطاء لغوية شائعة ١٦٥

• الجزء الثالث: مقالات أدبية ذات صلة ١٧٩
- الفصل السابع عشر: الموهبة ١٨٣
- الفصل الثامن عشر: الإلهام ١٨٧
- الفصل التاسع عشر: التقمُص ١٩٣
- الفصل العشرون: هيبة الكاتب ١٩٦
- الفصل الواحد والعشرون: قِلة القراءة لماذا؟ ٢٠٢
- الفصل الثاني والعشرون: جودة الأدب والمطالعة ٢٠٦
- الفصل الثالث والعشرون: الكاتب والأخطاء الإملائية ٢١٢
- الفصل الرابع والعشرون: أدب الإنترنت ٢١٨
- الفصل الخامس والعشرون: نشر الكتب إلكترونيًا ... ٢٢٣
- الفصل السادس والعشرون: الأدب النسائي ٢٢٨

• المؤلف في سطور ٢٣٧

غالبًا ما تبدأ تجربتنا الإبداعية في المراحل الأولى لتعرُفنا على الحرف... بالاقتباس...

الاقتباس من أعمال لكبار الأدباء والشُّعراء، يُعبِّر عن الحالة التي نعيشها...

ثم نبدأ بإضافة بعضًا مما نعتبره حالةً خاصةً جدًا بنا، لم تستطع الكلمات المقتبسة التعبير عنها...

وهكذا... وكطفلٍ صغيرٍ يتدرَّب على النطق، ثم الكلام، فالمشي... تُولِد أفكارنا ومشاعرنا من رحِم تجربتنا الخاصة...

وتبدأ تعابيرنا تأخذ مكانها شيئًا فشيئًا لتحتل الصفحة بكاملها... وتطرد فيما بعد كل غريب عنها، مهما بلغت فصاحته وعلا شأنه.

لقد وُلِد النص... ووُلِد معه الكاتب صاحب النص.

يَحيَى الصُّوفي

باريس – ٢٠٢٤

مقدمة

هذا الكتاب أحببته أن يكون جوابًا، على العديد من الأسئلة التي وصلتني، من قِبل بعض المهتمين، حول ماهية القصة وطريقة كتابتها...

وكأي مخطوط أبدعت رسم سطوره، ريشة فنان عشق الحرف والكلمة، ليهدي لمُحبي فكّ طلاسم فن الكتابة الأدبية، ما يحتاجه من أدوات لإتقانها، والتمكُن من خفاياها، حرصتُ على أن تأخذكم فصوله الستة والعشرون، في جولة ممتعة سلسلة، لتتبع آثار تاريخ فن الكتابة الأدبية السردية على اختلاف أنواعها، وكخبير ماهر لا يترك أي من التفاصيل، مهما كانت صغيرة للصدفة، بل يضعها جميعها تحت مجهره، ليعمل فيها تدقيقًا وتمحيصًا في مفرداتها ومعانيها... وصولاً إلى مصادرها التاريخية الموثوقة... معرجًا دون تردد، إلى رحاب ثقافة عربية أصيلة غنية المضمون، تتناول كل ما يمكن لكاتب شغوف بالكتابة والتأليف، العثور عليه من أجوبة، قد تكون شغلت ذهنه، دون أن يجد جوابًا شافيًا لها.

وكأي باحث دارس أحب ما أقوم به من عمل، مهما كان نوعه، وأُخلص له، ولا أشتغل به إلا إذا كنت واثقًا بأنني سأنجزه، وهو على قدر كبير من الكمال، أحببتُ أن تكون فصول هذا الكتاب، أقرب ما تكون إلى الرواية النثرية، والقص الأدبي،

أتناول وبأسلوبي المميز الأسئلة التي من الممكن أن تُطرح حولها، وأجيب عليها آخذًا بعين الاعتبار، كل ما كُتب عنها بإيجاز كبير، حتى تتحقق المتعة والفائدة معًا... حيث قمت بمراجعة عشرات الكتب والوثائق والمنشورات، خاصةً تلك التي تتعلق بمواضيع مهمة وحساسة جدًا بالنسبة للكاتب المبتدئ، تطال الجزء الثاني من الكتاب، والذي يضم أربعة فصول تتناول (علامات الترقيم، كتابة الهمزة، كتابة الأعداد، وأخطاء لغوية شائعة)، لأخرج بدراسات مختصرة مفيدة، تقدم للمهتمين خدمة جليلة، تغنيهم عن مراجعة ومطالعة عشرات الكتب... وهو ما يعطي لهذا الكتاب قوته وحيويته وديمومته.

لا أخفي عليكم أيضًا: بأنني كنت أقوم بين الفينة والأخرى وعن قصد، بإعادة التذكير ببعض التعريفات والشروح المتعلقة بموضوعات سبق التطرق إليها... وإضافة بعض المعلومات العامة حول بعض الأسماء والمصطلحات، التي تمر أثناء تعريفي أو شرحي لبعض المواضيع المتعلقة بفصول الكتاب، بشكل رشيق وممتع، قد لا ينتبه إليه القارئ... وفي أحيان كثيرة... كنت أتوسع بها لتشكل هي بذاتها فصلاً إضافيًا أكثر إثارة من الموضوع ذاته.

بالإضافة إلى إيراد مقاطع من مقالات، كانت قد كتبت لشرح -باستفاضة وتشويق- بعض المفردات والمعاني التي تحتاج للشرح، مثل الموهبة والإلهام والتقمص الخ ... وذكر أسماء بعض كبار الكتاب العرب في القرنيين الماضيين،

خاصة أولئك الذين لعبوا دورًا مهمًا في عصر النهضة العربية (عصر التنوير)، وفي مقارعة الاستعمار، وفضح الأنظمة الاستبدادية العربية، وذلك بهدف إثراء معرفة ولغة القارئ، ومده بالمعلومات اللازمة حولها، لتكوين حد أدنى من الثقافة، وتوفير الكثير من الجهد والوقت عليه.

هذا طبعًا مع اهتمامي بالجزء الثالث والأخير من هذا الكتاب، بإضافة بعض من مقالاتي، وعددها عشرة مقالات ذات صلة بموضوع الكتاب، تتحدث وتتناول موضوع الموهبة والإلهام والتقمُص، وهيبة الكاتب، ومشاكل الكتابة والنشر الإلكتروني... الخ.

وهو يتبع ـ أي الكتاب- مجموعة من أعمالي الأدبية المتنوعة، تضم فيما تضم، بالإضافة للدراسات الأدبية، الرواية والقصة (منها إصدارات موجهة للطفل والناشئة)، الشعر، المسرح، الخاطرة والمقالة، أدب المراسلات والسيرة.

يَحيَى الصُّوفي

باريس - ٢٠٢٤

تـمـهـيـد

أدَب وفَن كِتابَةِ القِصَةِ
كيف تُصبح كاتب قصة؟

تسهيلاً لمتابعة ومراجعة مواد الكتاب، بفصوله الستة والعشرين، قمت بتوزيعها إلى ثلاثة أجزاء، هي كالتالي:

الجزء الأول: ويضم الفصول الاثني عشر، الخاصة بتعريف تاريخ القصة ونشأتها، والفرق بينها وبين مثيلاتها من السرد، كالخبر والحكاية والرواية والمسرح... الخ، وطريقة كتابتها، والهدف من كتابتها، وما يحتاجه الكاتب لصقل موهبته.

هذه الفصول، تم ترتيبها تحت عناوين رئيسة أربعة، كل منها يضم ثلاثة عناوين فرعية، وهي كالتالي:

العنوان الأول: كل شيء حول القصة
- الفصل الأول: ما هي القصة؟
- الفصل الثاني: كيف بدأت القصة؟
- الفصل الثالث: القصة وما يشبهها من السرد

العنوان الثاني: كيف أصبح كاتب قصة؟
- الفصل الرابع: إلى ماذا أحتاج لكتابة قصة؟
- الفصل الخامس: من أين أبدأ كتابة قصة؟
- الفصل السادس: كيف أكتب قصة؟

العنوان الثالث: ما هو هدفي من كتابة القصة؟
- الفصل السابع: لماذا أكتب؟
- الفصل الثامن: لِمَن أكتب؟
- الفصل التاسع: في أي موضوع أكتب؟

العنوان الرابع: كيف أصقل موهبتي؟
- الفصل العاشر: ما هي البلاغة؟
- الفصل الحادي عشر: ما هي الثقافة؟
- الفصل الثاني عشر: أي الكُتب أُطالع؟

الجزء الثاني: ويضم أهم ما يحتاجه الكاتب الناشئ من أدوات ومعلومات، للحصول على نص سليم خالٍ من الأخطاء، وهو يضم أربعة فصول، تحت عنوان:

أدوات وإشارات ورموز.

- الفصل الثالث عشر: علامات الترقيم
- الفصل الرابع عشر: كتابة الهمزة
- الفصل الخامس عشر: الأعداد
- الفصل السادس عشر: أخطاء لغوية شائعة

الجزء الثالث: ويضم مجموعة من المقالات التي كنت قد كتبتها على فترات مختلفة تهتم بمواضيع ذات صلة بالكتابة والثقافة والنشر، وهو يضم عشرة فصول، تحت عنوان: مقالات أدبية.

- الفصل السابع عشر: الموهبة

- الفصل الثامن عشر: الإلهام
- الفصل التاسع عشر: التقمُّص
- الفصل العشرون: هيبة الكاتب
- الفصل الواحد والعشرون: قلة القراءة لماذا؟
- الفصل الثاني والعشرون: جودة الأدب ومصير المطالعة
- الفصل الثالث والعشرون: الكاتب والأخطاء الإملائية
- الفصل الرابع والعشرون: أدب الإنترنت
- الفصل الخامس والعشرون: نشر الكتب إلكترونيًا
- الفصل السادس والعشرون: الأدب النسائي في الوطن العربي

أرجو أن أكون قد وُفِقت.

الجُزء الأول

كُل شيء حول القصة

يضم هذا الجزء الفصول الاثني عشر، الخاصة بتعريف تاريخ القصة ونشأتها، والفرق بينها وبين مثيلاتها من السرد، كالخبر والحكاية والرواية والمسرح... الخ، وطريقة كتابتها، والهدف من كتابتها، وما يحتاجه الكاتب لصقل موهبته.

هذه الفصول، تم ترتيبها تحت عناوين رئيسية أربعة، كل واحدة منها تضم ثلاثة عناوين فرعية، وهي كالتالي:

العنوان الأول: كل شيء حول القصة

- الفصل الأول: ما هي القصة؟
- الفصل الثاني: كيف بدأت القصة؟
- الفصل الثالث: القصة وما يشبهها من السرد

العنوان الثاني: كيف أصبح كاتب قصة؟

- الفصل الرابع: إلى ماذا أحتاج لكتابتها؟
- الفصل الخامس: من أين أبدأ؟
- الفصل السادس: كيف أكتب قصة؟

العنوان الثالث: ما هو هدفي من كتابة القصة؟

- الفصل السابع: لماذا أكتب؟
- الفصل الثامن: لمن أكتب؟
- الفصل التاسع: في أي موضوع أكتب؟

العنوان الرابع: كيف أصقل موهبتي؟

- الفصل العاشر: ما هي البلاغة؟
- الفصل الحادي عشر: ما هي الثقافة؟
- الفصل الثاني عشر: أي الكُتب أُطالع؟

الفصل الأول

كل شيء حول القصة / ١

ما هي القصة ؟

أبدأ بسؤالي التالي: حول ماهية القصة وكيف بدأت؟

وأجيب:

كثُرت الأحاديث حول نشأة القصة العربية وأول من كتبها. فمنهم من أعاد القصة إلى أصول قديمة قِدم الحضارات السامية، كالبابلية والسومرية والكلدانية والآشورية وحتى الفرعونية، عبر مخطوطات وكتابات كثيرة عثر عليها.

وأنا لا أحبذ هذه الفكرة، ولا أعتبرها صحيحة البتة لتأريخ القصة العربية وبداية لظهورها، لأن المتعارف عليه على أنه عربي، هو ما نُقل وقُصّ وتداول وكُتِب باللغة العربية التي نعرفها. وكون العرب في بداية ظهور لسانهم، واستخدامهم له وتدوينه في أشعارهم، ابتداءً من العصر الجاهلي، فأنا أحب اعتماد هذا العصر، كبداية لظهور وتأريخ الأدب العربي، شعرًا كان أم نثرًا. وأحبذ كثيرًا أن تكون فكرة القص وأدب القصة أو الرواية، موجودة ومتداولة لديهم، حتى وإن كانت منقولة أو مكتوبة شعرًا (على عادة العرب في تداول وحفظ ونقل كتابتهم بالتواتر، قبل النسخ وظهور المعلقات).

أنا أعتبر بأن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - هو رائد وأب القصة العربية بلا منازع، وأن القرآن الكريم، هو أول كتاب يجمع بين صفحاته، أروع وأجمل وأكمل ما كتب من

القصص في اللغة العربية على الإطلاق. وكون العرب يجهلون القصة والرواية المكتوبة كنص، اعتبروا القرآن في أول ظهوره شعرًا، وحاول المفسدون منهم العبث بآياته وقصصه بتقليده سجعًا وفشلوا (قصة الفيل).

بعدها ومع ازدهار الحضارة العربية (بفضل الإسلام) وانتشارها واحتكاكها بالحضارات المجاورة لها، بدأت الحكاية والقصة والرواية الشعبية، تأخذ لها طريقًا للظهور عبر النقل أحيانًا (ككليلة ودمنة وألف ليلة وليلة) أو التأليف مثل (التبر المَسبوك) للغزالي، أو (سراج الملوك) للطرطوشي، أو (المقامات) لأبي البديع الهمذاني.

هذا لا يعني بتاتًا بأن القصة لم تكن موجودة من قبل، بل كانت محكية ومتداولة شعرًا أو نثرًا تعتمد السجع، وتناسق اللحن وتوافق نهايات الجُمل.

وإلى زمن قريب كانت التربية عبر القص، تعتمد في أساسها على الشعر (وربما لازالت موجودة في بعض البلاد العربية). وأنا لازلت أذكر إلى اليوم، كيف كانت والدتي (رحمها الله) تؤدبنا وتربينا وتعطنا المثل الصالح لتعاملنا مع الغير شعرًا (بحكم تواصلها مع والدي، وتداول هذا الأخير للخبر شعرًا، مع محيطيه من العرب «البدو» الوافدين إليه بحكم عمله)، فإذا ما أحبت أن تنهني عن أمرٍ ما وتنصحني بغيرة، ذكرت لي بيتًا من الشعر، وإذا ما أحبت أن تشكي همًا أو تندب حظًا أو تعترض على أي أمر من أمور الدنيا، ذكرته شعرًا... وهكذا... فهي تستطيع وبطريقة غير مباشرة، أن تغيظ أعدائها وتنتصر لنفسها، أو تعبِّر عن أمانيها أو حتى حنينها أو حُبها لزوجها شعرًا... وكنا نفهم بعضه ولا نفهم البعض الآخر، لأن للراوي

معانٍ يوصل منها ما يشاء، ويمنع عن السامع إذا أراد وبلكنة خفيفة ما يشاء.

وهكذا كانت القصة... أسمعها قصائد من الشعر الطويل، تلهب الخيال وتثير المشاعر، ولا تتركك إلا وأنت غارق بأحلامك، لا تستفيق منها إلا استجابة لدمعة دافئة تسخن وجنتيك، أو ابتسامة كبيرة تظهر ناجذيك.

أما إذا أحببنا أن نعود إلى القصة كقصة، (نوع أدبي مستقل عن المقامة أو الأمثال أو الرواية أو الشعر)، كما هو متعارف عليها الآن، فتاريخها قريب جدًا لا يتعدى المائة عام الماضية، وحالها كحال المسرح -رغم قِدمه- لم يعترف به ويؤرخ ككتابة مستقلة عن القصة والرواية إلا منذ سبعين عامًا.

وإلى زمن قريب جدًا كنت أقرأ لتوفيق الحكيم، فلا يذكر القص أو المسرح إلا بعبارات متلازمة (رواية مسرحية، قصة شعرية) وهي حال القصة القصيرة والقصيرة جدًا بمفهومها المعاصر (العربية منها)، فهي حديثة العهد جدًا ولازالت -حسب رأيي الشخصي- في طور التحسين والتكوين.

أما عن ماهية القصة (حسب اجتهادي وباختصار شديد):

فهي الحكاية والخبر المحبوك بدقة، ضمن شروط الزمان والمكان، تعتمد على سعة الخيال، ويكون لها معنى وهدف واضح... وأجودها، تلك التي تكون قادرة على تلبية المطالب الذهنية والنفسية والروحية للقارئ، وتستطيع من خلال سطورها أن تثير المشاعر على أنواعها، من كُره وحب، أو غضب وفرح، أو تساؤل واستفهام.

وخصائصها معروفة وشائعة وهي ثلاثة: المقدمة ووسط

الموضوع (العقدة، لحظة التنوير) والنهاية (الحل أو العِبرة منها).

وهي تنقسم من حيث المواضيع والأحداث، المراد معالجتها والكتابة حولها، إلى قسمين:

- قسم واقعي: تعتمد الأحداث فيها على الواقع (أي ما حدث فعلاً).

- قسم خيالي: تكون الأحداث فيها، من تأليف الكاتب وصُنع خياله.

وتكون في العادة على نوعين أيضًا:

- نوع متماسك: تكون القصة بعناصرها المعروفة، متماسكة من حيث المكان والزمان والأحداث والشخصيات.

- نوع مفكك: لا تعتمد القصة فيه على خط ثابت، وقد تتضمن عدة قصص غير مترابطة فيما بين شخصياتها وأحداثها وأزمنتها.

أما أدواتها: فهي أولاً وقبل كل شيء الكاتب الموهوب، وورقة وقلم (اللغة) وكتاب (الثقافة، البيئة).

وسأعود فيما يلي، للتحدث بتفصيل وشاعرية وكثير من الخيال.

الفصل الثاني
كل شيء حول القصة / ٢
كيف بدأت القصة ؟

قد يتساءل البعض: على ماذا أعتمد في أجوبتي على الأسئلة المطروحة؟... هل هو موثق وصحيح، ويمكن أن نأخذ به؟ أم مجرد رأي وفذلكة وكلام بكلام؟

وأجيب بصراحة شديدة: أنا أجتهد... كل ما تقرأونه هنا هو اجتهاد شخصي، تم استنتاجه بعد بحث وتدقيق ومراجعة ودرس. وقد عكفت منذ أن كنت صغيرًا، على إبداء رأيي وكتابة وطرح مشاعري باجتهاد شخصي محض، لا يعتمد في بعض الأحيان لا على دليل ولا برهان، إنه مجرد إحساس خارج عن إرادتي، بأنه يحتمل الصحة بمقدار حمله للخطأ!

وكنت أفرح عندما أكتشف بأن ما طرحته يومًا قد أكَّدته تجربة ما، أو دراسة أو خبر، واكتشافي ذاك، كان وسيلتي لتحديد حجم ما وصلتُ إليه من مستوى، وما اكتسبتُه من علم ومعرفة وثقافة.

وقد يتساءل البعض الآخر: وعلى ماذا يعتمد اجتهادي؟

وأجيب: صحة الاجتهاد تقوم بالعادة على امتلاك البراهين والدلائل. والدلائل تعتمد على البحث، والبحث يعتمد على الدراسات التي كتبت حول الموضوع المراد تأكيده، والدراسات تعتمد على الشواهد، والشواهد تعتمد على الأثر، والأثر أخيرًا، هو إما قول أو رمز أو خبر منقوش على حجر، وفي النهاية

يعود إلى من كتبه أو تركه أحد من البشر... والبشر ممن يتركون قولاً أو فعلاً أو رمزًا أو خبرًا، عليهم أن يؤكدوا معارفهم ويثبتوها بالتجربة، ويوثقوها بالبراهين... كقولنا الماء يتبخر.

إذًا الاجتهاد تقره النتائج، والنتائج إذا ما كانت صحيحة، تأخذ بها العامة لتصبح عُرفًا وقانونًا معترفًا به. ونحن نستشهد بأقوال العلماء والباحثين والدارسين، لثقتنا بعلمهم، وتأكدنا مما امتلكوه من معرفة وثقافة وخبرة بالبرهان، كالشهادة الجامعية أو الإجماع على صحة ما ذكر، أو أن يكون غير قابل للنقض بعدم توفر بديل، أو اعتماده على دين أو عقيدة كإيماننا بالله وبالملائكة واليوم الآخر.

وقد يُستشهد بكلامي يومًا إذا ما أصبحت معروفًا أو مشهورًا، ويؤخذ به، فعماد الاجتهاد هو الحق، والحق يعتمد على الرسالات السماوية، والرسالات السماوية من عند الله.

وعلى هذا فأجوبتي هي بمثال الورود والزهور، وكل ما تحتويه حديقة كبيرة من نضارة وفواكه وعصافير وفراشات وطيور، نختار منها ما نحب ونشتهي، وما يرضي فضولنا وعقولنا وقلوبنا من متعة، وما تحمله لنا من مسرة وحبور. وإن لم تحمل الفائدة المرجوة منها، فهي حتمًا لن تضر أو تجور.

أعود الآن للحديث عن القصة، وقد ذكرت بأنها (الحكاية والخبر المحبوك بدقة، ضمن شروط الزمان والمكان، وتعتمد على سعة الخيال، ويكون لها معنى وهدف واضح)...

ولكي أوضح أكثر: فإن القصة تبدأ دائمًا بخبر عن حادثة وقعت، نعبِّر عنه بما نملكه من وسائل للقص، كاللسان -إذا ما كانت القصة محكية- ويعتمد قوة القص والتأثير ونجاح القصة في جني ما نريده لها من اهتمام، عما نضيفه عليها من براعة في

التعبير، بتحريك الأيدي أحيانًا، أو بنظرات العيون نستشف منها الخوف أو الغضب، أو بتغيير نبرة الصوت، كاشفين فيما بين الشفاه عما ينذر بالحزن أو يدخل إلى القلب الفرح. وذلك بتطور الأحداث التي نقوم بسردها، معتمدين على ردة فعل المتلقي في إقرار وتأكيد لجملة هزت النفس، أو الاستغناء عنها إذا لم تفعل تأثيرها المطلوب فيهم، واستبدالها بغيرها، حتى نقع على الصحيح منها، ونثبت ما نجح وترك عند السامع من الأثر. لتصبح القصة كاملة بخطوطها وشخوصها، ولما لا ببعض الخيال، الذي قد يتجاوز المعقول، طالما هذا ما يرضي الأكثرية، ويفيد في حمل الفائدة والعبرة ونجاح الخبر.

وأبرع الحُكاة ونُقَّال الخبر وتحويله إلى قصة ناجحة، هما الأب والأم في مهمة التأديب والتربية، حيث تأخذ القصة المنحى المطلوب منها في تأدية الخبر، وفي بعض الأحيان جذبًا للطفل وكسب ولاءه وطاعته، لدفع مكروه عنه أو نجاح يأملونه له...

ومن ثم الجدة، من خلال قصصها المليئة بالبساطة والخيال، متعمدة الإطالة والإثارة -في بعض الأحيان- لحمل المستمعين إليها البقاء أكثر وقت ممكن إلى جانبها، حاملةً إليهم بعض من أحلامها وأمالها وتصورها للحياة، بما امتلكته من خبرة وعايشته من تجربة... وقد تسرد عليك حياتها ببراعة دون أن تنتبه، فتكسب الولاء الذي تريد والطاعة المقصودة والاحترام المطلوب... ففي شخصياتها دائمًا انعكاس لذاتها، وصورة عن تجربتها، تُلبس من تكره من شخوصها ثوب الشر والظلم، ومن تحبه منهم ثوب الطهارة والعفة والكرم، ولا يخلى من كل ما تبتدعه من عِبرة أو هدف.

أما عند العامة... فلقد برع الحُكاة الشعبيون في القص... وإلى زمن قريب جدًا، قبل انتشار الراديو والسينما والتلفزيون، كان هؤلاء الحكاة ينتهزون الفرصة في اجتماع العامة حولهم لسماع وتتبع أخبار أبطالهم المشهورين (عنترة وعبلة وأبو زيد الهلالي) لكي يظهروا براعتهم في الأداء، ومقدرتهم على التأثير، بإضافات ليس لها علاقة بالنص... وقد تصل قمة التأثر وتوهج المشاعر من المتلقي حد الصراخ أو البكاء، وفي أحيان كثيرة الفرح، فيأخذ بالمستمعين إليه وحسب حذاقته ومهارته، إلى عوالم من الخيال تجدهم فيها فاقدي الوعي، لا يسمح لغيره بالحركة أو التكلم أو إبداء ردة فعل حتى ينهي حديثه، والذي قد يشبه في إحدى مراحله الخطابة، وقد ينتهي في أحيان أخرى بالعراك، لخلاف بين فريقين في التعاطف مع من يعتبرونه حقًا أو باطلاً.

وهذا كله يفرح القاص (الحكواتي) ويزيده فخرًا وغرورًا، لأنه لا يتمتع بمقدرته على اللعب بشخصياته التي يخترعها فقط، بل يؤثر أيضًا على الجمهور، فهو من يمتلك مشاعرهم، ويقودهم كالأغنام إلى حيث يريد، لكي يوصل لهم من الحكاية ما يشاء، ويقطعهم عنها متى أراد، بما يشبه الحلقات التلفزيونية اليوم، فهو أول من ابتكرها بلا شك ولا منازع.

وإلى عهد قريب أيضًا كنتُ أستمتع برفقة من يجتمع من الأقارب أو أهل الحي، بالاستماع إلى الحكواتي المتجول مع صندوقه السحري المزخرف. ولا زلت أذكر إلى اليوم كيف كنت أقف مسحورًا أمام صندوقه الخشبي، أنتظر دوري، ولا أصدِّق بأنني سأرى وأسمع حكاية بالصوت والصورة.

وعندما جلست لأول مرة وأنا أحيط النافذة الزجاجية المكبرة

بكلتا يدي، مظللاً إياها من الشمس راغبًا في رؤية أفضل للصورة، وهي تمشي ببطء وتناسق مع الحكاية التي يلقيها علينا... خلت نفسي في عالم آخر!

وكنت وفي كل مرة أعود إلى صندوقه، لأرى وأسمع القصة من جديد، أكتشف ومن خلال الصور ذاتها قصة جديدة وحكاية جديدة ونهاية جديدة، وكأنني أراها وأسمعها لأول مرة!... وهذا لعمري هو ما يبرز مهارة القاص وقوة حجته ومتانة نصه وسعة خياله.

وبالرغم من المحاولات الجديدة، التي يقومون بها اليوم، من إعادة الماضي (كفلكلور) بالمناسبات العامة كشهر رمضان، وتكليف ممثلين بارعين، وقُرَّاء محترفين للقيام بدور الحكواتي، على مسرح ظاهر ومُضاء وملّون، إلا أنهم فشلوا في استحضار الحماس المطلوب له.

فلكل زمان رجال ونكهة وموضوع، وقصة وروح ومكانة، لا تستطيع أي إمكانيات معاصرة من استحضارها وتكرارها، لأنها تنتمي بخصائصها وثقافتها وخيالها لزمن وذاكرة وتاريخ مضى، هي كالنهر الجاري لا نستطيع أن نسبح في مياهه ذاتها لمرتين.

الفصل الثالث

كل شيء حول القصة / ٣

القصة وما يُشبهها من السرد

القصة؟... الحكاية؟...

قد يسأل أحدكم: بأنني استخدمت الاسمين معًا أثناء التحدث عنهما... ألا يوجد فرق بينهما؟

وأجيب: كثرت المسميات للدلالة والتعريف بالأنواع الأدبية الكثيرة التي عنت الحكاية أو القصة، ورصدتها ونقلتها وتوسعت فيها. ابتداءً من الخبر كحدث ينقل لذاته، كأخبار الحروب والغزوات مثل: (داحس والغبراء، غزوات الرسول، حرب البسوس... الخ)، أو لنؤرخ به الحدث (ككتابة التاريخ)، مرورًا بالرواية (التي تقوم على العناية بالشخوص وتطورها مع وصف موسع للزمان والمكان)، وانتهاءً بالمسرحية (والتي تهتم بالحوار بشكل خاص).

وسأبسط الأمر بتصوير الأنواع الأدبية، التي تهتم بالقص والسرد، وكأنها هرم يبدأ بالتسلسل التالي:

١- الخبر ٢- الحكاية ٣- القصة ٤- الرواية ٥- المسرح

١- الخبر : وعنه ننقل الأحداث ونؤرخ به، وبالرغم كون الخبر يمكن أن ينقل كحكاية أو أقصوصة، وقد يتطور ليصبح رواية، إلا أنه يحافظ على خاصيته كخبر، كونه لا يعتمد على خصائص الأنواع الأدبية الأخرى، من وصف للمكان والزمان والتعمق في تحليل الشخصيات.

٢- الحكاية : ومنها الملحمة والأساطير، وهي روح الشعب المُعبِّرة عن تطلعاته وأحلامه، وتعكس صورة عن طموحاته وأمانيه، وهي تعتمد بالإضافة لعناصر القصة، على الخيال وتعدد الشخصيات، وعدم محدودية المكان والزمان.

٣- القصة : ويتفرع عنها القصة القصيرة والقصيرة جدًا، وهي محددة بعناصرها المعروفة من الزمان والمكان والشخصية، والحبكة والحوار والسرد والعُقدة والحل.

القصة القصيرة والقصيرة جدًا: الأقصوصة... تتبع في حالاتها الكثيرة الحدوتة والطرفة والمقامة والمثل، وقد تختلط مع المقالة والخاطرة، وقد تقترب كثيرًا من الشعر.

٤- الرواية : ومنها الرواية القصيرة، وهي تقوم على تعدد الأجزاء والفصول، والأحداث والشخوص والأزمنة والأمكنة.

الرواية القصيرة: وهي تقترب من القصة أو القصة القصيرة والحدوتة، وتحتوي على الكثير من الخيال.

٥- أخيرًا **المسرح :** وهو ينفرد بتكثيف الحوار، بالرغم من أنه يحتوي على كل العناصر الموجودة في الأنواع الأدبية الأخرى.

هذا طبعًا بالإضافة للشعر، والذي هو أساس كل الأنواع الأدبية عند العرب، وهو يحتملها كلها باختلاف أزمنتها وأمكنتها وشخوصها وواقعيتها، أو غرقها بالخيال. فنحن نستطيع كتابة الخبر، والحكاية والأسطورة والملحمة والقصة والرواية والمسرح، شعرًا دون أي حرج، كما في ملاحم (عنترة)، (الزير سالم)، (سيف بن ذي يزن)، (حمزة البهلوان)، (الأميرة ذات الهمة)، (الظاهر بيبرس)، (تغريبة بنى هلال)، أو مسرحية (مجنون ليلى) لأحمد شوقي.

وقبل أن تضيعوا معي بين كل الأصناف الأدبية التي ذكرت، سأعود إلى القصة والحكاية. لأنني ضعتُ من قبل في التعقيد الشديد، الذي تناول به الدارسون والباحثون والمختصون بالأدب في شرحهم له، وتصنيفهم لأنواعه، حتى بدا لي وكأنهم يعيشون حالة من الهذيان والفوضى، ولم تفض كل ما أضافوه من شرح وبيان وتصنيف، مدعومة بالأمثلة وموثقة بالشواهد إلى أي نتيجة تذكر، تأخذ بالسائل إلى شرح مبسط ومنطقي لتلك الأشكال الأدبية، من قصة ورواية ومسرح وما يشتق منها.

وأنا في كل الأحوال لا أتفق معهم بتاتًا في هذا الشطط بالتعريف، والذي يؤدي في النهاية إلى الخلط فيما بينها، وهذا ما دعاني لأن أعتبر، من خلال شرحي في الفصول السابقة، بأن القصة القصيرة جدًا حسب تعريفهم، لازالت قيد الطهي ولم تنضج بعد.

لأن الموضوع بسيط جدًا بالنسبة لي... فنحن نكتب الرواية بأجزائها وفصولها المتعددة وأزمنتها وأمكنتها وشخوصها التي لا حدود لها، بما نمتلكه من خيال خصب، وتصوير رائع، وموهبة فذة، تقود إلى حمل القارئ على الاستمتاع بمطالعتها واستخلاص الفائدة والعبرة منها. فإن استغنينا عن أجزائها وفصولها وتحددت أمكنتها وأزمنتها، وحافظنا على ما تحتويه الرواية من خصائص (المقدمة والحبكة ووسط الموضوع «لحظة التنوير» والنهاية «حاملاً المتعة والحل» نكون قد كتبنا القصة).

والقصة القصيرة والقصيرة جدًا يجب -حسب رأيي الشخصي- ألا تخرج عن هذه الخصائص، ألا كونها (قصيرة) تضغط

كل المقومات والعناصر الموجودة فيها ولا تلغيها، وهكذا تكتسب اسمها ومعناها الحقيقي (القصة القصيرة). وإلا خرجنا بمسخ قصصي ونص مشوه لا يحمل أي دليل على وجود قصة، إلا كونها تقليد أعمى للترجمات الأوروبية للقصة القصيرة، والتي لا تشبه بأي حال من الأحوال القصة العربية لأننا نحن النبع والأصل وهم المقتبسون.

ومن هذا المنطلق... أتفق في تقييم القصص القصيرة لكثير من الأدباء، الذين حافظوا على خصائص القصة ولكن بتركيز وتكثيف شديدين، وعبقرية فذة في التقاط الحدث وتصويره، وتحقيق الفائدة المرجوة من سرده كقصص «زكريا تامر» و «يوسف ادريس» وغيرهما كثيرون.

وهذا على ما أعتقد، ما وضع القصة القصيرة جدًا في اللبس والخلط مع الأجناس الأدبية الأخرى، وعدم التوصل لوصف محدد لها، فهي تأخذ من الأجناس كلها ولا تنتمي لأي منها.

قد يسأل سائل بأنني لم أجيبكم بعد على السؤال المطروح: ما الفرق بين القصة والحكاية، وما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما؟

وأجيب: إذا عُدنا إلى تعريف القصة اللفظي، فهي أحدوثة شائعة مروية أو مكتوبة يقصد بها الإقناع أو الإفادة.

وفي تعريف آخر... هي تروي حدثًا بلغة أدبية راقية، عن طريق الرواية أو الكتابة، ويُقصد بها خلق متعة ما في نفس القارئ، عن طريق أسلوبها وتضافر أحداثها وأجوائها التخيلية أو الواقعية.

أما الحكاية: فهي تختلف عن القصة في تعدُد الأحداث، وتنوع الشخوص، وتباين الأزمنة والأمكنة واتساعها اتساعًا يخرجها عن إطار القصة، مع احتفاظها بكل خصائصها.

وهي غالبًا ما تكون صدى لروح الشعب، تجسد أمانيه وطموحاته، وتعكس روحه الاجتماعية وتلبي طلباته ورغباته الأخلاقية والثقافية والدينية.

فإذا عدت إلى تعريفي السابق للقصة: القصة هي الحكاية والخبر المحبوك بدقة، ضمن شروط الزمان والمكان، وتعتمد على سعة الخيال ويكون لها معنى وهدف واضح، نجد بأنها تلتقي مع القصة من حيث الشكل، وتختلف عنها من حيث الروح والمضمون.

الفصل الرابع
كيف أُصبح كاتب قصة / ١
إلى ماذا أحتاج لكتابة قصة ؟

لقد تعرفنا من خلال الفصول الثلاثة الماضية، على تاريخ وأصول القصة وتعريفها، والفرق بينها وبين الأنواع الأدبية الأخرى، كالخبر والحكاية والرواية والمسرح.

وعرفنا بأن الخبر: ننقل الأحداث ونؤرخ به.

وبأن القصة: وهي محددة بعناصرها المعروفة، من الزمان والمكان والشخصية، والحبكة والحوار والسرد والعقدة والحل.

وبأن الحكاية: تعتمد بالإضافة لعناصر القصة، على الخيال وتعدد الشخوص، وعدم محدودية المكان والزمان وتهتم بالتراث.

وبأن الرواية: هي كالقصة، ولكن بفصول وأحداث وشخوص متعددة، ولا يحدها زمان ولا مكان، ومنها الرواية التاريخية.

وأخيرًا المسرح: وهو ينفرد بتكثيف الحوار، بالرغم من أنه يحتوي كل العناصر الموجودة في الأنواع الأدبية الأخرى.

هذا طبعًا بالإضافة لملاحظتنا بأن الشعر -والذي هو أساس كل الأنواع الأدبية عند العرب- يحتملها كلها باختلاف أزمنتها وأمكنتها وشخوصها وواقعيتها أو غرقها بالخيال. وبأننا نستطيع كتابة الخبر والحكاية والأسطورة والملحمة والقصة

والرواية والمسرح شعرًا إذا أحببنا دون أي حرج.

وكذلك على القصة القصير والقصيرة جدًا، بما أنها أحدث الأنواع الأدبية وأشدها تعقيدًا وصعوبةً، بتعريف شخصي: بأنها لا تخرج عن خصائص القصة إلا كونها «قصيرة» تضغط كل المقومات والعناصر الموجودة فيها ولا تلغيها، وهكذا تكتسب اسمها ومعناها الحقيقي «القصة القصيرة».

وأضفت بأن الشطط والتسامح في تجاوز خصائص القصة المتعارف عليها، واعتمادها في بعض الأحيان على تحديد الحدث بلقطة عابرة، أو وصف لحالة نفسية، أو تصوير لموقف خال من المعنى، هو الذي وضع القصة القصيرة والقصيرة جدًا في اللبس، والخلط مع الأجناس الأدبية الأخرى، وعدم التوصل إلى الآن لوصف محدد لها، فهي تأخذ من الأجناس كلها ولا تنتمي لأي منها.

وقمت في بداية حديثي عن وصف القصة، بتقسيمها من حيث المواضيع والأحداث، المراد معالجتها والكتابة حولها، إلى قسمين:

قسم واقعي: تعتمد الأحداث فيها على الواقع (أي ما حدث فعلاً).

وقسم خيالي: تكون الأحداث فيها، من تأليف الكاتب وصنع خياله.

وهي بالتالي على نوعين أيضًا:

نوع متماسك: تكون القصة بعناصرها المعروفة، متماسكة من حيث المكان والزمان والأحداث والشخصيات.

ونوع مفكك: لا تعتمد القصة فيه على خط ثابت، وقد تتضمن

عدة قصص غير مترابطة فيما بين شخصياتها وأحداثها وأزمنتها.

هذا الوصف الذي قدمته سابقًا عن قسمي القصة ونوعيها، يشرح نفسه بنفسه...

ولو أنني لا أميل كثيرًا لهذا التقسيمات والتصنيفات، حيث يكفي أن تكون القصة مكتفية الشروط حتى تؤدي الغرض المطلوب منها، أيًا كانت صفتها (خيالية أو واقعية)، كأي عمل أدبي آخر.

وسأقوم فيما بعد ومن خلال حديثي عنها بشرحها، دون تقييدها بنوع أو تجزئتها إلى أقسام، حتى لا نفقد خيوط الفكرة وتسلسلها.

وهنا أصل إلى لُبّ السؤال المطروح في هذا الفصل: كيف يمكن أن أكتب قصة؟

من أين أبدأ؟

وإلى ماذا أحتاج لكي أكون كاتب للقصة؟

وسأبدأ من حيث انتهيت من السؤال: إلى ماذا أحتاج لكي أكون كاتب قصة؟

وأُجيب: بأن أيًا كان يرغب في أن يصبح كاتب قصة، يحتاج إلى امتلاك عامل مهم جدًا وأساسي وهو الموهبة... وإلى وسيلتين مهمتين جدًا وهما اللغة والثقافة.

بالنسبة للموهبة: فبدون الموهبة لا يمكن ولا بشكل من الأشكال أن نصنع كاتبًا يتمتع بالبراعة في القص، غزير الخيال، يمتلك ناصية التحكم بالأحداث والشخصيات التي يتناولها، بقدر كبير من الحنكة والدهاء والذكاء، قادرًا على

التأثير بالقارئ والسامع دون أي جهد يُذكر. (تستطيعون الاطلاع على مقالتي حول هذا الموضوع، الموجودة في الفصل السابع عشر تحت عنوان: الموهبة وأثرها في صناعة الأديب).

فإذا ما توفرت الموهبة فنحن بكل بساطة، نستطيع صقلها وتنميتها وتطويرها بوسائل شتى منها وأهمها: المطالعة (سأعود إليها لاحقًا).

بعد الموهبة تأتي اللغة: فامتلاك الكاتب الموهوب للغة التي يكتب بها بشكل كاف، يسمح له بترجمة مشاعره، ونقل أفكاره وإيصال رسالته، بالطريقة التي يريدها وترضيه... غنية بالمعاني، متنوعة بأسمائها وأوصافها، صحيحة وخالية من الأخطاء النحوية والإملائية، تتصف بقدر كبير من القوة في حبكتها... تخوله بسلاستها وبساطتها وسهولة مفرداتها، من الوصول إلى قلب وعقل القارئ.

نأتي الآن إلى الثقافة: فلكي يكون الكاتب الموهوب مالكًا لأدواته، متحكمًا بمصير شخصياته، قادرًا على إقناع القارئ بما يطرحه عليه من قص... يجب أن يكون واسع الثقافة، قوي الحجة، مُلّمًا بعادات وتقاليد المجتمع الذي يتكلم عنه، متقنًا تفاصيل البيئة التي يصفها، ثابرًا لأغوار الشخصية التي يتناولها، وعلى معرفة كافية بعلوم شتى، كعلم النفس، والطب، والقانون، وحياة النبات والحيوان والطبيعة والدين... الخ. بما يكفل له معالجة ناجحة للموضوع الذي يحب أن يقصه، ولا يعيبه في كل الأحوال، الاعتماد على أي مصدر موثوق، ومراجعته حتى يعطي لعمله المصداقية المطلوبة والحل الناجع.

وقد أعطيتُ أولوية في تقديم الموهبة، على ما تلاها من أدوات،

لأصل إلى السؤال التالي: كيف أستطيع أن أعرف إذا ما كنتُ أملك منها شيئًا؟

بمعنى أوضح... ما هي علامات امتلاكنا للموهبة؟

الموهبة هبة من الله، لا يستطيع أي كائن مهما كان التدخل فيها، وهي -حسب اجتهادي- تتمثل بالمهارات التي يُولد الإنسان بها، دون وعي منه أو إدراك، وخلاصة للتجارب الإنسانية عبر ملايين السنين من التطور البيولوجي، وعلى الكم الهائل من المعلومات التي تختزنها البشرية في ذاكرتها الوراثية.

وهي على صلة وثيقة بالوراثة، ولكنها لا تخضع إلى أي قاعدة أو اعتبار له علاقة بالنواحي الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية للإنسان الموهوب (المحيط)، إلا بدرجة الاهتمام الذي تحاط به تلك الموهبة منهم، في تحفيزها وتنميتها وظهورها.

والموهبة على تنوعها (فنية كانت أو علمية أو أدبية أو يدوية الخ) هي التي تعطي لمن يمتلكها ويمارسها، متعة انسجامه مع نفسه ومحيطه، وتتجلى في أبهى صورها بالإبداع.

قد يمتلك أحدنا منها دون أن يدري... وقد تظهر فجأة متجسدة ببراعة أو إتقان فيما وهبنا منها، فنثير الإعجاب، ويصيبنا النجاح والشهرة، بعد أن نكون مهمَلين لا يلتفت إلينا أحد!... وقد نحملها ونمارسها سرًا خوفًا من هَزِءَ المحيطين بنا... وقد نحملها ونموت معها دون أن ندري بها، أو ينتبه لها أي كان... فهي ترتبط في تنميتها وصقلها ونموها وتطورها، على الأسرة والمجتمع والبيئة التي يجد صاحب الموهبة نفسه بينهم، ويكونوا إما سببًا في ظهورها أو اندثارها.

وبما أنني أتحدث عن الموهبة الأدبية... فسأستعير وصفي لها من مقالتي (الموهبة):

الموهبة... هي تلك النعمة التي يهبها الله لنا، لكي تميز البعض منا عن الآخر، في مهمة التكليف التي خصها الله لأحدنا وفضله بها على غيره، لعلمه تعالى بأن من يحملها ويولد بها، إن هي إلا أمانة ودين يؤدها بالنيابة عن المجموع

إنها بتبسيط شديد، هي تلك المقدرة التي وُلِد بعضنا بها للإحساس بالكون، والتفاعل معه والتأثير به، بشكل يفضي إلى مسلمات، وركائز وقوانين وشروط، تحدد الإطار العام لأي من الإبداعات التي يصنعها الموهوب في مجال إبداعه.

فالأديب الموهوب، يعي منذ أول إدراك للعالم المحيط به، حاجته لأن يتأمل ويسمع ويتساءل، ومن ثم يثرثر بوضوح ودون تكلف، عما يجيش في داخله من مشاعر، على أنواعها وألوانها، حزنًا كانت أم فرحًا، قبل أن يبدأ في تدوينها على ورق، وتتبُع ما يغنيها من ألفاظ وعبارات، وحجة وخيال. بمطالعة مَن سبقه في هذه الموهبة، فيستمتع بما يسمع ويقرأ، ويمتع بما يقوله ويكتبه، دون تكلف أو تمثيل أو تصنع أو إرهاق.

إنه بكل بساطة، يمارس بموهبته تلك، الفطرة الإلهية التي مُنِحت له، فهي لا تكلفه من نفسه أكثر من خفقة قلب أو استنشاق وزفير.

ولهذا نجد الفرق الواسع الشاسع بين كاتب موهوب، وكاتب تعلَّم مهنة الكتابة.

فالأول إذا ما تكلم أطربك، بتسلسل أفكاره، وترابطها وسهولة ولوجها للقلب والروح دون تكلُف، فتحرك لديك المشاعر

على أنواعها، وتأخذك مهما كنت صلبًا وخشنًا... لتسحرك بألحانها وتطربك بأنغامها، وتبعدك عن السبيل الذي كنت قد سلكته، وتحول حياتك المرهقة، وشجونك وآلامك، وقوقعتك التي تسكن فيها، إلى فردوس، تحلِّق في سمائه فتشعر بالحرية وأنت سجين، وبالنعمة وأنت فقير، وبالصحة وأنت سقيم، وبالسعادة وأنت حزين.

إنها ببساطة... صوت الشاعر، وعين الفنان، وأنامل الموسيقي، ويد المهني، وقلم الكاتب، الذي يصنع هذه المعجزة، التي تطرب العامة، وتفك القيود وتحرر الشعوب.

في حين لا يستطيع الكاتب الذي تعلم الكتابة مهما فعل، من أن يحرك -ولو قيد أنملة- المشاعر.

أما عن سؤالنا عن العلامات التي تدل على امتلاكنا لها؟

فهي وببساطة واختصار شديدين، تتمثل برغبة الموهوب للتعبير عما يراه ويسمعه...

يحب المطالعة والكتابة أكثر من أي شيء آخر، حتى إذا ما خُيِّر بينهما وبين طعامه وشرابه لفضل الأولى، لأنه يعتبر نفسه أسيرًا لها ولموهبته في مهمة كُلِّف بها وليس لمتطلبات جسده.

ثرثار بطبعه... وإذا ما لاذ الصمت لفترة، يتفجر كالبركان الثائر في أول فرصة تُتاح له، لتتدفق مشاعره وأفكاره كالحمم الجارفة لا تمنعها الحواجز أو السدود.

حالم وثائر رغم عنه، ولا يرى ما يراه الآخرون مما يحيط به، فهو يتغنى بالطبيعة، ويغازل الطيور، ويفرح بتفتح الزهور، ويداعب بخياله كل ما يخطر على باله من أمور، فيعطي

للسحاب ما شاء من صور الأفاعي والمعارك والنمور.

ينصِّب نفسه معلمًا حينًا أو قاضيًا بين المتخاصمين أحيانًا... فلا يبالغ ولا يجور... ويحفر بخياله للمجرمين -بهمته وحبه للعدالة- القبور.

ينتصر للمستضعفين مهما كلَّفه من ثمن، وقد يقبع في غياهب السجن والنسيان من أجلها لدهور.

يتتبع العامة في مشوار حياتهم اليومي، فيلمس الكبرياء عند كبير مجهد، والعنفوان عند صغير مقعد... فهو يهتم بالتفاصيل الصغيرة، وينحو نحو الدقة والكمال فيما يعمل.

وهنا قد يسأل سائل:

كيف أستطيع امتلاك ناصية اللغة الصحيحة لأكمل موهبتي؟

وأرد عليه:

بالمطالعة... وأفضل المطالعة هي القرآن الكريم، فهو قمة الكمال في اللغة العربية، لا يشبهه في اللغة أو الأدب شيء... من ثم تأتي كتب الكبار من الكتاب وفطاحل الأدب، وبالأخص الشعراء منهم، لأن الشعر أساس اللغة والثقافة والأدب عند العرب (انظر: الفصل الثاني عشر).

ونحن عندما نهتم بمطالعة كتب الكبار، فلأنهم صافيي القريحة في كتاباتهم ويتتبعونها ويكتبونها بالسليقة، ولم يتلوث لسانهم ولا مفرداتهم باللغط أو بالغريب من كلام العجم. هذا بالإضافة إلى ما يمتلكونه من ثقافة وعلم، وما يمتازون به من فصاحة وسعة خيال، وإتقان لأدوات تعبيرهم.

وأنا أفضِّل أن يتحاشى الكتاب الشباب، الحديث من كتب الأدب في القص أو الشعر، حتى يتمكنوا من الأصل والمنبع،

ولكيلا تتلوث ثقافاتهم ولا تتأثر مفرداتهم اللغوية أو أسلوبهم، مما قد يشكِّل عائقًا لهم في اختيار العبارات الصحيحة لكتاباتهم في المستقبل.

وأتابع بالجواب على السؤال التالي: كيف أمتلك ثقافة واسعة؟

الثقافة نتوسع بها بالمطالعة، ونحن نختار نوعها (علمية، أدبية، فنية، تاريخية، مهنية الخ) بحسب ميولنا، وهي أصبحت متيسرة ومتوفرة بكثرة عبر وسائلها الحديثة، من إعلام وإنترنت... بالإضافة للكتاب والذي هو أساس كل ثقافة متينة، لا يمكن أن يحل مكانه أي وسيلة أخرى مهما بلغت من الدقة... وسآتي إلى شرحها وتفصيلها بشكل مستقل فيما بعد.

الفصل الخامس
كيف أُصبح كاتب قصة؟ / ٢
من أين أبدأ بكتابة قصة ؟

نصل الآن إلى السؤال التالي: من أين ابدأ بكتابة القصة؟

قبل أن أجيب على هذا السؤال، أحب أن أعود قليلاً إلى موضوع الموهبة، فبالرغم من عدم قدرتنا على تفسير بعض الظواهر الإبداعية التي تفاجئنا بإبداعها المتميز قبل أوان النضج مثلاً، إلا أن هناك اعتقادًا قويًّا بأن كلمة (الموهبة) ما هي إلا تعبير مجازي عن القدرة الإبداعية، التي تُكتسب بالضرورة، ولا تولد مع الشخص، وأن العمل الأدبي المتميز لا يتميز إلا لأن وراءه شغلاً وتعبًا، ولست أذكر اسم الروائي الغربي الحائز على جائزة نوبل، والذي يقول شيئًا بما معناه: (أنا متعب جدًا، فقد كتبتُ منذ الصباح سطرًا، ثم محوته)!

وهو نفسه يقول في موضع آخر ما معناه: (يتحدثون عن الموهبة، وأنا لا أفهمها إلا على أنها العمل ثم العمل ثم العمل).

بالنسبة لي فإن جميع المواضيع النظرية ومنها الموهبة، قابلة للمناقشة والتأويل، لأنه لا يمكن إثبات صحتها من عدمه بالتجربة والبرهان كنظيرتها من المواضيع العلمية، وهذا ما قد يتسبب بالخلط بين ظواهر عديدة مشابهة كالنبوغ مثلاً.

وقد رصدت حالات كثيرة منها لأطفال ولدوا وهم يتمتعون بمقدرة عجيبة على القراءة والرسم والعزف والحساب دون

تعلم -ولا يشترط فيها الذكاء- وهي أقرب إلى الحالات المرضية منها إلى الصحة، وتنطفئ في سن مبكرة جدًا من عمر الطفل، وقد تكون سببًا في وفاته باكرًا أيضًا.

أما الموهبة... وهو ما يحتاجه كل صانع ماهر، في أداء أفضل لمهنته ومنها الكتابة، فهي شيء آخر تمامًا. وهي تُصقل بالممارسة والمتابعة والعمل، وقد يرفدها صفات موروثة عن الأهل كالذكاء أو الطباع (السيئة أو الحسنة)، وهو ما يميز بعضنا عن الآخر، في الأداء والأسلوب ودرجات النجاح. وهذا يتفق مع ما قلته (بأن العمل الأدبي المتميز لا يتميز إلا لأن وراءه شغلاً وتعبًا).

وإذا أخذنا قول الروائي الغربي الذي ذكرت، فهو لا يتناقض مع حديثي عن الموهبة (إذا كانت هي المقصودة فعلاً)، لأن الكتابة دون حافز أو إلهام (موضوع الإلهام سأتناوله بشكل منفرد) لا يفضي إلى نتيجة، وكذلك (العمل ثم العمل ثم العمل) لا يمكن أن يقوم به ويتابعه ويتحمس له، إلا شخص موهوب لأن الموهبة هي المحفز له (الدينامو) وليس العكس.

لهذه الأسباب يمكننا تفسير رقص طفل صغير، لمجرد أن يسمع الموسيقى، ويدندن بالألحان، ويجيد العزف على أكثر من آلة موسيقية دون أن يعلمه إياها أحد.

وهي حال طفل صغير آخر، يصنع من المعجون العجائب: دُمى وشخصيات كاملة الهيبة، دقيقة المعاني، معبرة، وتشبه أعمال النحات الكبير «ميكائيل أنجلو»، وتبدو مع تفاصيل ثيابها المنمقة، وكأنها تنتظر أن تدب الروح فيها لكي تتحرك وتتكلم!

أما عنا... فنحن لا شك نهوى الكتابة ونعشق الكتاب.

يبقى ألا نترك تلك المواهب تضيع عبثًا، بين أدراج الخجل وانتقاد المحيطين بنا، ودسائس الغيورين والحاسدين، ونتوقف عن إبداعنا من أول نقد أو ملاحظة أو توبيخ.

فلقد اتفقت المجتمعات العربية، على عدم احترام المواهب ذات السمعة السيئة كما يسمونها (كالفنون) أو تلك التي لا تفي بالأغراض المطلوبة منها في تبوء المراكز الاجتماعية ورغد العيش (كالكتابة). ولهذا نجد هذا الكم الهائل من الفنانين والكُتَّاب ممن امتهنوا الطب أو المحاماة أو الهندسة والأعمال الحرة والإدارة، وكثير غيرها، نزولاً عند رغبات الأهل والمجتمع.

لا شك ستسألون بعد هذه المقدمة: من أين نبدأ؟

هناك الكثير من الاجتهادات، حول الطريقة التي يجب أن يتبعها الكاتب للبدء في ممارسة فن الكتابة منها: اختيار المكان أو وقت الكتابة أو الموضوع... أو الأدوات التي يستخدمها لذلك، كالورقة والقلم ومطالعة الكتب، واستعارته لعبارات معينة خاصة به... الخ.

وأنا لا أحب هذه التصنيفات، وأميل أكثر إلى أن يكون لكل كاتب شخصيته المميزة في التعامل مع موهبته، وإتباع حدسه في تصيد اللحظة المناسبة، والمكان المناسب، والموضوع المناسب، وكذلك الحال في استخدام أدواته الخاصة، بما يخدم مبادئه ونظرته للحياة وفهمه لها وهدفه منها.

وبما أنني أتحدث عن فن كتابة القصة وليس أي فن أخر (كالكتابة الصحفية مثلاً)، فإن توفر عامل الخيال والخلق والبلاغة في التعبير، مهم جدًا للحصول على نص يتمتع بقدر كبير من التأثير، ذي حبكة متينة وممتعة بنفس الوقت.

ولكي أشرح ذلك بتفصيل أكثر...

سأبدأ بأدوات الكاتب... وهي عديدة ومتنوعة وتختلف من كاتب إلى آخر ومنها:

١- يبدأ الكاتب دائمًا باستحضار ورقة وقلم... وقد يروق له الكتابة بأي قلم يقع بين يديه أو على أي ورقة، وقد لا يستطيع الكتابة إذ لم تكن ورقته مسطرة ونظيفة، وقلمه يؤدي الغرض المطلوب منه، من حيث اللون وسماكة الخط ونوعه، وهو ما يعكس شخصية الكاتب وخصوصيته... فلا تجعل نفسك رهينة لها، وعوّدها على الكتابة على أي ورقة وبأي قلم يقع بين يديك، حتى لا تخسر اللحظات الذهبية التي من الممكن أن تجتاحك لحظة الإلهام، لأن خسارتك لتلك اللحظات قد لا تعوض أبدًا.

٢- بعض الكُتَّاب يضعون ملخصًا للعمل الذي يحبون التطرق إليه أو معالجته (مسودة)، وهي طريقة ناجحة ممكن استخدامها إذا ما كانت لدينا مشاريع قصصية أو روائية طويلة، تتعدَّد فيها الأحداث والشخصيات، ولها طابع تاريخي، حيث من المهم تدوين الشواهد والأمثلة والتواريخ والأسماء.

أما ما يخص القصة القصيرة، فهي لا تحتمل الانتظار، لأنها هي بذاتها لا تتجاوز أكثر من لحظة عابرة علينا التقاطها وتسجيلها، وقد نحتاج ونحن نكتبها إلى تسجيل بعض الملاحظات، أو العبارات أو المفردات، لمساعدتنا في الحصول على حبكة دقيقة ونهاية منطقية.

٣- الكاتب في العادة هو قارئ جيد... وهو لا يترك كتابًا دون أن يدوِّن رأيه فيه، وموقفه من أحداثه، وهذا يفيده بإقامة علاقة متينة بينه وبين النص وكاتبه، وقد يفيده ما يتركه من

حاشية على بعض الصفحات في التذكير بما أعجبه وأفاده وأطربه منها. وقد يلجأ إلى تلخيص الكتب -خاصة التاريخية أو العلمية أو الفلسفية منها- والتي لا يستطيع الاحتفاظ بها (كالاستعارة من المكتبات العامة) مما يمنحه فرصة دائمة للاطلاع على عبارة قوية أو حكمة أو تحليل.

ولهذا عوّد نفسك أثناء مطالعتك للكتب، على تسجيل الملاحظات، وكتابة الحواشي، حول المواضيع التي قد تفيدك في معالجة أي موضوع في المستقبل، خاصة وأنك تحتاج لمطالعة الكثير من الكتب، لكبار الأدباء ومن شتى الأجناس الأدبية، حتى يتكون لديك عدد مهم من المفردات والمصطلحات اللغوية تساعدك على التعبير بشكل قوي ومميز عما تريد قوله وكتابته.

٤- الأفكار والمواضيع التي نرغب في معالجتها قد تهبط علينا فجأة، وفي أماكن لم نتوقعها، ولم نكن جاهزين لها... (أثناء الطريق، في الأماكن العامة، في الحمام، أو بكل بساطة في الفراش). وعادةً ما تكون تلك الأفكار ثمينة ومهمة جدًا لنا، وفقداننا لها وعدم مقدرتنا على تسجيلها في الوقت المناسب، قد يحرمنا من فرصتنا في التعبير وبطريقة مثالية عن أفكارنا.

ولهذا فقد اعتمد البعض على التزود بقلم وورقة -بشكل دائم- لتسجيل الكثير من الملاحظات والعبارات والأوصاف والهوامش. وهناك من يدرِّب ذاكرته على الحفظ، وأنا واحد منهم، حيث أكون في حالة من التحدي في استرداد المعلومات التي عبرت ذهني فجأة، باستذكارها بعد ربطها بعلامات معينة، وقد أوفّق في ذلك، وقد أفشل. وفي أحيان كثيرة تسعى إليَّ لتضع نفسها بين جُمل وسطور لا مكان لها فيها، فأنقلها إلى حيث يجب أن تكون.

٥- يستعمل كُتَّاب القصة، وبشكل متفاوت، بعض العبارات والاصطلاحات والتشبيهات والأسماء الخاصة بهم، تُشكِّل بمجموعها أدوات الكاتب الخاصة، تصبغه بعلامتها المميزة، ويكفي أن نتعود على مطالعة أعمال كاتب ما، لنتعرف ومن خلال أسلوبه وأدواته عليه.

ولكي تكون قريبًا للقلب سهل الإقناع بعيدًا عن التكلف، حاول قدر المستطاع الاعتماد على عبارات بسيطة وقوية في نفس الوقت، ما يعتمد منها على البلاغة (سأعود إليها لاحقًا)، ولا تجنح للرموز واستخدام الألغاز، والكلمات التي تحتاج للقواميس لتفسيرها، لأن القارئ ينفر من العبارات الثقيلة، والتي تعترض متعته بمتابعة العمل وتعرِّضه للإجهاد والتعب.

٦- أن يتمتع الكاتب بالثقة في النفس، فيكتب دون خوف، وأن يقرأ على أهله وأصدقائه ومقربيه ما يكتب دون تردد، بعد أن يكون قد نقَّح ورتَّب موضوعه بالشكل الذي يلاءم طرحه.

أما عن اختيار المكان والوقت والموضوع...

بالنسبة للمكان: فلقد شرح واستعرض عدد لا بأس به من الكُتَّاب والأدباء، طريقة اختيارهم للأماكن التي يكتبون فيها، فمنهم من لا يضيره الكتابة في الأماكن العامة ووسط الضجيج، كنجيب محفوظ.

في حين نرى كاتب آخر، يسعده كتابة أعماله بعد أن يأخذ دفقًا كبيرًا من النقاش والمطالعة والمراجعة في أي مكان تحطّ به أفكاره، في الحانة أو في القطار أو الحديقة أو في المنزل

أو خلف المكتب، كتوفيق الحكيم.

وهذا ما لا يتفق مع طه حسين، حيث ألزمته الحاجة، بتواجد مساعدته إلى جانبه في خط أفكاره وطرح مشاعره على مقعد صلد في مكتبه.

أما هيكل، فلقد اعتاد على كتابة أعماله، في وقت محدد خلف مكتب مرتب ونظيف في مكان هادئ.

إذًا اختيار مكان معين للكتابة، ووضعنا ضمن جو عام خاص بنا للبدء في الكتابة، ليست وسيلة ناجعة، خاصة إذا ما كان الهدف منها التقليد، لخلق محيط مشابه لمحيط بعض الأدباء والكتاب الكبار، فلكل منا أسلوبه وشخصيته وطريقته في الكتابة.

والبيئة ومكان الكتابة الذي نختاره لا يفيدنا إلا بالقدر الذي نحتاجه ونشعر بأنفسنا فيه، فقد أجد حاجتي خلف طاولة بسيطة في مقهى، أو تحت ظل شجرة في الحقل، أو على شاطئ البحر، أو في الجبل، أو بكل بساطة في المطبخ أو الحمام أو في السرير.

وقد يوحي المكان والأشخاص المتواجدون فيه، ببعض الأفكار والصور للمواضيع التي نحب مناقشتها، وقد نكتفي بما تعكسه الأشياء الجامدة حولنا، سواءً بها أو بظلالها أو بالأصوات التي تصدرها على أنواعها (كحفيف أوراق الشجر، أو صرير الباب، أو هدير الأمواج، أو صفير الريح).

أما الوقت: فإن أي وقت من الليل أو النهار، يشكّل اللحظة المناسبة للكتابة، والفرق الوحيد هو ما يناسب الكاتب كلٌّ حسب ظروفه وشخصيته وطباعه.

المهم ألا نؤجل الكتابة عندما تطرق بخواطرها عقولنا، فلحظة الإلهام قد تكون عابرة، وما تحمله من هدية لازمة لنا قد لا تتكرر كثيرًا... ولهذا فالكاتب الناجح هو في حالة صيد مستمر للأفكار والمشاهد والمواقف، لا يتركها تمر دون أن يأخذ منها مراده ولو على قطعة بسيطة من ورق.

ولا زلت أذكر إلى الآن، كيف كنت أسجِّل بعض الأفكار والخواطر والكثير من الفصول لأعمال -كانت تهبط عليَّ فجأة في المقهى- على أوراق الدعاية أو المحارم، وإن لم أجد قلمًا فقد يكون رأس عود ثقاب مُطفأ كافٍ لذلك.

أما الموضوع: فإن اختياره يعتمد على إيمان الكاتب به، فهو يعالج بلا شك موضوعًا يحبه أو يرغب التطرق إليه، لأنه يلامس بعضًا من نواحي حياته العاطفية أو الاجتماعية (طفولته، أحلامه، آماله وأمانيه، أو علاقته مع أهله أو أصدقائه... الخ)، أو يخدم مبدأ ما يؤمن به ويرغب في إظهاره وعرضه والدفاع عنه.

إذًا فالموضوع هو الابن الشرعي الوحيد لبنات أفكار الكاتب، يجسِّد موهبته وبراعته في القص، وتحكُّمه في النص بكل ما يحتويه من عناصر، متسلحًا بقوة الحجة، واثقًا بأنه قادر على إيصال القارئ إلى الجهة التي يريدها، وإلى النهاية التي خطّها، وهو مزعن لما يسمع مستسلمًا ومسلمًا لما يقرأ.

الفصل السادس
كيف أُصبح كاتب قصة ؟ / ٣
كيف أكتب قصة ؟

بعد جولتنا حول اختيار مكان ووقت كتابة القصة والموضوع... سأنتقل إلى مراحل كتابة القصة؟

اتفقنا بأن الكاتب الموهوب، لا يحتاج إلى إتباع مراحل معينة للكتابة، فهو يُسخِّر العوامل الخارجية له ولموضوعه ولا يخضع لها.

ويلزمه في ذلك الثقة التامة بنفسه، وإيمانه العميق بالموضوع الذي يطرحه، وهو لذلك قد يتبع أساليب عدة للوصول إلى نفس الهدف:

١- فإما أن يبدأ باختيار الشخصية (البطل) ثم يضعها في محيطها العام، ويُدخلها في الموضوع الذي يريد أن يعالجه.

٢- أو يبدأ من الموضوع ذاته (القصة)، ثم يتناول من خلالها الشخصيات، ويرسم المحيط، ويصف المكان والزمان.

٣- أو يدخل مباشرة في وصف المحيط العام (الأسرة أو المجتمع) ومن ثم يُدخل الشخصيات، ضمن سياق القصة ببراعته في حبك الموضوع، وصولاً به إلى النهاية التي يريدها.

ولكي أوضح أكثر؟

إذا سلمنا جدلاً بتعريف «أرسطو» للقصة، واشتراطه أن يكون لها بداية (الموضوع) ووسط (العقدة أو لحظة التنوير)

ونهاية (وتشمل الحل)... فعلينا آلا نغفل عن وجود عناصر مهمة متعارف عليها وعلى صلة بها، تتضمن وصفًا أكثر شمولاً ودقة للحدث والشخصيات (حالتها النفسية)، والحبكة ووصف للزمان والمكان والبيئة وصولاً، بها إلى النهاية.

وهكذا نكون قد أعطينا القصة حقها من الوصف، ولا يبقى لنا سوى تناولها بتفصيل أكبر لنستعين بها في كتابة قصة كاملة المواصفات والشروط. وذلك بالقيام بالخطوات التالية:

أولاً: اختيار شخصية البطل

يتحتم على الكاتب أن يكون مقتنعًا بها، مُلمًا بكل عاداتها وتصرفاتها، بما يتلاءم مع دورها بالحياة (كبير أو صغير السن، مكانته في الأسرة والمجتمع... الخ) قادرًا على إعطاءها اللغة التي تناسب ثقافتها ومركزها الاجتماعي (طبيب، عامل، مدرس، فلاح... الخ). ولا يمنع أبدًا من أن ينتحل الكاتب شخصيته، فيقوم بدوره في الصراع الدرامي، الذي يكلفه به، مبرزًا وجهة نظره وموقفه مما قد يتعرض له، من قبول أو رفض من الآخرين. فيكون الطفل الساذج، والفتاة الخجولة، والشيخ الحكيم، والشاب العاشق الحالم ذو طموح، والعابث المتمرد الجسور، وقد يضطر لأن يتسلل إلى ورشته التي يعمل بها، أو حقله وربما بيته الذي يسكنه...

يحزن لحزنه ويفرح لفرحه، أو يتعرض للتحقيق والضرب والإهانة، ويدخل سجنه، وينام في فراشه، مثله تمامًا.

ولا يضيره -إذا ما كان متمكنًا- من أن تكون شخصية بطله تخالف جنسه، فهو القادر دائمًا على التأقلم مع الحدث والمحيط والأفراد.

وممكن جدًا أن يكتفي الكاتب بدور المشاهد، يتصرف كالراوي راصدًا القلق في العيون، والحيرة والتساؤل في حركات الأيدي، والتعب والإرهاق في ترنح الجسد، والمرض في اصفرار الوجه، والتعبير عن الألم والخوف من خلال العويل والصراخ، أو السرور والفرح بالابتسامة التي تطفو على الوجه، أو رنين الضحكة الخارجة من بين الشفاه... الخ. فهو لا يقترب من شخوصه إلا بالقدر الذي يمتعه ويرضيه.

ثانيًا: الموضوع

وهو أساس القصة، فنحن نختاره ونستجلب مادته الخام، من الحياة والمجتمع المحيط بنا، وقد يكون نقلاً عن حادثة أو خبر، أو قضية قد شغلت عقل وتفكير الكاتب، فيجعله في مقدمة القصة ويبدأ في توزيع الأدوار فيها، بما يتناسب مع تصوره.

وقد يضيف الكثير عليه، وقد يختلقه كله، وقد يضطر لأن يصادق حيوانات الغابة ووحوشها وطيورها ونباتاتها، فيحلق بأجنحتها كالعصافير، ويسافر على ظهر السحاب كالفراشات، ويتسرب بين حبات الرمل والحصى مادًّا جذوره في الأرض كالنباتات، فيتعرض للدهس والصيد والمطاردة، والاختناق والموت مثلها تمامًا... فهو يريد بكل الأحوال، أن يكون لسان حالهم، يعيش بينهم ومعهم، يحلم مثلهم ويموت مثلهم، وقد يتعرض للانقراض مثلهم.

ثالثًا: المحيط العام أو البيئة

وهو المكان الذي يختاره الكاتب لعرض قصته، وتحرك شخوصه، سواءً كان عامًا أو خاصًا (المنزل أو المصنع، في

الشارع أو الحقل، في الطائرة أو على ظهر مركب في بحر... الخ). وهنا تكمن أهمية إظهار حدود المكان والزمان في القصة.

فمن ناحية المكان: فالكاتب لا يرى الأمور كما يراها غيره من الناس، فهو يمتلك عينًا ثاقبة في رصد التفاصيل الدقيقة للمكان الذي يحيط به، ولهذا نراه شديد الانشغال بها حدَّ الهوس (تفاصيل الغرفة وألوان الستائر ونوع الأثاث «العفش»، الأنوار والظلال، روعة الغيوم وهي تحتضن التلال، وهيبة الوديان السحيقة، وما يرتفع فوقها من جبال، ورقة النجوم وهي تزين السماء... الخ).

حتى أنه لا يتوانى من نقلها ونقل الأصوات (كصرير الباب، أو خشخشة سنابل القمح اليابسة، أو طقطقة الأخشاب وهي تحترق في الموقد، أو صفير الريح وهدير الأمواج... الخ) إلى قصصه ليجعلك تعيش اللحظات تلك، وكأنك حبيس المكان بأضوائه وضوضائه.

أما الزمان: فيكفي أن يحدد الوقت ليشعرك به وبدلالاته... فإذا ما كان في الصباح، فإنك تدرك مباشرةً ما يحمله من صفات (شروق الشمس، صياح الديكة، زقزقة العصافير، حركة الناس وهم يهمون بالذهاب إلى أعمالهم، والأطفال إلى مدارسهم... حتى أنك تشمّ رائحة الخبز وهي تتسرب من الفرن، وصياح الباعة في سوق الخضار... الخ).

ويكفي أن يذكر الظهيرة، حتى تعج الشوارع بالمارَّة، ويملأ المكان ضجيج الحافلات، وقد اختلط بأصوات الباعة، وتشعر باختفاء الظلال، فالشمس مستقيمة فوق الرؤوس، والفلاحون في الحقول المجاورة مالوا للراحة تحت فيء شجرة، يتبادلون الحديث أو يتناولون الشاي... الخ.

وهكذا... فترة المساء، أو ذكر ساعات محددة من الليل، توحي للقارئ بالهدوء والسكينة العامرة بالخشعة والإيمان. وقد توقظ لديه حاسة الخوف مما قد يواجهه من مجهول في الظلام، وقد يرصد عيونًا لامعة تختبئ بين حاويات القمامة، أو ضوء من نافذة ينبعث منها صوت موسيقى حزينة، تدل على وجود عاشق متيم... أو يذهب بك الخيال حد تصور اللصوص، وهم يتسلقون الجدران، أو أنين مخمور يترنح تحت وطأة ثقل رأسه وتعثر لسانه. فالليل يخبّئ المفاجآت، ويستر شذوذ الخَلق والكائنات، ويملأ الخيال بقصص بنات الهوى المظلومات منهن أو الفاجرات.

وعلى هذا فالزمان والمكان يعكسان -حسب البيئة التي يختارها الكاتب- صورة المجتمع الذي يريد التحدث عنه، وما عليه إلا أن يُعمل في تلك الصور خياله وقلمه، وبأسلوبه المميز، ليصنع قصته المطلوبة.

رابعًا: اختيار الحبكة المناسبة للقصة

وهي تشبه الإخراج عند العاملين في السينما، وعلى هذا ولكي تكون القصة مشوقة وناجحة في نقل الأحداث، يجب أن تكون ذات حبكة موفقة تربط بين عناصر القصة جميعها بشكل يبدو وكأنها حدثت فعلاً.

وهي في العادة تتناول العقدة التي تكون قد تطورت من خلال الأحداث وتداخل الشخوص، لتكشف عن اللحظة الحاسمة من مواجهة الحقيقة، وهذا ما يسمونه (لحظة التنوير) قبل الشروع بتناول الحل.

وقد تستطيع بمهارتك غير العادية، من إقناع القارئ باحتمال

حدوثها، حتى وإن كانت مشبعة بالخيال وغير منطقية... فالمنطق يفقد مبرراته عندما يستمتع القارئ بنص يرضيه ويرضي أحلامه وطموحاته... كاستخدام طاقية الإخفاء، بحيث نفعل ما نريد دون أن يرانا أحد، أو استحضارنا لجنيّ ليُحضر حبيبة لنا من أقاصي الأرض، أو ليخلِّص لنا من السجن صديقًا أو قريبًا عزيزًا على قلوبنا، أو ليعيد إلى الحياة من نرغب برؤيته وإقامة حوار معه... الخ.

خامسًا: العمل من خلال القصة على نقل الأفكار التي تحب إيصالها للقارئ

كالدفاع عن المظلومين، وكشف عيوب المجتمع وظلمه، ومُحاربة بعض العادات الشنيعة، كالأخذ بالثأر أو تسلط الذكور على أخواتهن البنات، وزواجهن المبكر، أو حرمان الأطفال من التعليم، وتسخيرهم في الأعمال الشاقة... أو ببساطة، طرح قصة حالمة تجمع بين قلبين مشاعر الحب، وصراعهما مع ظروفهما القاهرة... وغيرها الكثير.

وقد يضطر الكاتب إلى استخدام الرموز، إذا ما كان الموضوع الذي يتناوله يتطرق إلى المحرمات، أو التصدي للسلطة السياسية في مجتمع يفتقر إلى الحُريات العامة... الخ.

سادسًا: اختيار النهاية

وهي لا تقل أهمية عن أي من العناصر الأخرى في القصة، بل قد تفوقها أهمية، خاصةً إذا ما كانت تتركز فيها جميع الخيوط، بحيث يصبح لزامًا على القارئ متابعتها وحتى طرح الأسئلة حولها.

وقد يشارك من حيث لا يدري بالبحث عن الحل، وقد يفاجأ بما لا يتوقعه، بحيث يتركه الكاتب رهنًا لتفسير خاص به، يتناسب مع ثقافته وفهمه ووضعه الاجتماعي...

فنجد الأسى وقد نال من قارئ مثقف، ومتسامح لنهاية تعيسة لعاشقة متيمة!

في حين نشعر بابتسامة النصر بادية على ثغر رجل بسيط، لعدالة أرادها جوابًا على عشق محرم.

وهكذا يستقبل كل قارئ القصة ونهايتها الوحيدة، بالقدر الذي يمتلكه من ثقافة وحكمة، وما ناله من تربية.

وخير وأقوى القصص، ما امتلكت نهايتها عِبرةً وهدفًا وحكمةً، تفضي إلى ما هو مطلوب منها.

وبما أنني تحدثت عن الأساليب التي يمكن للكاتب أن يتبعها في كتابة القصة... سأتطرق الآن إلى كيفية التمييز، إذا ما كانت الفكرة تحتمل أكثر من قصه قصيرة أم لا؟... كقصه عادية أو رواية، وهل هناك محددات معينه، أم أن الأمر بيد الكاتب في إطالة القصة أو تقصيرها؟ أي أن يكون ضمن القصة عدد غير محدد من الأحداث أو القصص.

إذا كان الأمر كذلك، فأنا أرى أن يأخذ كاتب القصة حُريته في القصّ، دون أن يتقيد بأي من الشروط... فطالما أن خياله خصب، ويُنتج الأحداث والشخصيات، ويستطيع أن يديرها بمهارة، ويرسمها بدقة، ويصف محيطها بريشة فنان حالم أو ثائر، تبعث وتثير المشاعر في النف س، دون أي صعوبة، حتى يصل بها إلى النهاية المطلوبة، فأنا لا أجد سببًا في التوقف، واختصار الحدث والزمان والمكان، لتحويل قصة كاملة أو

رواية رائعة إلى مسخ قصصي، خالٍ من المعنى لمجرد تحويلها إلى قصة قصيرة... وأفضّل بدلاً من ذلك، أن نكتب قصصنا القصيرة بحياد مطلق، من الرأس حتى أخمص القدمين.

وإذا وقعنا في الفخ مرة ثانية وأطلنا في الوصف، لننتج قصة طويلة أو رواية، فلنتابع ذلك حتى يستوي لنا الأمر بمفرده، وتحثنا الرغبة في كتابة عمل قصير يناسب القصة القصيرة. لأن القصة القصيرة لا تحتمل أكثر من لحظة عابرة، وحدث واحد، وشخوص محددة، تتكاثف معها كل خصائص القصة المعروفة.

(سأتناول موضوع القصة القصيرة، والقصيرة جدًا على انفراد لاحقًا).

الفصل السابع
ما هو هدفي من كتابة القصة ؟ / ١
لماذا أكتب ؟

تعرَّفنا من خلال الفصول الثلاثة الماضية، عمَّا أحتاجه لكي أصبح كاتب قصة، وشرحت بأنني أحتاج:

أولاً: الموهبة: وعرفتها بأنها: (تتمثل بالمهارات التي يلد الإنسان بها -دون وعي منه أو إدراك- وخلاصة للتجارب الإنسانية عبر ملايين السنين من التطور البيولوجي، وعلى الكم الهائل من المعلومات التي تختزنها البشرية في ذاكرتها الوراثية. وهي على صلة وثيقة بالوراثة، ولكنها لا تخضع إلى أي قاعدة أو اعتبار، له علاقة بالنواحي الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية للإنسان الموهوب «المحيط» إلا بدرجة الاهتمام الذي تحاط به تلك الموهبة منهم في تحفيزها وتنميتها وظهورها).

ثانيًا: اللغة: ولخصت امتلاكنا لناصيتها: (بالقراءة، وأفضلها هو القرآن الكريم، فهو قمة الكمال في اللغة العربية لا يشبهه في اللغة أو الأدب شيئًا، من ثم تأتي كتب الكبار من الكُتَّاب وفطاحل الأدب، وبالأخص الشعراء منهم، لأن الشعر أساس اللغة والثقافة والأدب عند العرب).

ثالثًا: الثقافة: وطريقة حصولنا عليها: (وأنه يمكننا أن نتوسع بها بالمطالعة، ونحن نختار نوعها بحسب ميولنا، وهي أصبحت متيسرة ومتوفرة بكثرة عبر وسائلها الحديثة، من إعلام وانترنت، بالإضافة للكتاب والذي هو أساس كل ثقافة

متينة، ولا يمكن أن يحل مكانه أي وسيلة أخرى مهما بلغت من الدقة).

وكنت قد خلصت إلى أن هناك الكثير من الاجتهادات، حول الطريقة التي يجب أن يتبعها الكاتب، للبدء في ممارسة فن الكتابة (اختيار المكان أو وقت الكتابة أو الموضوع).

أو الأدوات التي يستخدمها لذلك (كالورقة والقلم، ومطالعة الكتب، واستعارته لعبارات معينة خاصة به).

أما عن مراحل كتابة القصة، فلقد نوهت بالقول: (نحن اتفقنا بأن الكاتب الموهوب لا يحتاج إلى إتباع مراحل معينة للكتابة، فهو يسخر العوامل الخارجية له ولموضوعه ولا يخضع لها. ويلزمه في ذلك الثقة التامة بنفسه، وإيمانه العميق بالموضوع الذي يطرحه)... وهو لذلك قد يتبع أساليب عدة للوصول إلى نفس الهدف:

١- فإما أن يبدأ باختيار الشخصية (البطل) ثم يضعها في محيطها العام، ويدخلها في الموضوع الذي يريد أن يعالجه.

٢- أو يبدأ من الموضوع ذاته (القصة) ثم يتناول من خلالها الشخصيات، ويرسم المحيط، ويصف المكان والزمان.

٣- أو يدخل مباشرة في وصف المحيط العام (الأسرة أو المجتمع) ومن ثم يدخل الشخصيات ضمن سياق القصة ببراعته في حبكها وصولاً إلى النهاية التي يريدها.

ثم تحدثت في نهاية الفصل السابق، عن ثقة الكاتب بالنفس وإيمانه بالموضوع الذي يطرحه، وهذا يعني -بكل بساطة- أن يكون مميزًا بنفسه، وأفكاره وأدواته ونظرته إلى الناس والأشياء التي حوله، كثير التساؤل... فضولي... ويتمتع بذلك

الحس المرهف، الذي يدفعه دائمًا لخوض المجهول للوقوف على الحقيقة والدفاع عنها، طارحًا على نفسه أسئلة محددة ومهمة وهي:
لماذا أكتب؟
لمن أكتب؟
وفي أي موضوع أكتب؟

وسأبدأ من السؤال الأول: **لماذا أكتب؟**

عرفنا بأن كاتب القصة، يهدف من وراء قصصه إلى نقل حادثة معينة، بلغة أدبية راقية تخلق المتعة في نفس القارئ، من خلال أسلوبها وتماسك أفكارها، وحُسن حبكتها، ودقة رسم شخوصها وأحداثها وأجواءها الخيالية أو الواقعية، وتفضي إلى عِبرة وحل.

إذًا نحن نكتب لحمل المتعة والفائدة معًا.

قد يسأل البعض: ألا يمكن أن أكتب على سبيل التسلية والترفيه عن النفس؟

وأجيب: لِمَ لا؟... ولكن هذا قد يبعدنا عن خط الالتزام بالهمّ العام، ويفقدنا التأثير المطلوب على الجمهور، ولا يعطينا حقوق الكاتب المميز، الذي يسعى إلى إيصال رسالته إلى الآخرين، وصولاً إلى العالمية.

فنحن بكل بساطة لا نكتب قصة -وهو محور حديثنا- بل نكتب أعمالاً شخصية بحتة، ومنها المذكرات أو اليوميات، وقد تثير اهتمام البعض، إذا ما تناولت شأنًا يمسهم، أو ناقشت أمرًا يشاركونك مشاعرك فيه.

وقد يتحول إلى عمل أدبي بامتياز، إذا ما صيغ بلغة أدبية رشيقة، وتميز بخيال خصب، وحمل الفائدة المرجوة منه في الحصول على المتعة والعبرة والحل.

وضمن نفس الإطار، نستطيع أيضًا أن نكتب عملاً قصصيًا، يحمل همًّا شخصيًا، دون أن نتحدث من خلاله في الشأن العام، وهو تحصيل حاصل، لأن كل منا هو جزء من كل، فأنت كفرد من مجتمع لديه نفس الهموم والمشاكل، الآمال والأحلام والطموحات... وبالتالي فإن كتاباتك مهما كانت شخصية، لا بد أن تمس -بطريقة أو بأخرى- ما يشعر به الآخرون من حولك... أنت لست بأكثر من مرآة تعكس وجوه الآخرين، بكل ما تحتويه من شقاء أو سعادة... يشبه كل واحد منكم الآخر.

ولهذا يمكن لأي عمل أدبي أن يحمل همًا شخصيًا يثير الاهتمام، وذلك من خلال أسلوب الكاتب الخاص، بنوع الكتابة واللغة التي يستخدمها لملامسة مشاعرهم، ودخول عقولهم، والسكن في قلوبهم... (وهذا ما سأعود للتحدث عنه في الفصول التالية، حول اللغة والفصاحة والبلاغة والثقافة).

ولكي ننجح في كتابة قصة، تحمل المتعة والفائدة، وتناقش همًّا شخصيًا أو عامًا أو إنسانيًا شاملاً... فعلينا الاهتمام بالخطوات التالية:

١- ألا تكون عجولاً أو لجوجًا:

فمن خصائص الكاتب الناجح، هو التمهل والتمعن طويلاً فيما يكتب، وإذا استعصت عليه عبارة ما؛ أن يترك مكانها شاغرًا، بنقاط عدة أو ملاحظة تفيد المعنى، ليعود إليها فيما بعد، حتى لا يفقد سلسلة أفكاره.

وإذا كانت أفكاره أسرع من يده وقلمه، وتدفقت بعض الخواطر الجديدة العارضة تبحث عن مكان ليس لها في جملة ما أو سطر (وهذا ما يحدث غالبًا عندما تنهال علينا الأفكار فجأة)، فليستعِن بترك ملاحظات وحواشي على ورقة جانبية، يعود إليها لوضعها في مكانها الصحيح.

٢- اختيار الموضوع المناسب:

وهو في الغالب يعكس همنا الخاص، في بحثنا عن الكمال في الغير والمحيط، والعدالة المفقودة، وقد يكون وليد مشهد ما أو حادثة عابرة مؤثرة، أو نتيجة وحي يسقط علينا فجأة ودون أي موعد مسبق كالإلهام... والإلهام هذا الهابط علينا من الغيب، هو أعلى درجات الخلق والتصوير، وقد تكلمت عنه وتساءلت: هل يَصنع الإلهام أم يُصنع؟

هل يصنع الإلهام المبدع أم هو صنيعه؟

سؤال قد يبدو بديهيًا، ولا يختلف عليه اثنان، على أساس أن معظم من عايش الإبداع على أنواع فنونه، قد أنجزوا أهم أعمالهم، وهم تحت تلك السيطرة (الميتافيزيقية) الخارقة والخارجة عن حدود الزمان والمكان، والتي تهيمن على عقولهم، فتجعلها حبيسة فكرة واحدة مسيطرة، تقتحم عليهم هدوئهم وصفاء ذهنهم دون عُذر، ولا تتركهم إلا بعد أن تملي عليهم شروطها!... حتى إذا ما انتهوا من خط ما أوحي لهم، تفاجئوا بما خلصوا من عمل، وكأنه من فعل غيرهم لا شك! وهذه الحالة هي ما نطلق عليها الإلهام.

ومن ثم عدت لأتساءل: هل الإلهام هو من يصنع الأديب، أم الأديب هو من يصنع الإلهام؟

وهل الإلهام ضرورة للإبداع، يُفرض علينا من الخارج؟ أم هو نتيجة حتمية لاهتمامنا في موضوع ما، يقوم الذهن في لحظات انشغالنا في حياتنا اليومية بالإعداد لها، وتجهيزها ورفدها بالحجة والخيال، ليطرق باب وعينا دون استئذان، وفي أي وقت ومكان؟

وهل حالات الكتابة التي يغرق فيها الكاتب بين شخوصه، وأحداث قصصه ومواضيعه، ما هي إلا حالات من الغياب عن الوعي؟ يحلِّق الكاتب فيها إلى عوالم بعيدة عن ذاك الذي يعيشه، فإذا ما انتهى من خط سطوره، التفت حوله ليجد نفسه في مكان غير ذاك الذي توقع أن يكون فيه؟!

وقد تمر ساعات وهو يقلب بأوراقه التي يخطها، دون أن يشعر بأن المحيطين به قد تغيروا وتبدلوا، وبأن يومًا كاملاً من حياته قد انقضى دون أن يتحرك من مكانه؟!

من الصعب جدًا التأكد من كل هذه الحالات، ولكن ما هو واضح ولا يقبل مجالاً للشك، هو الصيحة الكبرى التي يصيحها الكاتب أو العالم أو الفيلسوف: (لقد وجدتها... لقد وجدتها!).

وبالرغم من أن الكلمة لا تعني على وجه الخصوص عدم وجود تلك الفكرة من قبل، بل هي لم تكن أكثر من نتيجة لبحثٍ مُضنٍ، قد تناوله عقله لإيجاد حل لمعضلة أطال بها التفكير، وكانت ضائعة عنه وقد وجدها.

وهذا لعمري ما كان يستنجد به فطاحل الشعراء، وكانوا يسمونها بشياطين الشعر، فإن حضرت؛ حضر معها إبداعهم وفنهم ورسالتهم التي أرادوا إيصالها... وإن غابت، غاب عنهم بلاغتهم وفصاحة لسانهم.

وقد يطول هذا الأمر ليشمل خمولاً في الإبداع تتجاوز عددًا من السنين.

وهذا ينقلنا إلى السؤال التالي:

هل هي حقًا شياطين الشعر تلك التي غابت؟

هل الإلهام هو الذي استعصى؟

أم أن الأمر لا يتعدى كون المتلقي قد فقد حوافزه واهتماماته، وبالتالي فقد إلهامه وشيطان شعره؟

وحتى لا أخوض فيما لا أعرف، وأنا لا أملك أي مصدر علمي يرفدني بأجوبة منطقية، ويدعم فكرة انطلقت من هنا وعبارة سقطت من هناك، سأحاول قدر المستطاع نقل تجربتي في هذا الموضوع، وأنا على يقين بأنها لن تكون بعيدة كثيرًا، عن غالبية من عايش أي فن فيه إبداع على أنواعه ومنها الكتابة.

فمن منا على سبيل المثال، لم تسيطر عليه فكرة ما، أو موضوع أو مشروع تمنى أن ينجزه، ولم يستجيبوا لنا إلا في مكان وزمان لم نتوقعه، وفي ظرف لم نحسب له حسابًا؟

ومن منا لم يستيقظ، ليخُطّ عبارة ويتفقد جملة ويصحِّح فكرة، أو يكتب قصة أو رواية أو مقالة، دون سابق إنذار وفي مواضيع لم يكن يتوقع الخوض فيها؟

بل سأذهب أبعد من هذا لأقول: من منا لم يفاجئه هبوط جواب لمعضلة ما كان يبحث عنه، وهو يمارس حياته اليومية، فإذا ما أهمل تسجيله أضاعه، وحزن عليه، كما يحزن الفارس على كبوة حصانه؟

في الحقيقة لقد عايشت أكثر من هذا في سعيي لتسجيل لحظات الإلهام تلك، منذ أن وعيت الحياة وأدركت أهمية تلك

اللحظات المهيبة العظيمة التي تسيطر علينا، حيث تذهب بنا إلى عوالم من الخيال المليئة بالعفة والصدق، وتسكنها الحُجة، وتزدهر في أرجائها تلك المتعة الروحية، في اكتشاف ومعاينة ومعالجة الحياة، والتقرب إلى المعرفة وهي بتول، لم تمسها يد طامع بعد، ولم يشوه نقاء منبعها الصافي أثيم.

ونكبر وتكبر معها تجربتنا وخبرتنا واكتشافنا للعالم المحيط حولنا، فلا نجد أي ملجأ آمن لنا للحفاظ على أحلامنا الطاهرة، إلا تلك اللحظات الرائعة التي يهبها لنا الإلهام، فنستدرجه بما اكتسبناه من خبرة، ليحملنا على جناحيه ونخُطُّ بمعيته أجمل أعمالنا.

من ناحية ثانية، وعودة إلى اختيار الموضوع المناسب، فأنا لا زلت أذكر إلى الآن أولى تجاربي في كتابة القصة، من خلال مطالعتي لصفحة الأخبار والحوادث بالصحف، حيث كنت أنقل الحوادث المؤثرة فأبني عليها قصتي، بعد أن أشكِّل عناصرها بدقة... فإما أن أنهيها كما انتهت على حقيقتها، أو أنحو منحى العثور على الأعذار للفاعل، بتحليل دقيق لشخصيته وظروفه الاجتماعية، أو أترك الحل معلقًا غامضًا يثير السؤال، ويترك القارئ بين الشك واليقين عما حدث.

٣- الأسلوب المناسب:

في استخدام اللغة القوية البليغة، بحيث نؤثر باختيارنا لمفرداتها المعبِّرة والبسيطة بنفس الوقت، على مشاعر القارئ....

وهذا ما يسمونه بالسهل الممتنع، وهو يختصر براعة الكاتب في صياغة نصه بإتقان فريد، بعيدًا عن التعقيد، سهل الفهم

وبليغ العبارة... وهكذا نخرج بنص فصيح وبسيط، ويحمل الهدف الذي كُتب لأجله...

فيتحقق الجواب على سؤالنا: لماذا أكتب؟

(موضوع البلاغة سأعود إليه على انفراد).

الفصل الثامن
ما هو هدفي من كتابة القصة ؟ / ٢
لمن أكتب ؟

تحدثتُ في الفصل السابق، بأنني لكي أكون مميزًا في كتاباتي وطرحي، يجب أن أسال نفسي الاسئلة التالية:

- لماذا أكتب؟
- لمن أكتب؟
- وفي أي موضوع أكتب؟

وكنت قد تحدثت حول السؤال الأول، لماذا أكتب؟ بما يلي: (نحن عرفنا بأن كاتب القصة، يهدف من وراء قصصه إلى نقل حادثة معينة، بلغة أدبية راقية تخلق المتعة في نفس القارئ، من خلال أسلوبها وتماسك أفكارها، وحُسن حبكتها ودقة رسم شخوصها وأحداثها وأجواءها الخيالية أو الواقعية، وتفضي إلى عِبرة وحل... إذًا نحن نكتب لحمل المتعة والفائدة معًا).

وفيما يلي سأتحدث حول السؤال التالي: **لمن أكتب؟**

نحن نكتب عادةً لجمهور الناس، أو من يُطلق عليهم صفة العامّة، ومنهم القارئ المثقف الذي يحب ويتذوق فن القص ويحتاجه.

ولكي نحقق الهدف من كتابتها، يجب أن تكون قصصنا قريبة منه، ومن همومه اليومية العامة وتناقشها وتجد الحلول

المنطقية لها... أي أن تكون كتاباتنا موجهة لقارئ متذوق لفن القصة ويحتاجه... وذلك لأن إحدى أهم وأجمل الصفات البشرية التي فطرنا الله عليها، هو حُب الإنسان للتعلُم، أيًّا كان نوع العِلم، وذلك لاكتساب المعرفة والخبرة، وجعل الحياة عليه أكثر أمانًا وراحةً وسهولةً.

ولتحقيق ذلك فهو يحتاج للتواصل مع محيطة لاكتساب هذه المعرفة، سواءً كانت منقولة كخبر، أو مطبوعة على ورق (كالمجلات والصحف والكُتب) كما كانت الحال في الماضي. أو عبر وسائل الاتصالات المرئية والمسموعة كالإذاعة والتلفزيون والسينما فيما بعد، أو عبر الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي، كما هي الحال اليوم.

هذا بالإضافة إلى المجالس، التي يقيمها الأعيان والتجار والموظفين الكبار والمثقفون، وحتى البسطاء والميسورون من الناس، كل منهم في منزله أو بالقرب منه، وهي قائمة إلى يومنا هذا، في عدد كبير من بلداننا العربية، ومنها البلدان الخليجية، حيث تقوم بهذا الدور الاجتماعي والثقافي الرائع، تروي الحكايات الغريبة الجميلة فيها، وتنقل الأخبار، وتلقى الأشعار... الخ.

قد يسأل سائل: عن ماهية هذه المجالس، ومن أين جاءت؟

المجالس الحديثة اليوم، هي عبارة عن صالة استقبال كبيرة في بيت واسع (كانت فيما مضى عبارة عن حجرة تتبع الخيمة تسمى «الربعة»)، حيث يقوم شيخ القبيلة أو العشيرة أو مسئولو الدولة (منهم وزراء وشيوخ وأمراء) باستقبال ضيوفهم وزوارهم، من داخل القبيلة أو من خارجها... وبعض هذه المجالس لازالت إلى اليوم تأخذ شكل الخيمة (كان

يطلق عليها سابقًا «بيت الشَعر» أيضًا)، حتى داخل الدور أو الفِيلاّت الفاخرة أو القصور... ولكن أصبحت مكيفة وأكثر راحة من قبل. حيث يتبادل الحاضرون فيها الآراء، والأخبار المحلية والدولية، ويتناقشون حول أمورهم وشؤونهم العامة والخاصة، وتلك التي تتعلق بالعلاقة بين القبائل والعشائر والعائلات، أو حتى الموظفين والخدم، وحل المشاكل فيما بينهم، حسب العُرف والدين، دون اللجوء إلى الشرطة أو القضاء.

وقد أضيف لهذه المجالس لون حداثي، يتمثل بمناقشة الأعمال وعقد الصفقات التجارية، وتبادل المعلومات الخاصة بأسواق المال والبورصة... الخ.

أما عن سبب إطلاق تسمية «بيت الشَعر» على الخيمة العربية؟...

فذلك لأنها -وكما هو واضح من اسمها- قد صُنِعت من نسيج مكوَّن من شعر الماعز، وصوف الضأن المغزول مع بعض الدهن، حتى تصبح أكثر قوة ومتانة، تستطيع أن تقاوم حرارة الشمس، وتصد الرياح، وتمنع الرمال، وتحمي قاطنيها من تسرب المياه عند هطول الأمطار. وهي تُنسج (بعد أن يتم صباغتها بالألوان المطلوبة) وتُصنع وتُزخرف بأيدي المرأة البدوية الماهرة، حيث تظهر بوضوح قيمة أعمالها، من خلال الرسوم التي تبتدعها، والألوان التي تستخدمها... وهذا ينطبق على حجم القبيلة ومكانتها، وأصحاب تلك الخيام ومركزهم الاجتماعي فيها.

هذا فيما يخص الحياة الاجتماعية والثقافية، وطرق التواصل عند العرب البدو... أما عند الحضر وأهالي المدن الأكبر حجمًا،

فلا تختلف هذه العادة كثيرًا عند عرب الشام مثلاً، حيث يُطلق عليها «المضافة»، وهي تقوم بنفس عمل المجالس التي تم انشاؤها حديثًا، وانتقلت من بلد عربي إلى آخر. وتستخدم بالإضافة لاستقبال الضيوف والزوار، واستضافة وإيواء العابر أو المقطوع منهم (حيث تحل محل الفنادق التي لم تكن موجودة من قبل)؛ إلى إقامة الأفراح، وتقديم التعازي في الأتراح.

أما عن دورها الثقافي، فهي بلا شك ملازمة لما يتبادلونه فيما بينهم من أخبار وأحداث جرت لهم، أو لأحد من أقربائهم، أو ممن التقوا بهم في حياتهم... مع ما قد تتضمنه من الابتكار والكثير من الخيال!...

ولمَ لا... قراءة الروايات والقصص والأشعار وقد يتبادلونها فيما بينهم... وهذا يعود إلى هواية صاحب المضافة، وميوله ومستواه التعليمي والثقافي، ومكانته الاجتماعية... ويمكنكم القياس على ذلك، فيما يخص بقية الفنون من رسم وموسيقى... الخ.

قد تستغربون وتسألون: كيف كانت حالهم قبل توفر الكهرباء، ووجود الراديو والتلفاز، خاصةً ممن لا يعرف القراءة والكتابة؟!

ما هي وسيلتهم للتسلية ونشر الوعي والثقافة بينهم؟

من الطبيعي، ألا يتمكن الجميع من الذهاب إلى دور الضيافة، لكي يتواصلوا مع محيطهم ويرفهوا عن أنفسهم فيها، فهم يحتاجون لذلك، لمكان بحجم ملعب كرة قدم!...

وحتى لا اتوسع كثيرًا بالشرح وأخرج خارج الموضوع، وهو كبير ومتشعب ويحتاج للكثير من الكتب والدرس... أختصر

لأقول: بأن المدن في تلك الأيام، كانت تضم فيما تضم، بعض الفنادق والمطاعم والمقاهي لخدمة العابرين أو المسافرين، بعضها كانت تتواجد في الأحياء القديمة من المدينة، حيث يوجد في كل حي منها مقهى خاص به، يجتمع فيه الأهالي والأصدقاء، لتبادل أطراف الحديث، أو لعب الطاولة (الزهر) أو أوراق اللعب (الشدة، الكوتشينة)... وكانت تُحيى في بعضها الأمسيات الروائية والقصصية والشعرية، حيث يقوم الراوي (الحكواتي) بإلقائها عليهم بأسلوبه الخاص المميز، خاصةً في شهر رمضان بعد الإفطار.

ويجب أن أضيف هنا، ما للمسجد من دور مهم في التواصل مع الناس، وإيجاد حلقات للدرس لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي فيها.

أما جمهور القُرَّاء، والقصد طبعًا أولئك الذين يجب علينا أن نتوجه إليهم في كتاباتنا، فأنا أري بأن أفضل وأول المستمعين والقُرَّاء لأعمالنا الأدبية، هم أقرب الناس إلينا من الأهل والأصدقاء وزملاء الدراسة أو العمل... ولهذا يجب ألا يتردد الكاتب الناشئ من قراءة ما يكتب عليهم، لرصد ردّات فعلهم عليها، وسماع رأيهم فيها، قبل نشرها وتعميمها على الناس بشكل أوسع... بأن يكون واثقًا من نفسه، جريئًا في التعبير عما يجول بخاطره من صور وأفكار، لا يتردد ولا يخجل أو يخاف، ولا يهاب أخطاءه إن هو بها تعثر.

لا شك بأن للأسرة دور كبير وفاعل، في نمو وتنشيط موهبة السرد والكتابة عند الكاتب الموهوب منذ طفولته، وذلك بسرد الحكايات الجميلة عليه، وتشجيعه على المشاركة فيها، بشكل يجعل هذا الموضوع مألوفًا بالنسبة له، لا يسبب أي

ضيق أو حرج، خاصةً عندما يأخذ دوره في السرد والقص.

أنا لازلت أذكر إلى اليوم، كيف كنت أقصّ على أهلي وأقربائي وأصدقائي الحكايات التي كنت أنسجها من وحي خيالي، أو تلك التي أقوم على تحويرها عن فيلم رأيته، أو مسلسل تلفزيوني شاهدته، أو قصة قرأتها.

ولا زلت أذكر أيضًا، حجم المفاجأة والاستغراب التي كنت أقرأها على وجوه من يستمع لي، وحجم نشوتي وسروري.

أما في زمننا المعاصر، حيث حلَّت وسائل الاتصالات الحديثة، محل ما هو مألوف من قبل،

كمواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات، التي ساهمت في اختصار المسافات بين الناس جميعًا، على اختلاف أنواعهم وألوانهم وجنسياتهم، جسديًا وفكريًا ومهنيًا، وحوَّلتها إلى مجتمعات صغيرة، تشبه القُرى الصغيرة المليئة بالحركة والنشاط، خاصةً المواقع والمجموعات والصفحات والمنتديات الأدبية المتخصصة، والتي تُدار بواسطة أساتذة مؤهلين بالأدب، أو من له دراية وخبرة في الكتابة والقص، ويوجد بها ورشات جديّة في شرح وتعليم فن الكتابة ومتابعة تجارب الكتاب الجدد... وفي مقدمتها موقع القصة السورية (www.syrianstory.com) الذي أنشأه ويشرف عليه ويديره الأديب الروائي والكاتب الصحفي السوري «يحيى الصوفي» منذ عام ٢٠٠٤ من القرن الماضي إلِى اليوم.

أما فيما يخص بعض المنتسبين إلى تلك المنتديات، من الكُتَّاب الشباب وبالأخص من الجنس اللطيف، واستخدام بعضهم لأسماء وهمية فيها!... فأنا لا أميل إلى هذا الأسلوب أبدًا، لأنه يدفع الكاتب إلى ارتكاب الكثير من الأخطاء، دون أي

جهد من طرفه لتصحيحها، ويشعر بأنه غير معني بذلك... هذا بالإضافة إلى ما يمكن أن يُصاب به من غرور، إذا ما كانت تعليقات المشاركين معه فيها الكثير من الإطراء... لا يقبل بعدها أي نقد أو تصويب!

ولهذا إذا ما كان جادًا حقًا في تعريف الناس به وإلى أعماله، عليه أن يتصرف كشخص مسئول، كما هو عليه في الحياة... له اسم وصورة يُعرف بهما، وألا يستحي أو يخجل من إبداء رأيه بمنتهى الصراحة والوضوح والثقة، وأن يكتب ما يشعر به دون تردد أو خوف... والأفضل أن يتمتع المحيطين به بنفس الصفات.

نحن هنا نتكلم عن شباب مثقف واع له رسالة يرغب بإيصالها إلى الغير، ويملك في جُعبته الكثير من الأفكار لطرحها أو تطويرها، ووضعها في سياقها المطلوب... ولهذا لا أجد أي سبب لأن يبقى متخفيًا خائفًا من الظهور... هو بكل الأحوال لا يرتكب إثمًا.

الكتابة عز وشرف وقوة لمن اكتسب ملَكَتَها، وقادر على التحكم بها وتطويعها لأغراضه النبيلة.

وبالتالي، إلغاء كل الحجج، بخصوص الكتابة في مواضيع قد تسبب الحرج لصاحبه، خاصة إذا كانت فتاة، ويتناول تجربة شخصية لها، وهي تعيش في عالم منغلق ومتعصب، قد يشهِّر بها أو يمس كرامتها بسوء... والأفضل لها أن تكون على تواصل جيد مع أقرب المقربين إليها من أهلها، والديها وأخوتها، وأصدقائها... أن تتبادل الأفكار التي ترغب بالكتابة حولها معهم، وأن تستمع إليهم، وتأخذ بنصائحهم... وأن تترك المواضيع الخاصة جدًا جانبًا، خاصةً تلك التي لا تملك خبرة

كافية حولها... وتبدأ تجربتها بالكتابة حول أمور عامة يهتم بها الجميع، تتعلق بالعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص وحقوق المرأة والطفل، البيئة والمجتمع، والطبيعة وما حولها... الخ.

أما إذا ما كانت ترغب بالكتابة، حول ما يشغل بالها بأسلوب مموه، فلا شيء يمنعها من ذلك، فهي إحدى الوسائل المتاحة الناجحة لها، لتحاشي أصابع الاتهام من أن تُوجه إليها.

وأنا أفضِّل أن يطلق الكاتب العنان لخياله الخصب، ويكتب كل ما يمكن أن يجول بخاطره من أفكار، مهما كانت حساسة أو شخصية... ألا يتردد في البوح عما يشعر به، أن يستمر بذلك دون توقف، حتى ينتهي منها، ويشعر بأنه قد أفرغ كل ما في جوفه من مشاعر... ليجلس بعدها، يتحسَّسها ببصره ووعيه وقلبه... لا شك سيفاجأ بأن شخصًا آخر قد أملى عليه كلماته وسطوره ومشاعره، وبأنه كان -بطريقة أو بأخرى- بحضرة قرينه؛ شيطان شعره، دون أن يدري!... وسيصرخ بعدها بأعلى صوته: آه... يا إلهي... أشعر بسعادة غير عادية وأنا أقرأ ما كتبت... وكأنني أجد -من خلال كلماتي- بعضًا مما أشتهي وأريد.

الحرية... الثقة بالنفس... الاطمئنان... والسعادة والأمان... إنها تجعل من الأشياء الصعبة وكأنها أمر عادي يمكن الحصول عليها دون أي جهد يُذكر!

بالإيمان... إيماننا بأن ما نقوم به من عمل هو حق شرعي لنا... لا يمكن لأي كان منافستنا عليه أو منعنا عنه... ولهذا يصبح كل ما نبذله من جهد من أجل تحقيقه، هو نوع من المغامرة محسومة النتائج مسبقًا، لأنها تستمد قوتها من عدالته.

بعد ذكرنا للوسائل الحديثة من مواقع تواصل اجتماعي،

ومنتديات، ومدونات شخصية... ألا يجب على الكاتب أن يطل على جمهور القُرَّاء من خلال الصحف والمجلات؟

ولِمَ لا فيما بعد طباعة كتبه، والظهور بوسائل الإعلام؟

سؤال لا بد أن طرحه الكثيرون منكم على نفسه...

فهذا حق طبيعي وشرعي له... فللقائنا مع الجمهور وسيلتان:

الأولى: أن يذهب الكاتب باتجاه جمهوره من القراء، عبر الوسائل التي ذكرتها منذ قليل، ليعرِّف بنفسه وأعماله... ربما إذا كان مقنعًا وممتعًا فيما يقدمه لهم من أعمال تسحرهم، ينجذبون إليه ويتابعون كتاباته فيما بعد.

والثانية: أن يبحث الجمهور عنه... ولا يتم ذلك إلا إذا استطاع أن يمدهم بالغذاء النفسي والروحي والمعنوي الذي يحتاجونه... أن يصبح كاتبهم المفضل بلا منازع، مصدر الأوكسجين الذي يمدهم بالحياة، الحرية، والأمل.

دون أن يرتبط ذلك بكثافة الأعمال أو الدعاية والحضور... بل بأصالة ما يكتبه الكاتب... فقيمة العمل الأدبي بجودته وليس بكميته.

لهذا نجد الكثير من الأدباء الذين لم يكتبوا سوى عمل واحد ناجح وكان سببًا لشهرتهم... وبعضهم كتب عشرات الأعمال، ومع ذلك لم يصادف النجاح إلا عدد قليل ومحدود من أعمالهم.

البعض الآخر، يكتبون أنهارًا من الأعمال بشتى المجالات، ولم يبلغ أي منها النجاح أو القبول!

لأن القارئ بشكل عام، هو من يحمل قرار حياة أو موت الكاتب، من خلال تقبله أو رفضه لأعماله... والعمل المقبول

من قِبله، هو العمل الجيد فقط، الذي يلامس شغاف قلبه، ويدغدغ روحه، ويحقق أمانيه، ويحمله إلى أحضان حلمه، كريشة خفيفة لا وزن لها، ثمل مما عبَّ من إبداع أنامله الساحرة... دون أن يفقد توازنه أو وعيه، أو يبرح مكانه قط.

الفصل التاسع
ما هو هدفي من كتابة القصة ؟ / ٣
في أي موضوع أكتب ؟

بعد أن تحدثت وأجبت على السؤالين:
- لماذا أكتب؟
- لمن أكتب؟

جاء الدور أخيرًا لكي أتحدث بهذا الفصل حول: **في أي موضوع أكتب؟**

كنت قد قدَّمت لهذا الموضوع -خلال الفصول الأولى من هذا الكتاب- لمحة مقتضبة عنه، معتبرًا بأن تعلُق الكاتب بالمواضيع التي يحبها، تكون دائمًا المدخل السهل للبدء في الكتابة حولها، ومعالجتها بشكل درامي... لأنها تلامس -بطريقة أو بأخرى- بعضًا من نواحي حياته العاطفية أو الاجتماعية (طفولته، أحلامه، آماله وأمانيه، أو علاقته مع أهله وأصدقائه، محيطه المهني والاجتماعي... الخ). أو يخدم مبدأ ما يؤمن به ويرغب في إظهاره وعرضه والدفاع عنه.

إذًا فالموضوع هو الابن الشرعي الوحيد لبنات أفكار الكاتب، يجسِّد موهبته وبراعته في القص، وتحكُمه في النص بكل ما يحتويه من عناصر من خلاله، متسلحًا بقوة الحجة، واثقًا بأنه قادر على إيصال القارئ إلى الجهة التي يريدها، وإلى النهاية التي خطَّها، وهو مُذعن لما يسمع، مستسلمًا ومسلمًا لما يقرأ.

وبتفصيل أكثر... يبدأ الكاتب دائمًا بنفسه، أو بمحيطه القريب، للتعبير عما يريد قوله من خلال الكتابة عنه... ذلك لأنه يملك تفاصيله، ويعرف خفاياه أكثر من غيره... ويكون وسيلته للغوص في مواضيع أكثر بُعدًا عنه وعن محيطه الصغير، إلى أعماق لم يكن يتوقع الوصول إليها.

ولهذا فغالبًا ما تبدأ تجربة الكتابة لدى الكاتب بحادثة... ممكن أن تكون قصة حب (خلال سنين المراهقة)، أو فقدان أحد المُقربين إليه من أفراد أسرته، أو أصدقائه، أو يعيش ظروفًا قاهرةً تتعلق بالحالة الاجتماعية والنفسية والمالية للعائلة (عائلة كثيرة العدد قليلة المردود، خلافات عائلية، البيئة المحيطة بها... الخ). أو منظر مؤلم لكارثة إنسانية شاهدها في نشرة الأخبار أثَّرت به، أو حتى صراع على البقاء بين حيوانين، التقاهما في الطبيعة صدفة، كل واحد منهما يدافع عن لقمة عيشه وحياته، بما فطره الله عليه من قوة... الخ.

أو اقتراب ومعايشة الكاتب لهموم الناس من خلال مهنته... كالطبيب والمحامي والمعلم والصحفي والحرفي... وهو ما يفسِّر ظهور أدباء روائيين وقصاصين هواة من تلك الأوساط... ما لبثوا أن أصبحوا من كبار الكتاب والروائيين في العالم... حيث برعوا في كتابة ووصف معاناة المواطنين، ونقلها بشكل شفاف وصادق على الورق، وصولاً إلى منحها ما تستحق من الاهتمام، كتوفيق الحكيم (محام)، ومصطفى محمود (طبيب)، يوسف إدريس (طبيب)، عبد السلام العجيلي (طبيب)، وزكريا تامر (حداد)، وحنا مينة (بحار)... وغيرهم كثيرون.

أو مجرد قراءة لقصة أو رواية وقعت بين يديه، وجذبه أسلوب

الكاتب فاختطف انتباهه، ثم وعيه، ووقع في غرام كلماته... وبالتالي شجعه هذا على الإمساك بقلمه ليبدي رأيه أو يسجل ملاحظاته... ليجد نفسه فيما بعد أسير نص يخطه بأنامله دون وعي منه، يستحق القراءة والنشر... وهكذا يوُلد الكاتب، وتولد معه رحلة الإبداع.

وكمثال على ذلك... ما تحدثتُ به منذ قليل عن قصص الحب أثناء فترة المراهقة، كوسيلة لاكتشاف موهبتنا في الكتابة، وحسب معرفتي، لا يوجد صديق أو صديقة ممن عرفتهم إلا وعبَّروا عن هذه الفترة بقلمهم، وجادوا وأبدعوا في وصف حالتهم النفسية، وتكلموا عن مشاعرهم...

وما أن تمضي بضع سنين، حتى تنطفئ هذه الشعلة، ويعود كل واحد منهم إلى ما كان عليه من قبل!... ذلك لأن مشاعر المراهقة هي أصدق مشاعر يمكن أن يعيشها الإنسان في حياته كلها، لأنها لا تخضع لقانون، سوى قانون القلب الذي لا يعرف الرياء.

وقد كتبت عن ذلك في أحد أعمالي ووصفتُه قائلاً: (عرفتُ بعدها بأن حُبَّ المراهقين أكثر صدقًا وعفويةً وبراءةً، وبأن القصائد التي كنت أقرأها عن الشعراء العُذريين لم تكن وهمية، وبأن البطل فيها يغفر لحبيبته كل هفواتها، ولا يرى فيها رغم مرور السنين، إلا لحظات السعادة التي غمرت قلبه وحفرت في كيانه!... وبأن مشكلتنا مع هذا الحب الخاطف، هي أننا لا ندركه في حينه، ولا نعترف به، وسرعان ما نغلق باب القلب دونه!... فكما تحل علينا الجراءة والقوة للاعتراف به، والدفاع عنه بكبرياء وغرور -على أنه هو من سيحقق لنا وجودنا ويفرض على الآخرين استقلالنا- ينتابنا نفس الغرور

والكبرياء، بأننا لن نسمح لمن يقاسمنا الحب بالتصرف بحياتنا ومستقبلنا!... ولا نعترف بقيمة ذلك الحب وصدقه وعفويته، إلا بعد أن نخوض تجارب أخرى، نلتقي فيها ولأكثر من مرة مع من نُعجب به ونحبه ونعاشره... لنكتشف فيما بعد، بأن كل العلاقات التالية لذلك الحب هي علاقات مبنية على الخداع والكذب والمصالح!... وبأن حب المراهقين ذاك، يبقى من بين كل ما عرفه وعاشره، هو الأنبل والأسمى... بالرغم مما يجلبه في بعض الأحيان من أذى للأهل وحسرة للمحبين!... فطوبى لمن عرف ذلك الحب الطاهر، وطوبى لمن سعى للحفاظ عليه، وتوجه بزهور وثمرات تملأ حديقة حياته بالهناء والحبور).

لا شك بأن هذا الوصف هو أجمل ما يمكن سماعه حول هذا الحُب!

غالبًا ما تبدأ تجربتنا الإبداعية في هذه المرحلة بالاقتباس... الاقتباس من أعمال لكبار الأدباء والشعراء، يُعبِّر عن الحالة التي نعيشها... ثم نبدأ بإضافة بعضًا مما نعتبره حالة خاصة جدًا بنا لم تستطع الكلمات المقتبسة التعبير عنها.

وهكذا، وكطفل صغير يتدرب على النطق ثم الكلام... تولد أفكارنا ومشاعرنا من رحم تجربتنا الخاصة... وتبدأ تعابيرنا تأخذ مكانها شيئًا فشيئًا لتحتل الصفحة بكاملها، وتطرد فيما بعد كل غريب عنها، مهما بلغت فصاحته وعلا شأنه!

لقد وُلِد النص... وولد معه الكاتب صاحب النص.

وإذا من سؤال مهم لا بد قد شغل بال الكثيرين منا، عن مستقبل هذا الابداع الطارئ، وأسباب اختفائه من الوجود... بدلاً من الصعود إلى القمة!...

بكل بساطة... يصبح ضحية سهلة في زحمة الحياة ومتطلباتها... حيث تضيع كلمات الإبداع وتطوى في أدارج النسيان.

قِلة منهم من يأخذ زمام المبادرة، وينفض الغبار عنها، ليعيش لحظاتها، ويتوسع في الكتابة فيما يشبهها من حالات مرَّ بها... ليس بالضرورة أن تكون قصة حب...

ولهذا نجد الطبيب، المهندس، والمحامي، الفنان والمعلم، التاجر والمهني... الأديب!

هذا ما يحدث غالبًا في البلاد العربية، لأن مهنة الكتابة فيها لا تطعم خبزًا!

وأنا لا أقصد طبعًا بأن الكاتب يفشل في الوصول إلى هدفه، بإيصال أعماله كونها تناولت همًّا شخصيًا ولم تناقش موضوعًا عامًا، ليترك الكتابة وشأنها!... ذلك أن الكتابة عن المشاعر ليست شأنًا خاصًا، إنها تتناول إنسانية الإنسان، تلامس كيانه في الصميم.

الأديب، الكاتب، الشاعر، لا يمكن أن يكون كذلك إذا لم يكن ذا حس مرهف ويملك مشاعر فياضة. على اعتبار أن هذا النوع من الكتابة، ينتمي إلى القليل مما هو خاص ويتقبله الجميع!

فالكاتب الماهر يستطيع صياغة أعماله التي تتناوله أو تتناول المقربين منه، بأسلوب ينفذ من خلاله نحو الجهة الأخرى من العالم. فهو يكتب المواضيع التي تتناول الشؤون الخاصة أو العامة للمجتمع فيخاطب -من خلال أسلوبه المميز وخياله الخصب وقوة الحجة- روحه (المجتمع)، فيحمله بكلماته العذبة إلى عالم مليء بالخشعة والطهارة والصدق، ويلامس خياله ليأخذه من خلال الصور البديعة التي يرسمها له، إلى

حيث يستجدي الأمل الممنوع عنه فيجعله قريبًا منه.... ويؤثر على عقله فيعلّمه المجادلة، ويهديه طريق الحكمة، فيهذّبه ويربّيه ويثير لديه التساؤل.

وخير الكتابة تلك التي تتلون -من خلال معالجتها للشأن المحلي- بلون إنساني تتجاوز من خلال طرحها على القارئ -المحلية والإقليمية- إلى العالمية، بحيث يستطيع أي قارئ في أي بلد من العالم، من تذوق وفهم وتقبل والتفاعل مع الحدث، لحمله للعناصر الإنسانية بمفهومها العام (كالحُب والعدالة).

وهذا لا يعني بأننا لا نستطيع تطبيق هذا المفهوم، على القصة القصيرة والقصيرة جدًا، كون المعالجة الدرامية تحتاج إلى الكثير من التفاصيل... بل يعتمد على مهارة الكاتب، ومقدرته على التعبير، في بعض كلمات أو جُمل، ما يحتاجه كاتب آخر لعدد من الصفحات للقيام بها.

قد يتساءل البعض: طالما أن كاتب القصة يمتلك الموهبة والإرادة والخبرة ومتمكن من كتابة قصصه، ونقل مشاعر الناس من خلالها، وهي تؤدي المطلوب منها... لماذا يلجأ إلى كتابة القصة القصيرة، والقصيرة جدًا، بدلاً من القصة العادية الطويلة بشكلها المعروف؟

وقبل الإجابة على ذلك، سأعود معكم إلى الوراء قليلاً، إلى تاريخ بداية ظهور القصة القصيرة في أوروبا على يدي الكاتبة الفرنسية «ناتالي ساروت» عام ١٩٣٢ من خلال كتابها «انفعالات» والتي اهتمت من خلال قصصها، بالجانب النفسي لشخصياتها دون سواها... وكرت السبحة بعدها... لتعمم تجربتها على عدد كبير من كُتَّاب القصة، بحيث أصبحت القصة القصيرة

والقصيرة جدًا هي الابنة الهجينة لعصر ترجم حالة الضياع الذي تعيشه الأجيال في أوروبا، خاصةً بعد الحرب العالمية الثانية... وأصبح مفهوم تفكيك الأشياء، ابتداءً بالإنسان والأشياء وانتهاءً بالمثل والقيم واللغة، هو السائد... وصولاً إلى تناول حالة اللامعقول واللامنطقي واللاجدوى من خلال أعمالهم، بما يشبه الخمول باللغة والقيم والأخلاق... فلم يعد الكاتب يهتم بالاستنتاجات، بل ترك هذا الأمر للقارئ للقيام بذلك بالنيابة عنه!

وكثرت بعد ذلك، المذاهب والطرق والمدارس الفكرية، التي تشرح وتصنِّف الأعمال القصصية القصيرة، برز من خلالها مدرستان:

الأولى: وتدعى (النظرة) تجعل من الأشياء هي الموضوع بدلاً من الإنسان... حيث تصف الإنسان بطريقة طبيعية مباشرة.

الثانية: وتدعى (الباطنية) التي تتخذ من المنولوج الداخلي الذي يصف الأشياء محورًا للعمل، وذلك بالانتقال من تحليل المشاعر، إلى وصف الانفعالات واستخراج الباطني منها، حيث تكثر الأفكار المتعبة، والمعاني الغامضة، والعبارات المجزئة، وكثرة النقاط التي تعبِّر عن ضياع بعض الكلمات والجُمل... الخ

والذي أوصل الأمور إلى هذه الحالة؟

هو لا شك تأثير الحياة العصرية، والذي أُطلق عليها عصر السرعة في أوروبا، وكان من أهم الاسباب التي جعلت الكاتب والقارئ يهتم بمثل هذا النوع من القص... ولكن ليس السبب الوحيد، والدليل على ذلك بأن الرواية لازالت تحافظ على مكانتها بين جمهور القراء، خاصةً بالغرب، إلى اليوم.

هذا لا يعني بأن كُتَّاب القصة القصيرة عزفوا على منوال واحد. فهناك من كتاب تلك المرحلة من لم يهتم بالأشياء ولكن بحركة الأشياء، وآخرون أهملوا حركة الأشياء للاهتمام بحركة حركة الأشياء، وبعضهم اهتم بحركة الخيال وليس بالخيال نفسه... الخ.

حيث أصبح الإنسان الواحد عندهم، له أكثر من وجه وأكثر من حقيقة وأكثر من شخصية... وأصبحت الأنانية والزيف والنفاق هي سمات ذلك العصر.

وهو ليس السبب الوحيد الوجيه الذي صبغ عصر السرعة، والذي بات الوقت فيه عاملاً مهمًا في حياة الناس، لكي يدفع الكُتاب العرب لاختيار الأعمال القصصية القصيرة أو القصيرة جدًا، بل هناك أسباب أهم من ذلك بكثير، خاصةً في عالمنا العربي، لأننا -كما هي حالنا- لم نأخذ بالظروف الموجبة لوجود وانتشار هذا النوع من القص في الغرب، بل مارسنا التقليد الأعمى لا أكثر! حيث لا وجود لعصر السرعة لدينا! ونحن مولعون بالتقاعس، وأصدقاء أوفياء للكسل!

ومن هذه الأسباب:

أولاً: ضعف في أسلوب ولغة الكاتب، حيث أن الكُتاب الجدد، لم ينتبهوا إلى كون القصة القصيرة هي فن كأي فن، له قواعد ثابتة وأصول راسخة تفرض نفسها، لا يصح العبث بها أو إهمالها... لأن ذلك يعني تقويض العمل القصصي بالكامل. ذلك لأن الفنان المتمرس وإن التجأ إلى التعبير عن نفسه بخطوط وألوان غير مفهومة للبعض، فهو لا يهمل القواعد الثابتة لفنه، والتي لا تكون مرئية للمُشاهد الغريب عن أعماله، لأنها تعتمد على ترجمة الحالة النفسية والانطباع العام لدى

الفنان، حول الأشياء التي يرسمها، ويمكن بتأمل بسيط لتلك الخطوط والألوان، رؤية المغزى الحقيقي لوجودها، وقراءة المقصود من وراءها.

هذا عدا كون الفنان الموهوب المتمرس، يستطيع بأي لحظة أن يقوم بذلك بطريقة تقليدية، تترجم مهارته وتحكمه بأدواته للتعبير عنها.

أما أولئك ممن يدعون الفن ولا يجيدونه، فهم يلجأون إلى حيث انتهى الفنان المبدع، برسم خطوط غير مفهومة... والادعاء بأنها تمثل فنهم ونظرتهم إلى الحياة من خلالها.

وهذا ينطبق على كُتاب القصة... فجأة ودون أي رصيد لغوي أو ثقافي أو حتى إبداعي، ابتدأوا من حيث انتهى كبار الكُتاب بالقصة القصيرة، دون أن يمتلكوا ناصية الكتابة، وفن القص والتعبير... وأدعوا بأن وجود كلمة أو عبارة أو جملة -مهما أحيط بهم من غموض- يمثل قصصهم، وبأنهم رواد القصة القصيرة الحديثة!، وهي ليست أكثر من خربشات وأوهام خالية من أي ذوق أو فن، ولا تؤدي أي غرض سوى الثرثرة الفارغة لا أكثر.

ثانيًا: كثرة كُتاب القصة القصيرة، الذين يخلطون بين لغتها وعناصرها ومفهومها، أدَّى إلى الإساءة إليها... وبالتالي إلى وجود قصص ومجموعات قصصية سيئة... ومن ثم افتقاد الكاتب الجيد... أدى إلى ضعف في مستوى الأعمال المميزة الناجحة... مما أدى إلى عزوف واضح من القراء اتجاه القراءة.

قد يسأل سائل: وماذا عن الموضوع الذي يجب أن أكتب عنه؟ كيف يمكن تقدير تأثيره وتحقيقه لهدفه عند الناس؟

وأرد عليه: بنجاح العمل... والتغني بكلماته... والتمثل بعباراته... واعتماده مرجعًا وقدوة لهم في حياتهم، يتبادلونه فيما بينهم بعفوية وإخلاص، ويتعاملون معه بشفافية وصدق.

عند ذلك فقط... يمكنك القول بأنك كاتب ناجح، وبأن أعمالك نالت الإعجاب والقبول.

الفصل العاشر

كيف أصقل موهبتي ؟ / ١

ما هي البلاغة ؟

تحدثت في الفصول الماضية، عن طُرق اختيارنا للأسلوب المناسب، في استخدام اللغة القوية الفاعلة البليغة، أثناء كتابتنا للأعمال الأدبية ومنها القصة... بحيث نستطيع التأثير على القارئ ومشاعره، من خلال اختيارنا لمفرداتها المُعبِّرة والموجزة والبسيطة بنفس الوقت... وهذا ما يسمونه بالسهل الممتنع... وهي تُختصر ببراعة الكاتب في صياغة نصه بإتقان فريد، بعيد عن التعقيد، سهل الفهم، وبليغ العبارة.

قد يسأل سائل: كيف أستطيع كتابة نصوصي بلغة قوية وبليغة... ما هي البلاغة؟

قبل أن أدخل في تفاصيل الموضوع، سأوجز باقتضاب شديد المعنى اللفظي للبلاغة باللغة العربية.

البلاغة هي علم من علوم اللغة العربية، والتي رافقت نموها وازدهارها، بانتشار لغة القرآن مع الفتوحات العربية في البلاد الإسلامية... وهو اسم مشتق من فعل «بلغ» بمعنى أدرك الغاية أو وصل إلى هدفه.

فالبلاغة في اللغة، تدل على إيصال معنى الخطاب بإيجاز ووضوح، إلى المتلقي كاملاً، ويكون قادرًا على التأثير عليه، سواءً أكان سامعًا أم قارئًا.

وقد وصفها النبي محمد صل الله عليه وسلم، في قوله: (إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا) - رواه البخاري.

و«البليغ»، هو شخص فصيح اللسان، حسن البيان، قادر على إنجاز الإقناع والتأثير بواسطة كلامه وأدائه.

يقول ابن الأثير: (مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة، دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها).

وقد عمل على شرحها وتفصيل عملها، عدد من العلماء واللغويين العرب، ابتداءً من الجاحظ في مؤلفه «البيان والتبيين» مرورًا بعبد القاهر الجرجاني في كتابه «أسرار البلاغة»، إلى يعقوب السكاكي الذي كان شديد التأثر بالجرجاني في كتابه «مفتاح العلوم»

تم تصنيف علم البلاغة، إلى فروع علمية ثلاثة وهي:

١- علم المعاني: يختص هذا العلم بعناصر الأفكار والمعاني، وفي كيفية تركيب الجُمل بعيدًا عن الأخطاء، للوصول إلى الفائدة المرجوة منها ومن معانيها... ويدلنا إلى الطريقة التي يجب علينا إتباعها، لتأليف المعنى المناسب لوصف موقف ما... كما يرشدنا إلى الوسيلة المثلى لجعل الصورة اللفظية، أقرب ما تكون للفكرة الموجودة في أذهاننا.

وهو لا يكتفي في البحث في كل جُملة بمفردها، بل يتسع في مجال بحثه، إلى صلة كل جملة بالأخرى... وصولاً إلى النص بالكامل... كونه يشكل وحدة متجانسة، يناقش موضوعًا واحدًا... وبالتالي هو يحتاج إلى معالجة واحدة.

٢- علم البيان: هو علم يهتم -من خلال تركيب الجُمل في النص أو الخطابة- باكتمال شروط الايضاح حسب ما هو مراد منها... خاصة في أسلوب مخاطبة الناس بما يتناسب وأحوالهم.

٣- علم البديع: هو علم يعمل على تحسين صياغة الكلام، بما يتفق مع حال المخاطب، ووضوح الدلالة، لكي يصبح بديعًا. وذلك من خلال حُسن ترتيب الكلمات والجُمل، مستخدمًا ما أطلق عليه بـ«المحسنات البديعة» خاصة تلك التي تهتم بالنواحي اللفظية أو المعنوية.

هذه المقدمة وهذا الشرح المفصل لعلم البلاغة وأقسامه... يؤدي بنا بشكل طبيعي -إذا ما تم احترام خصائصه- للوصول إلى ما يمكن تسميته باللغة الفصيحة... سواءً ما اعتمد منها على الخطابة، أو الكتابة.

وسأبدأ بالمحسنات البديعة:

المحسنات البديعية: كما هو واضح من تسميتها، هي مجموعة من الكلمات والجُمل التي تتلون بالمعاني والألفاظ الجميلة البديعة، والتي تؤدي إلى تحسين مضمون الموضوع اللفظي والمعنوي، الذي يُراد التحدث به أو الكتابة حوله.

وهي وسيلة من الوسائل التي يوظِّفها الكاتب، لوصف حالة الشخصيات -العاطفية أو النفسية- التي يكتب عنها... والبيئة المحيطة بها، بهدف التأثير على القارئ، وحمل المتعة والفائدة له.

وكلما كانت هذه المحسنات اللفظية قليلة ومختصرة وبليغة، وتؤدي ما هو مطلوب منها، كلما كان النص الأدبي الذي يقوم

الكاتب على إنجازه جميلاً سهل الاستيعاب والهضم... وكلما كثر استخدامها، أساءت للنص والمضمون، وقد تؤدي إلى فشل في إيصال الرسالة المطلوبة منه.

وهذه المحسنات البديعية (الألفاظ)، كثيرة جدًا وهي تنقسم إلى قسمين

١- المحسنات المعنوية ومنها:

- الطباق: وهي الجمع ما بين الشي ونقيضه.

- المقابلة: وهي لمعنيين غير متقابلين أو أكثر.

- التورية: وهي اللفظ ذو معنيين، أحدهما قريب ظاهر غير مقصود، والثاني بعيد خفي هو المقصود.

- حُسن التعليل: هو أن ينكر القائل صراحةً أو ضمنًا عِلة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يقصد إليه.

- المشاكلة: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الشيء.

- التوجيه أو الإيهام: هو أن يؤتى بكلام يحتمل، على السواء، معنيين متباينين، أو متضادين، كهجاء ومديح، ليصل القائل إلى غرضه بما لا يؤخذ عليه.

- المبالغة: وهو وصف الشيء وصفًا مستبعدًا أو مستحيلاً.

- التبليغ: وهو وصف الشيء بما هو ممكن عقلاً وعادةً.

- الإغراق: وهو وصف الشيء بما هو ممكن عقلاً لا عادةً.

- الغلو: وهو وصف الشيء بما هو مستحيل عقلاً وعادةً.

٢- المحسنات اللفظية ومنها:

- الجناس: هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى.

- السجع: هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر.

- رد العجز على الصدر: هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين في اللفظ دون المعنى، في أول الفقرة والآخر في آخرها.

مع كثرة الشروحات والتعليمات الواجب الالتزام بها، لمعالجة النص الذي سيقوم الكاتب بكتابة نصوصه بلغة بليغة ورشيقة ومؤثرة... قد تصل بالبعض حد السأم أو الخوف من المتابعة!

والأفضل للكاتب، ألا يلتفت إلى كل هذه القواعد والارشادات عند كتابته لمواضيعه، وأن يقتصر اطلاعه عليها كمعلومات عامة، لرفد مخزونه الثقافي، ببعض ما يفيده منها لا أكثر.

لأن القراءة المختارة لأمهات الكتب الأدبية، لكبار الكتاب العرب، هي مصدر القوة والبلاغة والفصاحة للكاتب.

فليس من واجب الأديب أن يكون متخصصًا باللغة العربية، فهي كالمحيط الواسع، لا يستطيع أي كان الغوص فيه، والكشف عن أسراره، واستخراج جميع كنوزه... خاصةً إذا ما علمنا بأن الهدف الرئيسي من إيجاد علم البلاغة ووضع قوانينه، هو معرفة الإعجاز في القرآن الكريم، وكشف أسرار كلام المعصومين من الصحابة والأولياء... بالإضافة إلى الوقوف على أسرار كلام العرب، والتفريق بين غثه وسمينه.

وحتى لا يختلط الأمر عليكم، بخصوص الفصاحة والبلاغة، وهل هما متشابهان، أم أن كل منهما يؤدي غرضًا مختلفًا عن الآخر؟

الفصاحة في اللغة هي: (سلامة الألفاظ من اللَّحْن والإبهام وسوءِ التأليف) والرجل الفصيح، هو الرجل الذي جادت لغته، وانطلق لسانه، فكان كلامه صحيحًا واضحًا... وهي تُختصر بالبيان (الوضوح)، وهو العلم الذي تحدثنا عنه منذ قليل للتعريف بالبلاغة... والصفة التي وصف العرب لغتهم بها، وذلك لتمييزها عن اللغات الأخرى.

فمن الواضح جدًا من خلال التعريف السابق لكل منهما، أن مساحة الاختلاف بينهما ضئيلة جدًا تكاد لا تُلمس.

وبالرغم من محاولة البعض تصنيف الفصاحة ضمن ثلاث معطيات، وهي:

١- فصاحة الفرد (وهي خلو اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس).

٢- فصاحة الكلام (وهي خلو الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحته).

٣- فصاحة المتكلم (وهي المَلَكة التي يقتدر بها المتكلم على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح).

إلا أن عدد المهتمين بهذا التصنيف يكاد لا يذكر.

فالفصاحة والبلاغة صنوان لا يختلفان، كل منهما يشرح ويفسر الآخر. فكلاهما يهتمان باللغة العربية من حيث الوضوح ومتانة المعنى وقوة التأثير... ولو أن الفصاحة لم يُعترف بها ولم تُدرَّس في أي يوم من الأيام كعلم مستقل،

بل كانت تُعتبر على الدوام، جزءًا من علم البلاغة تُدرس من خلاله.

أما عن أفضل الوسائل لكي أكتب نصًا أدبيًا أو قصةً بلغة فصيحة وبليغة... فالمسألة بسيطة جدًا، لا تتعدى الممارسة والتعود.

لقد اتفقنا بأن الأديب الناجح أو الكاتب الفذ، يعتمد كل منهما في كتابة نصوصه على موهبته أولاً... ثم يأتي صقل هذه الموهبة بالتعلم والممارسة... رافدًا هذه العوامل بالثقافة... (موضوع الثقافة تم التطرق إليه بشكل مفصل في الفصل الخاص بها، تحت عنوان «ما هي الثقافة»).

ضمن هذا المفهوم... فإن كتابة أي عمل أدبي بليغ وفصيح، يأتي كتحصيل حاصل لهذه العوامل والظروف، دون أي جهد يُذكر من قِبل الكاتب...

ولكي أوضِّح أكثر: الكتابة الأدبية -كما ذكرت سابقًا- هي حالة يعيشها الكاتب، في خلق العمل الأدبي المراد إنجازه، ووصف بيئته وحالة أبطاله، معتمدًا على مقدرته في التعبير، وقوة حجته، وجمال أسلوبه.

ولكي يكون عمله هذا مميزًا، فهو يحتاج إلى لغة سليمة وبسيطة وعذبة، مترابطة الأفكار، وغنية بالمعاني والصور، معتمدًا على العلوم والمعارف التي حصل عليها، والثقافة التي اكتسبها خلال مشوار حياته... نظيفًا من الأخطاء الإملائية والنحوية قدر المستطاع... متحاشيًا تكرار بعض الكلمات والعبارات التي اعتاد على استخدامها، باختيار مرادفات لها تحمل نفس المعنى... للوصول به إلى حد ما من الكمال، يعلم ويثقف، يمتع ويسلي، يُغني ويفيد.

الفصل الحادي عشر
كيف أصقل موهبتي ؟ / ٢
ما هي الثقافة ؟

تحدثت في الفصول السابقة عن الثقافة بشكل عابر، وقلت بأن الكاتب الذي يرغب في تحقيق النجاح لأعماله الأدبية، وأن تكون قريبة إلى قلوب وعقول القراء، مقنعة وذات تأثير، عليه أن يتمتع بثقافة عالية، تمده بالمعارف والخبرات، والأفكار والمفردات الضرورية لإنجاز تلك الأعمال.

وسأشرح فيما يلي أكثر عن هذا الموضوع... ما هي الثقافة؟

قبل أن أتحدث عن أهمية الثقافة بالنسبة للكاتب، سأتطرق قليلاً لتعريف الثقافة بشكل عام، دون أن ندخل في متاهات نضيع بين سراديبها ولا نحتاجها...

كلمة ثقافة من الناحية اللغوية (كما جاءت في المعاجم)، أُشتقت من كلمة « ثَقُفَ» أي سوَّى الشيء. وثقف الرمح، تعني سوَّاه وقوَّم اعوجاجه، وثقف الشخص (انكبَّ على المطالعة حتى ثَقُف)، أي صار حاذقًا فطنًا وماهرًا.

أما الثقافة بمفهومها العام، فهي تدل على الحالة التي وصلت إليها الأمة من الرقي الحضاري... في الفكر والسلوك، وتنظيم الحياة الاجتماعية، من ناحية العقيدة والقوانين والأخلاق والدين، والمعارف والآداب والفنون، والعادات والتقاليد (التراث)... الخ.

وكما تدل قوة وازدهار ثقافة شعب ما من الشعوب، على تحضر هذا الشعب، فإن ضعف وانكماش الثقافة لديه؛ يدل على تخلفه الحضاري، وتراجعه بين الأمم.

من هذا المنطلق... فإن ظهور وازدهار الثقافة العربية، الذي رافق التطور الطبيعي، للحضارة العربية الإسلامية، وانتشارها في البلاد التي توسعت فيها... قد انحسرت مع انحسار تلك الحضارة. خاصةً بعد سقوط الدولة العثمانية، واستقلال العرب بهويتهم وثقافتهم بعيدًا عن الخلافة الإسلامية.

ولهذا نجد بأن تنوع وغنى الثقافة العربية، في العصر الذهبي للخلافة الإسلامية، قد استمدت خصائصها من المحيط الطبيعي الذي تطورت وازدهرت فيه، وذلك ضمن حدود ما عُرِف بالبلاد العربية فيما بعد.

وهذا لا يعني بأن العرب، لم يكن لهم ثقافة خاصة بهم، مستقلة عن الثقافة الإسلامية، ذلك لأن أعظم ثقافة عرفتها البشرية، كانت تلك التي رافقت الحضارة العربية الإسلامية، خلال سبعة قرون من الزمان، وعلى امتداد القارات الثلاث المعروفة آنذاك... حيث بدا تأثير اللغة العربية فيها واضحًا -وهي عماد كل ثقافة- كونها لغة الوحي والقرآن... وبالتالي انعكاس سحرها على غير العرب، الذين أُغرموا بها وبفصاحتها ومرونتها في تقبل كل أنواع المعارف والعلوم والفنون.

وهكذا عرفت الحضارة العربية الإسلامية، نشاطًا كبيرًا في الترجمة والتأليف والطباعة والنشر، في جميع المجالات العلمية والتاريخية والأدبية والفنية... الخ. حيث اهتم ملوكها (الخُلفاء) وأمراؤها بهذه النشاطات، وتم افتتاح العديد من المدارس والجامعات والمكتبات بتشجيع منهم وعلى أيديهم.

وبعد أن كانت الثقافة حِكرًا على نخبة من المتعلمين والشعراء ورجال الدين، أصبحت في متناول العامة من الناس... كيف لا وقد كان طلب العلم، هو أحد أهم المبادئ الأساسية في الإسلام.

هذا لا يعني بأن العرب قبل الإسلام، لم تكن لهم ثقافة خاصة بهم... لا أبدًا... فقد كانوا يتحلون -بالإضافة لذكائهم الفطري ودماثة الخلق- بسلوك غني بالصفات الحميدة التي اشتهروا بها، كالمروءة والكرم، والشهامة والفروسية، وإغاثة الملهوف، ودفع الغبن عن الضعيف والمظلوم، وحماية من يلجأ إليهم... وتراث عريق، غني بشتى أنواع المعرفة والعلوم وصنوف الأدب... حيث كانت تُقام الأسواق التجارية والثقافية في جميع أنحاء البلاد من كل عام، ومن هذه الأسواق: عكاظ ومجنة وذو المجاز... وكان يجتمع في هذه الأسواق أشراف العرب وأدباؤهم وشعراؤهم (حيث كان لكل قبيلة خطيبها وشاعرها، الذي تفخر وتعتز به)، لممارسة التجارة، وتبادل الأخبار، والنظر في شؤون الناس وحوائجهم، والتحكيم في الخصومات بين القبائل والعشائر، والمفاخرة بالحسب والنسب، والكرم والشجاعة والجمال، والخطابة والفصاحة، وعقد المنتديات والمسابقات في إلقاء الشعر... حيث كانت القصائد الفائزة تُعلَّق -بعد أن تُكتب بماء الذهب- على أستار الكعبة (كالجوائز الثقافية اليوم)، ليقرأها العامَّة... وقد عُرِفت هذه القصائد بـ«المُعلَّقَات»... الأكثر شهرة في تاريخ الشعر العربي القديم.

كانت هذه الأسواق بما يشبه المعارض الدولية اليوم، والتي تُعقد لتبادل المعرفة والخبرة في شتى المجالات، وفي مقدمتها: العلوم والفنون والأدب... الخ

بعد العصر الجاهلي والإسلام... ماذا جرى للثقافة العربية؟!... قد يسأل سائل؟

يمكن اختصار ظهور الثقافة العربية وانتشارها، وانعتاقها من الصبغة الإسلامية التي عُرِفت بها، مع استقلال البلاد العربية الواحدة تلو الأخرى، عن الإمبراطورية العثمانية، ابتداءً بمصر محمد علي، وانتهاءً ببلاد الشام والجزيرة العربية، بعد إعلان الثورة العربية الكبرى عليها من الحجاز... وفيما بعد... عن الاستعمار الغربي، بعد احتلاله لها، قبل وأثناء الحربين العالميتين، كالمغرب العربي، أو بحجة الوصاية التي أقرَّتها عُصبة الأمم المتحدة عليها، كما في بلاد الشام والعراق...

وذلك باستعادة اللغة العربية كلغة رسمية لهم -بعد حملة التتريك التي تعرضوا لها خلال الفترة العثمانية- وتخليصها من الشوائب التي علقت بها... حيث ساهمت الجمعيات السياسية والعلمية والثقافية -في فترة ما عُرِف بعصر النهضة العربية (التنوير)- على تحفيز المشاعر لاستعادة الهوية العربية، ورفع أنصارها شعارات الثورة الفرنسية (حرية، عدالة، مساواة) ودعوا إلى الانفتاح على الحضارة الغربية (التي كانت على عداء مع الخلافة العثمانية)، والاستفادة من تجربة الغرب في العلوم والاقتصاد والسياسة والثقافة... حيث حاول مفكروها ومثقفوها (كالشيخ رفاعة الطهطاوي، الذي أسَّس مدرسة الألسن في مصر، وبطرس البستاني الذي طرح شِعار «حب الوطن من الإيمان»)، عن طريق عقد المحاضرات وإلقاء الخطب، وإبراز فضل العرب في العلوم والآداب، ووجوب استعادة أمجادهم ودورهم المهم والعظيم في الحضارة.

وكان من سمات هذه النهضة، تأسيس أول مجمع للغة العربية، وظهور المطابع (التي تستخدم الحروف العربية) ودور

النشر والصحف والمجلات، والاهتمام بالعلوم والترجمات... وانتشار المدارس والجامعات، وإنشاء المكتبات (حيث لم يبق منها سوى ما ضمته المساجد الكبرى) (كالمكتبة الشرقية في بيروت عام ١٨٨٠) وإعادة ترميم وتنظيم وافتتاح ما اغلق منها (كالمكتبة الظاهرية في دمشق عام ١٨٨٠)... والنهوض بالفنون التشكيلية والمسرحية والموسيقية، والاهتمام بالتاريخ والعلوم الإنسانية وحقوق الإنسان، فضلاً عن الاقتصاد والصناعة والتجارة.

ولكن للأسف الشديد، فقد تعرضت الثقافة العربية، لانتكاسة في بلوغ أهدافها بعد الاستقلال... ذلك لأن هيمنة الدول الاستعمارية الغربية على الثقافة العربية، ومحاولتها السيطرة عليها وصبغها بألوانها، بعد أن كانت من المشجعين لها -خاصةً لمحاربة النفوذ العثماني فيها- قد أصابت المثقفين العرب بخيبة أمل كبيرة... هذا إذا ما علمنا بأن روادها كانوا ممن درس وتعلم بالغرب، وشرب من منابعه وتشبع بحضاراته وثقافته... وبدلاً من أن يدعموا الحريات العامة في العالم العربي، قاموا بمصادرتها ومطاردة أحرارها ومثقفيها، وأغلقوا مجمع اللغة العربية، وفرضوا لغتهم وثقافتهم عليها... وساهموا بتقسيم بلاد الشام، وإصدار وعد بلفور المشؤوم، وناصروا احتلال المنظمات الصهيونية الإرهابية لفلسطين، وتأسيس دولة إسرائيل على أراضيها، ودافعوا عن وجود هذه الدولة المسخ بشتى الوسائل والسُّبل... هذا بالإضافة إلى دعمهم ووقوفهم إلى جانب الأنظمة الشمولية الاستبدادية، في البلاد العربية التي نالت الاستقلال حديثًا عنها.

فظهر في العالم العربي نوع جديد من الثقافة الرسمية تتبع الأنظمة الحاكمة... ومثقفون اتصفوا بمُراءاة الحكام خوفًا من

بطشهم، وكسبًا لودهم ودعمهم... بالإضافة لثقافة حماية الشعب الفلسطيني المنكوب وتراثه... وصولاً إلى وقوفهم ضد أي تطلعات شعبية لتغيير الوضع المذري، الذي كانت تعيشه بعض بلدان العالم العربي، والذي أدَّى إلى ثورات الربيع العربي (٢٠١٠/٢٠١١)... حيث كان موقفهم منها موقف سلبي جدًا، خاصةً في دعمهم للثورة المضادة، والانقلاب على الشرعية في كل من مصر وتونس... والوقوف إلى جانب سفاح سوريا والدول الداعمة له موقف المتفرج، إن لم يكن موقف الداعم الصامت له... في أكبر جريمة ومأساة إنسانية في العصر الحديث.

هذا لا يعني بالطبع، بأن العالم العربي بعد الاستقلال، كان يفتقر للأقلام الحُرة، القادرة على مقارعة الأنظمة ومواجهتها... لا أبدًا... ولكن القلة ممن حافظوا على قيمهم ومبادئهم، وبقوا خارج السجون، توزعوا إلى عدة فِرق... منهم من كان يمارس هواياته الأدبية والفنية بشكل مموه، بمعنى يقوم بعملية إسقاطات تاريخية على أعماله لأحداث معاصرة على أنها حدثت في الماضي... أو يستخدم أسلوب الكوميديا السوداء في النقد، والتي تسلِّط الضوء على فساد مؤسسات الدولة والدوائر الحكومية وموظفيها، وصولاً -في بعض الأحيان- إلى الأجهزة الأمنية، على أساس أن النظام والدائرة المحيطة به، هما وراء هذا النقد... بهدف محاربة الفساد والمفسدين في الدولة الفاضلة التي يحكمونها!

وكان السماح لمثل هذه الأعمال، يعتبر نوعًا من التهدئة لخواطر الناس وتسليتهم، ووسيلة ناجعة من أجل التنفيس عن الاحتقان الكبير والمزمن، الذي يعيشه ويعانيه المواطن العربي في حياته اليومية.

ومنهم... من كان يستخدم حريته بالنقد ضد بلده أو بلد عربي ما، في بلد عربي خصم له، يبيع صوته وكلمته ومن ثم حُريته، لنظام قد يكون أكثر دمويةً واستبدادً وخنقًا للحريات ممن هجره، فيصبح أسيرًا له... مجرد أديب من أدباء السلطان!

وبعضهم... هجر وطنه نهائيًا إلى وطن آخر، نحو الدول الغربية، وقد يصبح لاجئًا فيها، حيث لا حدود ولا قيود على كتاباته وأعماله... ولهذا ظهر مرافقًا لهذه الهجرة؛ الصحافة المهاجرة أيضًا، والتي تُطبع باللغة العربية وتُوزع فيها، أو تُصدّر إلى العالم العربي كصحف أجنبية، تخضع لنظام الرقابة الصحفية... فما تجده مسموحًا في بلد عربي ما، تراه ممنوعًا في بلد آخر!... وهكذا.

أما عن زمننا المعاصر، زمن جيلنا نحن، فقد بدى قاتمًا بعض الشيء... وذلك للتراجع المخيف في المجالات الثقافية عامة، من أدب وصحافة وفنون ومسرح وموسيقى... الخ.

فبعد عصر النهضة العربي، وما تبعه من ثورة ثقافية مهمة على كافة الصُّعد وفي جميع المجالات، رغم التجاذب الكبير، والرقابة الصارمة من قِبل أجهزة الدولة... إلا أننا لا نستطيع تجاهل كمية الأعمال الإبداعية المهمة في مجال السينما والمسرح والموسيقى والفنون بأشكالها المتنوعة، والتي استندت إلى أدب وفكر متحرر وخلاق، بقيادة مجموعة من الأدباء الكبار، الذين مهروا هذه الفترة بطابعهم الخاص المميز.

تلى تلك الفترة، وبشكل متدرج، ابتداءً من نكسة حزيران عام ١٩٦٧ وخسارة العرب لأجزاء مهمة من أراضيهم (مصر، سوريا، الأردن) بالإضافة لاحتلال إسرائيل لكامل التراب الفلسطيني... هبوط كبير في المعنويات، وعدم الثقة بالقيادات

العربية، التي وظَّفت جميع امكانياتها للدفاع عن هويتها وأرضها واستعادة فلسطين... وانعكس بشكل واضح على أداء وولاء المثقفين العرب للأنظمة العربية، التي حشدت مرة أخرى جميع طاقاتها وإمكانياتها لاستعادة ما خسرته في تلك الحرب، متهمة كل من ينتقدها بالخيانة!

وبالرغم من الانتصار المحدود الذي حققته بعد ذلك في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، إلا أن حجم النشوة التي عمَّتْ العالم العربي والتي كان مبالغًا فيها؛ أدَّت فيما بعد إلى انتكاسة في المشاعر، وظهور حالة من الانكفاء على الذات والإحباط وعدم الثقة، خاصةً بعد أن تكشَّف وهم هذا الانتصار، وحجم الخيانات الكبيرة التي تمت تحت اسمه، والثمن الباهظ الذي بدأ المثقفون بدفعه من حُريتهم وكرامتهم وإبداعاتهم!

قد يتساءل بعضكم: أين الثقافة من كل هذا؟

لقد أُصيبت الثقافة بمرض عضال اسمه «الفاشية»... فاشية القلم والفن، الذي عكس بشكل واضح فاشية السُّلطة في تكميم الأفواه ومطاردة الأحرار، واستبدالهم بمجموعة من الموالين الذين طوَّعوا أقلامهم وأفكارهم لخدمتها!

وهذا يعني، بأن المثقفين، قد تأثروا بشكل سلبي لما تعرَّض له العرب من هزيمة... وأي هزيمة!... إنها هزيمة بحجم الكارثة، في الأخلاق والسلوك والقيم والدين... أدت إلى تراجع مخيف في أداء النُّخب المثقفة، التي عيل عليها النهوض بالأمة، وظهور أشباه مثقفين وفنانين روِّجوا لأدب وفن فارغ هابط، سهل ومستورد من الخارج... خاصةً مع انتشار الصحون اللاقطة وصناعة أفلام الفيديو، وتعميم الإنترنت مع ملحقاته من مواقع تواصل اجتماعي، جُلّها اهتمت بنشر الإباحية

وتسهيلها... وظهور مئات القنوات التلفزيونية العربية (منها ما هو ممول من قبل أعداء العرب، كإسرائيل وإيران والدول الغربية) التي اهتمت بإعادة برمجة دماغ المواطن العربي وتوجيهه، نحو ثقافة أخرى غير تلك التي تربَّى عليها وعرفها!

بكل بساطة لقد بدأت الحرب الثقافية على نطاق واسع ضد الأمة العربية... ولا زالت مستمرة إلى يومنا هذا.

جميعنا يعلم ما للثقافة بمفهومها العام، من أدب وفن وموسيقى، من تأثير على ثقافة وأخلاق وذوق الشعب الذي يتلقاها... حيث نجد مفهوم العدالة والحب هما أساس فلسفتها، ويقومان بمهمة تثقيف الجمهور بطريقة غير مباشرة، خاصةً بين الطبقة الأُمية، أو تلك التي لم تحظ بفرصتها من التعليم أو التوعية.

فتجد السينما والمسرح والموسيقى، وهي الأكثر شعبية لدى الجمهور؛ تلعب هذا الدور المهم، من خلال عرضها لأعمال كتبها كبار الأدباء والشعراء، ومثَّلها أبرع وأجمل الممثلين، ولحّنها أفضل الملحنين، وغنَّاها عباقرة الطرب... كما حدث بالعالم العربي منذ الاستقلال حتى الثمانينات من القرن الماضي... فانتشرت بمعيتهم، اللغة الراقية السليمة، والموسيقى التي تهذِّب الروح، والمعاني النبيلة التي تحض على التسامح.

أما اليوم... وكما نرى ونشاهد ونسمع، فقد عمَّتْ الفوضى تحت ستار الحرية والحداثة، وانتشر الفساد في الأخلاق والقيم، وتشردت الثقافة.

بعد هذا الشرح المستفيض عن معنى الثقافة، ودورها بالحضارة العربية الإسلامية... ومن ثم دورها بالنهوض بالأمة

العربية من سباتها، ودعم استقلال بلدانها في العصر الحديث، رغم تعثرها وانحرافها عن الطريق المأمول منها... نعود إلى سؤالنا الأساسي: كيف يمكن أن أثقف نفسي؟... كيف يمكن أن أصبح كاتبًا مثقفًا؟

لا شك بأن الكاتب الناجح، يحتاج إلى مطالعة كتب كثيرة وفي جميع المجالات، للاستفادة من المعارف المتوفرة، وخبرات المتخصصين، خاصة في الميادين التي يحب أن يتطرق إليها ويعالجها... وقد أصبح هذا الأمر ممكنًا وأكثر سهولةً من قبل، من خلال المكتبات الإلكترونية التي توفر الكتب الإلكترونية في جميع صنوف المعرفة، بالإضافة لمواقع البحث السريع (كغوغل).

حتى يستطيع رسم الشخصيات التي سيتناولها بأعماله الأدبية بمهنية عالية ووضوح، بحيث يصبح من السهل عليه وصف الأماكن (إذا ما كان العمل رواية أو قصة تاريخية)، أو وصف حالة شخصياته النفسية والاجتماعية والاقتصادية... أو ربما التغني بجمال حبيبة متيم بها، لا يفوته وصف محاسنها التي يراها فيها، ولا يراها غيره... فالحب يشوه الحقائق، أو يضيف على الحبيبة صفات مبالغ فيها، قد لا تكون موجودة إلا في خيال الكاتب!

أو حتى نقل صور بديعة عن الجبال والسهول، والغابات والفراشات والطيور، والبساتين بما تحتويه من فواكه وزهور... ولِمَ لا مصادقة الحيتان والأسماك في المحيطات والبحار، وما يمكن أن يصادفه فيها من مرجان وطحالب وسلاحف وثعابين، تتخفى تارة تحت الرمال، وتارة في الجحور!...

ولا يعيبه أبدًا العودة إلى المراجع التي استقى منها معلوماته،

في كل مرة يحتاج بها لتوثيقها، سواءً كانت علمية أو طبية، تاريخية، تعليمية، هندسية، معمارية، فنية، جنائية، قانونية، أو تتصل بحقوق الإنسان، المرأة والطفل، أو تلك التي تتعلق بالحياة النباتية أو الحيوانية أو البيئية... الخ. بحيث ينقل مع ما يضيفه من خياله الواسع، على تلك المعلومات، بما فيها من تفاصيل علمية، صورة عن الواقع والمحيط الذي يرغب في وصفه والتحدث حوله، والدفاع عنه، تمنح كتاباته الكثير من الحيوية والإثارة والمتعة.

بمعنى، يجب أن أكون طبيبًا، مهندسًا، معلمًا، ممرضًا، أو أعمل في التجارة أو الزراعة، أو ربما عامل نظافة، ولِمَ لا أكون موسيقيًا أو رسامًا...الخ.

وإذا كنت فتاة، أتقمص دور العاشقة المتيمة لرجل متزوج... أو مجرد طفلة لعوب تثير الغرائز، وتشعل الحروب... أقصد أن أتمكن من تجسيد هذه الشخصيات، بكل شفافية وإخلاص، مدعومة بمعرفة مهمة حول اختصاص كل واحدة منهم.

ليس مطلوبًا منا على الإطلاق، أن نحمل في رؤوسنا مكتبة متنقلة، فالبحث عن المعرفة دون وجود رغبة في ذلك، لا يفيد الكاتب الناجح.

الكاتب الموهوب الفذ، في طبيعته، مُحب للمطالعة، فضولي، وهو في حالة استكشاف دائم لمحيطه، يحب سبر أغوار المجهول، يدقق بالتفاصيل... يصادق الملائكة، والشياطين، والأشرار رغم سفاهتهم، والموتى بالقبور... يثير الغبار كالعواصف، يقتلع الأشجار، يدمر البيوت، ويشرد العباد دون عذر مقبول... يطير كالفراشات، يجمع الرحيق كالنحل، يغنّي كالبلابل، يتراقص كالنباتات والزهور.

فإذا لم تتوفر فيه هذه الشروط، فهو ليس ذاك الكاتب المنتظر، الذي يرغب أن يلعب دورًا مهمًا في حياة الناس... يعلمهم، يلهمهم، يثير الشجون في قلوبهم، يدفعهم إلى الثورة لتغيير واقعهم، يُضحكهم ويبكيهم، يطربهم ويسعدهم، يحملهم على جناح كلماته الساحرة، إلى عوالم غريبة وجميلة لا يمكن أن يتوقعونها.

ولهذا قد لا تكفي مطالعة الكتب للقيام بذلك... لا، أبدًا... الثقافة ليست بمطالعة الكتب فقط، هي مجرد وسيلة لاستطلاع خبرات الآخرين... أما المثقف الحقيقي، فلا تكتمل ثقافته إلا بالممارسة الميدانية، وذلك بزيارة المتاحف والأماكن الأثرية، ومشاهدة الأفلام الجديدة المميزة بصالات العرض، وارتياد المسارح، وحضور الاحتفالات والمناسبات الثقافية كمعارض الكتب، الندوات الثقافية، مناقشات حول الأعمال الأدبية، والمحاضرات التثقيفية، المعارض الفنية كالرسم والنحت والتصوير والموسيقى... الخ. والاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى، من خلال المهرجانات والكرنفالات العالمية التي تقام بالمناسبات الوطنية، بالإضافة للأيام الخاصة التي تقام بيوم محدد كل عام، للتذكير بعيد ما، كعيد الموسيقى مثلاً.

والأهم من هذا كله... هو أن يكون قريبًا من الناس: أهله، أصدقاءه، جيرانه... وعلى تماس مباشر مع المحيط الاجتماعي، والبيئة الطبيعية، التي أبصر النور فيها وترعرع في ربوعها.

وهنا قد يتساءل بعضنا: ألا يمكن أن أكون كاتبًا ومثقفًا، أحمل المتعة والمعرفة، دون الالتزام بقضية معينة؟

الإنسان المثقف، سواءً كان يمارس مهنة الكتابة أم لا... لا يمكن أن يحمل تلك الصفة، إذ لم يكن ملتزمًا بأبسط شروطها ألا وهي إنسانيته...

الثقافة ليست درجة علمية يمكن أن نحصل -بعد اكتسابنا لها- على الشهادات والجوائز...

الثقافة -قبل كل شيء- هي سلوك وموقف، فليس كل متعلم مثقف، فكثير من الأدباء والفلاسفة والمفكرين والفنانين والمخترعين والقادة والثوار؛ كانوا على درجة عالية من الثقافة والالتزام، بالرغم من أنهم لم ينهوا تعليمهم الإلزامي قط.

فلا يكفي أن يكون الكاتب واسع الاطلاع مثقفًا، حتى يكسب رهانه، إذا لم يوظف علمه ومعرفته وثقافته في خدمة قضية عامة.

الثقافة تُشعر الإنسان بإنسانيته، باقترابه من أخيه الإنسان... تلغي الفوارق الطبقية، والعرقية، والجنسية والمادية.

الإنسان المثقف، لا يمكن أن ينام وجاره جائع، أو ابنه حاف وبردان... أو يعلم بوجود سجين مظلوم دون أن يقف إلى جانبه ويدافع عنه... أو يرى الفساد ويسكت عنه... الخ. وذلك في أي مكان من العالم دون تمييز.

وأفضل مثال لنا على الثقافة الملتزمة العالية، والراقية جدًا... لرجل بسيط كان يرعى الغنم ويمارس التجارة، ولم يكن يعرف القراءة قط، وكان لدوره المهم في الثورة على التخلف والعبودية والظلم، وحمل رسالة نقلت أمته وشعبه والبشرية جمعاء من عصر الظلام إلى عصر الحرية والنور... هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الصادق الأمين، الذي عُرِف بأمانته وصدقه وخُلقه، وسلوكه النبيل، حتى قبل أن يُبعث نبيًا... لقد كان مثالاً للمثقف الملتزم بعقيدته وأخلاقه وسلوكه ودينه.

لهذا لا يمكن أن يكون المثقف ثوريًا في أفكاره وكتاباته، ملتزمًا بالقضايا التي يدافع عنها فكريًا... ويكون بحياته الخاصة متحررًا من تلك الالتزامات... هذا يعتبر خيانة للعقيدة والمبادئ والفكر الذي يدعيهم ويؤمن بهم.

المثقف هو باقة متكاملة من العقائد والمبادئ والأفكار والقيم... لا يمكن فصل ورودها وأزهارها وزنابقها، ولا حتى أوراق النباتات الخضراء، والاشواك التي تحيط بها عن بعضها البعض... لأنها ستؤدي حتمًا إلى تبعثرها، وضياع تناسقها وجمالها، وفقدان رونقها وعبيرها.

الفصل الثاني عشر
كيف أصقل موهبتي ؟ / ٣
أي الكُتب أُطالع ؟

تحدثت في الفصل السابق عن الثقافة. وأخبرتكم بأن الكاتب الناجح الملتزم، الذي يرغب بإيصال رسالته الأخلاقية، ومبادئه، ومُثله العليا عبر كتاباته إلى جمهوره من القراء، ينبغي أن يتمتع بثقافة متنوعة وواسعة، وبأن الوسيلة الفضلى لذلك هي مطالعة الكتب.

وسؤالنا الجوهري الآن هو: أي الكُتب أُطالع؟

قبل أن أدلكم على الكتاب الجيد، الذي من الممكن أن يساعدكم على رسم أفكاركم، ويحفز خيالكم ويغذي روحكم... سأقوم باستعراض بسيط لتاريخ الكتابة والكِتاب، حتى أعطي لأمثلتي حقها من الدرس.

لقد لاحظتم بلا شك، بأنني رغم الاقتضاب الشديد في مقدمتي عن البلاغة والثقافة، قد قصدتُ التوسع بالتوضيح والإتيان بالأمثلة، بهدف رفدكم بالمعرفة، وزيادة المخزون الثقافي لدى الجميع... وأن تكون مواضيعي التي أناقشها معكم، تضم فيما تضم -بالإضافة للشرح- على وسيلة من وسائل التثقيف... بطريقة مشوقة، وغير مباشرة.

ولهذا فلا تنزعجوا من توسعي... ففيه خير كثير، يغنيكم عن مطالعة مئة كتاب، ويوفر عليكم الكثير من البحث والعذاب... ولي فيه الكثير من الثواب!

تم تفسير معنى الكتاب من الناحية اللغوية (على أنه الصُّحف «الأوراق» المجموعة)... وفي مصادر أخرى: (هو عبارة عن أوعية للمعلومات، والتي بطبيعة محتوياتها وتنظيمها، وُضِعت لتُقرأ من أولها لأخرها في تتابع منطقي، ولكل منها عنوان محدد).

وأنا أفضل شرحي الشخصي الأكثر تبسيطًا لمعنى الكتاب: (هو عبارة عن وثيقة مؤلفة من عدة صفحات من ورق، يضمها غلافان من الكرتون المقوى، يحمل عنوانًا، يشير إلى مضمون الموضوع المراد مناقشته في هذه الوثيقة... سواءً كانت مخطوطةً أو مطبوعةً).

أما تاريخ الكتابة... فهي تعود إلى خمسة آلاف عام قبل الميلاد، في بلاد ما بين النهرين (سوريا والعراق اليوم) حيث عُثِر على ألواح طينية مجففة، تحوي كتابات مسمارية (كتابات ما بين النهرين) تعود لأكثر من ثلاثة آلاف عام...

وكان أكثر استعمال لها، إبان العصر السومري، حيث دوَّنوا بها أعمال وتاريخ الملوك والأمراء، والآداب والأساطير، بالإضافة إلى السجلات الرسمية والشؤون الحياتية العامة، كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات، والشؤون الدينية والعبادات.

ويُعدُّ قانون حمورابي، الذي سنَّه الملك حمورابي (١٧٢٨/١٦٨٦ق.م.) أشهر ما كتب فيها.

وقد تم العثور في ذات الفترة التاريخية، على كتابات «هيروغليفية» (الكتابة المصرية القديمة) والتي تعني بالإغريقية (النقش المقدس)، حيث استخدمت فيها الرسوم والنقوش وصور الحيوانات والطيور... الخ، للتعبير عن المعنى

المراد قوله، وإليهم يعود الفضل في اكتشاف الورق (ورق البردي) والكتابة عليه، وتصديره إلى الخارج.

وقد سادت هاتان الكتابتان (ما بين النهرين ومصر) حتى القرن الأول الميلادي.

أما أول من ابتكر الأبجدية، فهم الأوغاريتيون (سكان الساحل السوري) حوالي ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد، وتتألف ابجديتهم من ثلاثين حرفًا، كل حرف فيها يرمز إلى نطق معين (صوت).

في عام ١١٠٠ قبل الميلاد ظهرت الأبجدية الفينيقية، وهي تتألف من ٢٢ حرفًا مكتوبًا، كل حرف فيها له شكله الخاص، وكانت أساسًا للأبجدية في الشرق والغرب ومنها العربية.

فيما يخص الأبجدية العربية، فهي تحتوي على ٢٩ حرفًا مكتوبًا بما فيهم الهمزة، وهي تُكتب من اليمين إلى اليسار، ومن أعلى الصفحة إلى أسفلها... ويعود أول نص مكتوب بها إلى عام ٣٢٨ ميلادي، وبالخط النبطي، وهو الأقرب للعربية اليوم، (عبارة عن رسم لضريح ملك مملكة الحيرة «امرئ القيس بن عمرو» وصف فيه نفسه بأنه ملك العرب).

أما في عصر الجاهلية... فكانت أشعارهم تُكتب على جلود الحيوانات وكانوا يسمونها: (الرق، الأديم، القضيم والعسيب) وكذلك على سعف النخيل وغير ذلك.

تلى ذلك سيادة قبيلة قريش على مكة (مهوى أفئدة العرب) كما كانوا يسمونها، حيث كان الشعراء يعرضون لغتهم عليها، فتختار الأصلح لتأخذه وتترك الرديء، حتى غلبت لغتهم شبه الجزيرة بكاملها قبل الإسلام، وبها دُوِّن القرآن الكريم، والذي يعتبر أصل اللغة العربية الفصحى المكتوبة حتى يومنا هذا.

أما الطباعة... فقد عرفها العرب بالقوالب الخشبية، التي

انتقلت إليهم من الصين، وذلك بعد ظهور الإسلام بثلاثة قرون، وكان العرب والمسلمون يعتمدون على نسخ الكتب يدويًا بالخط العربي الذي أجادوه وتفنَّنوا به.

وكانت أول مطبعة تم إنشاؤها باللغة العربية، هي مطبعة بولاق في عام ١٨٢١ التي أدخلها محمد علي باشا في مصر، لنشر الجريدة الحكومية الرسمية «الوقائع» كذلك المراسيم والمنشورات والكتب المدرسية، بالإضافة للكتب التراثية القديمة والمترجمة.

بعد هذا الشرح المختصر المفيد عن تاريخ الأبجدية العربية، وتطورها مع اللغة العربية، وصولاً إلى يومنا هذا... ساعود إلي موضوعنا الأساسي، ألا وهو الكتاب.

وأفضل كتاب يمكن أن يكون أساس ثقافة الكاتب اللغوية السليمة، هو القرآن الكريم، وهو أهم كتاب عند العرب قدسية وبلاغة، وله الفضل في توحيد وتطوير اللغة العربية وآدابها وقواعدها وعلومها النحوية والصرفية والجمالية (البلاغة والبيان والفصاحة)، والذي يعتبر أساس حضارتهم.

وكلمة القرآن، رغم تعدد الشروحات التي تكلمت عن أصل هذه الكلمة ومصدرها، ولكن أصحها وأنسبها وأقربها للعقل والمنطق هو اشتقاقها من (قرأتُ، أي تَلَوْتُ، قرأتُ الشيء، أي جَمَعْتُ بعضهُ إلى بعض) وفي مصادر أخرى (تُشتق كلمة «قرآن» من المصدر «قرأ» «يقرأ» «قراءة» و«قرآنا» وأصله من «القَرء» بمعنى الجمع والضم... يُقال: «قرأت الماء في الحوض» بمعنى جمعته فيه، ويُقال: «ما قرَأت الناقة جنينًا» أي لم يضمَّ رحمها ولدا. وُسمي القرآن قرآنًا لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض).

أما مصدر هذه الآيات والسور التي تشكل القرآن منها، فهو كلام الله المُنزّل عن طريق الوحي، على النبي محمّد صلّى الله عليه وسلم، بواسطة الملاك جبريل عليه السلام، على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، عدد سوره مائة وأربع عشرة سورة، تم تصنيفها حسب مكان نزولها إلى:

- مكية (نسبة إلى مدينة مكة)
- مدنية (نسبة إلى مدينة المدينة)،

ويُقسَّم إلى ثلاثين جزءًا، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع في الإسلام.

وكانت أولى سوره، والتي تحض على القراءة والعلم هي سورة «العلق»: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ).

وأخر آية فيه من سورة (المائدة)، والتي تشير إلى اكتمال رسالة النبي محمد -(صلى الله عليه وسلم- للبشرية، هي: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً).

أما عن أهمية نزول القرآن باللغة العربية، فقد قال تعالى:

- في سورة الكهف: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)
- في سورة يوسف: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)
- في سورة الزخرف: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)
- في سورة طه: (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)
- في سورة فصلت: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)

- في سورة الشورى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)
- في سورة الرعد: (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ)
- في سورة الشعراء: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ).

كما ذكر في مواضع كثيرة أخرى منه.

أما كيف يمكن أن يفيدني القرآن في إثراء اللغة التي أحتاجها لتأليف أعمالي؟

فطالما نحن متفقون بأن القرآن هو المصدر الأساسي الأول والأخير لقواعد اللغة العربية وبلاغتها وفصاحتها... يصبح لدينا نبع لا ينضب من الاشتقاقات والمترادفات اللغوية الفصحى، لكتابة مخطوطاتنا بلغة قوية صحيحة صافية لا تشوبها شائبة، لا يمكن أن ينافسه فيها أي كتاب آخر.

وهي مناسبة لي لكي أحدثكم عن أهمية الكتاب عند العرب؟ وما هو دورهم في انتشاره؟

عكف العلماء العرب والمسلمون، بعد أن توسعت حضارتهم وتنوعت منابع ثقافتهم، على ترجمة الكتب لعلماء ومفكري وأدباء البلدان التي توسعوا فيها، أو كانوا على احتكاك مباشر معها... ومنها الكتب اليونانية والفارسية والهندية... وذلك في جميع المجالات. وقد لعب المسيحيون العرب دورًا بالغًا ومهمًا في بعض هذه الترجمات خاصة اليونانية منها، لإتقانهم لغات تلك الحضارات... مما أدى إلى ظهور عدد كبير من

العلماء العرب المسلمين، في شتى أنواع العلوم والمعارف والآداب والفنون، وظهرت تخصصات جديد لم تكن معروفة من قبل، هي علوم اللغة العربية والقرآن، وعلم الكلام الذي أصبح أساس علم الفلسفة في الغرب فيما بعد.

وبالتالي... صارت صناعة الكتب تعم جميع أنحاء العالم الإسلامي، الذي كان الكتاب هو أحد أهم محاوره الرئيسية... وكثرت وتوسعت المكتبات العامة مع بناء المساجد، وتأسيس الجامعات في كل مكان، وعمَّ التعليم بين الناس، وراجت مهنة النسخ مع توفر وانتشار صناعة الورق في العواصم الكبرى، كدمشق وبغداد والقاهرة.

وكانت القوافل التجارية التي تعبر العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه، تضم فيما تضم، أهم ثروة وسلعة يمكن تبادلها والاتجار بها ألا وهو الكتاب.

مما أدى بالتالي إلى انتشار اللغة العربية، التي كانت هي لغة الحضارة والثقافة والعلوم والفنون، في جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك، ولأكثر من سبعة قرون.

وقد اشتهر عدد من الكُتَّاب والأدباء الذين وصفوا الكتاب بأجمل الأوصاف، وتحدثوا عن شغفهم للمطالعة، كالجاحظ، حيث كتب: (والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يقليك، والرفيق الذي لا يَمَلَّك، والمستميح الذي لا يؤذيك، والجار الذي لا يستبطئك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق).

وكتب أيضًا: (والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوَّد بيانك، وفخَّم ألفاظك،

وعمَّر صدرك، وحباك تعظيم الأقوام، ومنحك صداقة الملوك، يطيعك في الليل طاعته بالنهار، وفي السفر طاعته في الحضر، وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يحقرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عزلت لم يدع طاعتك، وإن هبَّت عليك ريحُ أعدائك لم ينقلب عليك، ومتى كنت متعلقاً به، ومتصلاً منه بأدنى حبل لم يضرك منه وحشة الوحدة إلى جليس السوء، وإن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفاية ساعة ليلهم نظرة في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد أبداً في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين ومال ورب صنيعة وابتداء إنعام).

أما الخليفة العباسي المأمون، عندما سُئِل ما ألذ الأشياء عندك؟ قال: (التنزه في عقول الناس)، يعني القراءة في الكتب.

وقال المتنبي في وصف الكتاب: (أَعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ... وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ).

وأحمد شوقي:

(أَنا مَن بَدَّلَ بِالكُتبِ الصِحابا... لَم أَجِد لي وافِيًا إلا الكِتابا
صاحِبٌ إِنْ عِبتَهُ أَو لَم تَعِبْ... لَيسَ بِالواجِدِ لِلصاحِبِ عابا
كُلَّما أَخلَقتُهُ جَدَّدَني... وَكَساني مِن حِلى الفَضلِ ثِيابا)

بعد القرآن... هناك الكثير من الكتب، التي يمكن أن تفيدنا في تعزيز ثقافتنا، وتقوية ملكة الكتابة عندنا، وأفضلها... هي تلك التي قام على تأليفها الأدباء الأوائل، الذين اعتمدوا في ثقافتهم الأولى على الإسلام، وهذبوا لغتهم الأساس عن طريق القرآن.

وستجدون في مؤخرة هذا الشرح، لائحة بأسماء عدد مهم من كبار الكُتَّاب والمفكرين والفلاسفة العرب، في القرنين

الثامن والتاسع عشر، بالإضافة لنماذج لأدباء القرن العشرين، بعضهم كان له دور كبير في عصر النهضة العربية (عصر التنوير).

أما ما هي أفضل الكتب التي أحببتها وقرأتها وتركت أثرًا طيبًا في نفسي... فسيكون من الصعب على أن أحدِّد كتبًا بعينها... فهذا يعتمد على هواية كل واحد منا كلّ على حِدَة.

أما إذا أحببت أن أصنف الكتاب الجيد، فهو الكتاب الذي تحبه، وتجد فيه عزاءك النفسي، وغذاءك الروحي.

• • • •

فيما يلي لائحة بأسماء عدد من كبار المفكرين والأدباء والكتاب العرب، في كل من القرن الثامن والتاسع عشر والعشرين، منهم من كان من رواد عصر النهضة العربية، ومن أدباء المهجر... وقد قمت بترتيبها حسب تواريخ ميلادهم.

- بعض علماء وأدباء ومفكري القرن الثامن عشر:

رفاعة الطهطاوي (مصر) (١٨٠١-١٨٧٣)، أحمد فارس الشدياق (لبنان) (١٨٠٥-١٨٨٧)، عبد القادر الجزائري (الجزائر) (١٨٠٧-١٨٨٣)، أبو خليل القباني (سورية) (١٨٣٣-١٩٠٣)، وردة اليازجي (لبنان) (١٨٣٨-١٩٢٤)، جمال الدين الافغاني (افغانستان) (١٨٣٨-١٨٩٧)، محمود سامي البارودي (مصر) (١٨٣٩-١٩٠٤)، عائشة تيمور (مصر) (١٨٤٠-١٩٠٢)، عبد الرحمن الكواكبي (سورية) (١٨٤٥-١٩٠٢)، زينب فواز العاملية (مصر) (١٨٤٦-١٩١٤)، إبراهيم اليازجي (لبنان) (١٨٤٧-١٩٠٦)، مريانا مراش (سوريا) (١٨٤٨-١٩١٩)، محمد عبده (مصر) (١٨٤٩-١٩٠٥)،

سعد باشا زغلول (مصر) (١٨٦٠-١٩٢٧)، قاسم أمين (مصر) (١٨٦٣-١٩٠٨)، شكري أرسلان (لبنان) (١٨٦٩-١٩٤٦)، عيسى إسكندر معلوف (لبنان) (١٨٦٩-١٩٥٦)، أحمد شوقي (مصر) (١٨٧٠-١٩٣٢)، خليل مطران (لبنان) (١٨٧١-١٩٤٩)، حافظ إبراهيم (مصر) (١٨٧٢-١٩٣٢)، مصطفى كامل (مصر) (١٨٧٤-١٩٠٨)، أمين الريحاني (لبنان) (١٨٧٦-١٩٤٠)، مصطفى لطفي المنفلوطي (مصر) (١٨٧٦-١٩٢٤) أحمد مصطفى الهاشمي (مصر) (١٨٧٨-١٩٤٣)، توفيق الحكيم (مصر) (١٨٧٨-١٩٨٧)، ساطع الحصري (اليمن) (١٨٨٠-١٩٦٨)، مصطفى صادق الرفاعي (سورية) (١٨٨٠-١٩٣٧)

- بعض علماء وأدباء ومفكري القرن التاسع عشر:

لبيبة هاشم (مصر) (١٨٨٠-١٩٥٢)، جبران خليل جبران (لبنان) (١٨٨٣-١٩٣١)، أحمد حسن الزيات (مصر) (١٨٨٥-١٩٦٨)، بشارة الخوري (الأخطل الصغير) (لبنان) (١٨٨٥-١٩٦٨)، مي زيادة (لبنان) (١٨٨٦-١٩٥٤)، ملك حفني ناصيف (باحثة البادية) (مصر) (١٨٨٦-١٩١٨)، رشيد سليم الخوري (القروي) (لبنان) (١٨٨٧-١٩٨٤)، نسيب عرضة (سورية) (١٨٨٧-١٩٤٦)، سلامة موسى (مصر) (١٨٨٧-١٩٥٨)، سارة برنار الشرق (روز اليوسف) (مصر) (١٨٨٨-١٩٥٨)، محمد حسين هيكل (مصر) (١٨٨٨-١٩٥٦)، طه حسين (مصر) (١٨٨٩-١٩٧٣)، إليا أبو ماضي (لبنان) (١٨٨٩-١٩٥٧)، عباس محمود العقاد (مصر) (١٨٨٩-١٩٦٤)، ميخائيل نعيمة (لبنان) (١٨٨٩-١٩٨٨)، عبد الغني عريسي (لبنان) (١٨٩١-١٩١٦)، محمود تيمور (مصر) (١٨٩٤-١٩٧٣)، نظير زيتون (مصر) (١٨٩٦-١٩٦٧)، كامل كيلاني (مصر) (١٨٩٧-١٩٥٩)، فوزي المعلوف (لبنان) (١٨٩٩-١٩٣٠)

- بعض علماء وأدباء ومفكري القرن العشرين:

روكس بن زائد العُزيزي (الأردن) (١٩٠٣–٢٠٠٤م) أنطون سعادة (لبنان) (١٩٠٤-١٩٤٩)، يحيى حقي (مصر) (١٩٠٥-١٩٩٢)، محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) (سوريا) حسن البنا (مصر) (١٩٠٦-١٩٤٩م) محمود البدوي (مصر) (١٩٠٨-١٩٨٦)، أبو القاسم الشابي (تونس) (١٩٠٩-١٩٣٤)، نجيب محفوظ (مصر) (١٩١١-٢٠٠٦)، عمر أبو ريشة (لبنان) (١٩١١-١٩٩٠)، سعيد عقل (لبنان) (١٩١٢-٢٠١٤) محمد عبد الحليم عبد الله، (مصر) (١٩١٣-١٩٧٠)، مولود فرعون (الجزائر) (١٩١٣-١٩٦٢)، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (مصر) (١٩١٣-١٩٩٨) يوسف السباعي (مصر) (١٩١٧-١٩٧٨)، فدوى طوقان (فلسطين) (١٩١٧-٢٠٠٣)، عبد المجيد بن جلون (المغرب) (١٩١٩-١٩٨١)، مصطفى محمود (مصر) (١٩٢١-٢٠٠٩)، نازك الملائكة (العراق) (١٩٢٣-٢٠٠٧)، لطيفة الزيات (مصر) (١٩٢٣-١٩٩٦)، نزار قباني (سوريا) (١٩٢٣-١٩٩٨)، بدر شاكر السياب (العراق) (١٩٢٦-١٩٦٤)، عبد الوهاب البياتي (العراق) (١٩٢٦-١٩٩٩) يوسف إدريس (مصر) (١٩٢٧-١٩٩١)، الطيب الصالح (السودان) (١٩٢٩-٢٠٠٩)، إحسان عبد القدوس (مصر) (١٩٢٩-١٩٩٠)، سميح القاسم (فلسطين) (١٩٢٩-٢٠١٤)، فاضل السباعي (سوريا) (١٩٢٩-٢٠٢٠)، عبد الباسط الصوفي (سوريا) (١٩٣١-١٩٦٠)، زكريا تامر (سوريا) (١٩٣١-معاصر)، عبد الرحمن منيف (العراق) (١٩٣٣-٢٠٠٤)، محمد الماغوط (سوريا) (١٩٣٤-٢٠٠٦)، غسان كنفاني (فلسطين) (١٩٣٦-١٩٧٢)، ممدوح عدوان (سوريا) (١٩٤١-٢٠٠٤)، محمود درويش (فلسطين) (١٩٤١-٢٠٠٨)، غادة السمان (سوريا) (١٩٤٢-معاصرة)، مظفر النواب (العراق)

(١٩٤٣-معاصر)، جمال الغيطاني (مصر) (١٩٤٥-٢٠١٥)، أحلام مستغانمي (الجزائر) (١٩٥٣-معاصرة) يحيى الصوفي (سوريا) (١٩٥٥- معاصر).

ويمكنكم الحصول على معلومات وافية عن سيرة حياة كل منهم، مع نماذج عن أعمالهم، حيث تم نقل اسماهم بتصرف، عن موقع القصة السورية (www.syrianstory.com) على العنوان التالي: كبار الكتاب العرب.

الجُزء الثاني

أدوات وإشارات ورموز

يضم هذا الجزء أهم ما يحتاجه الكاتب الناشئ من أدوات ومعلومات، للحصول على نص سليم خالٍ من الأخطاء، وهو يضم أربعة فصول، تحت عنوان: أدوات وإشارات ورموز

- الفصل الثالث عشر: علامات الترقيم
- الفصل الرابع عشر: كتابة الهمزة
- الفصل الخامس عشر: الأعداد
- الفصل السادس عشر: أخطاء لغوية شائعة

الفصل الثالث عشر

أدوات وإشارات ورموز / ١

علامات الترقيم في اللُغة العربية ؟

- مقدمة تاريخية عن علامات الترقيم العربية:

يعود تاريخ الترقيم في اللغة العربية إلى بداية القرن الماضي، عندما كُلف العلامة أحمد زكي باشا، المُلقَّب بـ«شيخ العروبة» من قِبَل وزير المعارف المصري آنذاك، بإدخال علامات الترقيم على العربية ووضع أُسسها وقواعدها. فوقف على ما وضعه علماء الغرب في هذا الشأن، واصطلح على تسمية هذا العمل بالترقيم؛ لأن هذه المادة تدل على العلامات والإشارات والنقوش التي تُوضع في الكتابة.

وكان القارئ قبل استعمال هذه العلامات يعمد دائمًا في حركات القراءة والوقوف على الذهن والقريحة، وليس أمامه إشارات أو علامات ترشده إلى ذلك.

وقد فصّل ذلك في رسالة أصدرها عام ١٩١٢، جاء فيها:

(وأول من اهتدى إلى ذلك رجل من علماء النحو، من روم القسطنطينية اسمه (ارسطوفان) من أهل القرن الثاني قبل الميلاد، ثم توفرت لأمم الإفرنج من بعده، حيث عملت على تحسين هذا الاصطلاح، وإتقانه إلى الغاية التي وصلوا إليها في عهدنا الحاضر).

وأشار إلى أن اللسان العربي مهما بلغت درجته من العلم، لا يتسنى له في أكثر الأحيان أن يتعرف على مواقع فصل الجُمل، وتقسيم العبارات أو الوقوف على المواضع التي يحسن السكوت عندها، ورأى أن الوقت قد حان لإدخال هذا النظام في كتابتنا الحالية، مطبوعة أو مخطوطة، تسهيلاً لتناول العلوم. فبدأ بمراجعة الكتب العربية التي وضعها النابغون من السلف الصالح في الوقوف والإمداد، ورجع إلى ما تواضع عليه الإفرنج في هذا المعنى، وما كتبه العلامة (ده ساسى)، فوجد أن الطريقة العربية القديمة التي أشار إليها (السرنجاوى) و(الشاطبي) لا تختلف عن الطريقة العربية الحديثة إلا في جزئيات طفيفة.

واصطلح على تسمية هذا العمل بـ«الترقيم»، لأن هذه الكلمة تدل على العلامات، والإشارات، والنقوش، التي توضع في الكتابة، وفى تطريز المنسوجات.

وقد أتم عمله هذا في رسالة بعنوان: «الترقيم وعلاماته باللغة العربية»، طُبِع سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١١م. وقد قام بتحقيقه العلامة عبد الفتاح أبو غدة.

يقول أحمد زكي عن سبب نقله علامات الترقيم للعربية:

(دلَّت المشاهدة وعزَّزها الاختبار، على أن السامع والقارئ يكونان على الدوام في أشد الاحتياج إلى نبرات خاصة في الصوت أو رموز مرقومة في الكتابة يحصل بها تسهيل الفهم والإدراك).

وعلامات الترقيم التي نقلها أحمد زكى باشا بلفظها ورسمها هي:

الشولة (الفاصلة) (،)
الشولة المنقوطة (؛)
النقطة (.)
علامة الاستفهام (؟)
علامة الانفعال أو التعجب (!)
النقطتان (:)
نقط الحذف والاختصار (...)
الشرطة (_ _)
التضبيب («...»)
القوسان ( )

تعريف الترقيم:

الترقيم في اللغة هو نظام من الحركات والعلامات، التي تستعمل في تنظيم الكتابة والقراءة، بشكل صحيح ومفيد، حيث أنّه ينسّق المادّة وينظّمها ويجعلها مؤثّرة وواضحة، وهو بهذا يخدم عملية فهم المقروء، فيساعد الكاتب على توضيح أفكاره، وجعلها مؤثرة، ويساعد القارئ على فهم ما يريده الكاتب.

- يستعمل الترقيم في الفصل بين كلمات، أو أجزاء من الجملة.

- علامات الترقيم هي علامات ورموز متفق عليها، توضع في النص المكتوب بهدف تنظيمه وتيسير قراءته وفهمه.

- علامات الترقيم لا تعتبر حروف وهي غير منطوقة.

تختلف استخدامات علامات الترقيم وقواعدها حسب اللغة، وأيضًا تطور تلك اللغة عبر الزمن، ومن الاستخدامات الشائعة لعلامات الترقيم في اللغة العربية:

١- الفصل بين أجزاء الحديث والمعاني.

٢- تحديد مواقع الوقوف في النص.

٣- الاقتباس النصي.

٤- إظهار التعجب أو الاستفهام.

٥- تحديد علاقة الجُمل ببعضها.

من أهم قواعد طباعة اللغة العربية (وحتى اللغات غير العربية) بعلامات الترقيم، هي أن تضع مسافة فقط بعد علامة الترقيم (وليس قبلها)، باستثناء الأقواس والتي تكون ملاصقة للجملة التي بداخل القوسين ولا تلامس الكلام الذي يحيط بالأقواس من الخارج، وأيضًا باستثناء الثلاث نقاط (...) والتي ترمز إلى كلام محذوف أو فترة صمت تتخلل حديثًا. هذه النقاط الثلاث تلامس كل ما يحيطها من كلام على الاتجاهين (وإن كان البعض يجعلها تتبع نفس القاعدة العادية لعلامات الترقيم بلصقها بما يسبقها فقط من كلام وفصلها عما يتبعها).

مزايا الترقيم:

لا تقتصر فوائد الترقيم على بيان مواضع الوقف أو السكوت التي ينبغي للقارئ مراعاتها في أثناء التلاوة، ولكنه يرمي إلى غاية أبعد وإلى غرضٍ أكبر، فهو خير وسيلة لإظهار الصراحة وبيان الوضوح في الكلام المكتوب. لأنه يدل الناظر إلى تلك العلامات الاصطلاحية، على العلاقات تربط أجزاء الكلام

بعضها ببعض بوجه عام، وأجزاء كل جملة بنوع خاص.

لذلك كان من الواجب عليه أن يلفت نظر القارئ في كثير من المواضع، بعلامات تحمله على الوقوف قليلاً أو السكوت طويلاً. وذلك بأن يعرض عليه فكرته العامة، مفصلة ومقسمة، بحيث يتأتى له تفهم أجزائها واحدًا فواحدًا، بصرف النظر عن العلاقة العامة التي تربط هذه الأجزاء كلها، بعضها ببعض.

وعلى هذا الحُكم تكون الجملة، باعتبار الترقيم، عبارة عن سلسلة من الكلمات، يدل مجموعها على جزء من أجزاء تلك الفكرة العامة التي سبقت الإشارة إليها... بحيث إن هذه السلسلة تؤدي -ولو بصفة وقتية- إلى فهم معنى مستقل بنفسه وكامل في حد ذاته.

تطور علامات الترقيم مع الزمن:

لقد تطورت علامات الترقيم، منذ أن أدخلها إلى اللغة العربية العلامة أحمد زكى باشا، بداية القرن الماضي إلى اليوم، بإضافات جديدة رافقت التطور المعرفي والتكنولوجي، لم تكن معروفة من قبل، فأصبحت على الشكل التالي:

١- الشولة (الفاصلة) ويطلق عليها أيضًا الفصلة أو الفارزة (،)

٢- الفاصلة المنقوطة: (؛)

٣- النقطة: (.)

٤- علامة الاستفهام (؟)

٥- علامة التأثر أو التعجب (!)

٦- علامة التضبيب (التنصيص) (« »)

٧- النقطتان: (:)

٨- علامة الحذف والإضمار (...)
٩- الشرطة أو الوصلة: (-)
١٠- الشرطتان: (--)
١١- الشرطة السفلية: (_)
١٢- القوسان (( ))
١٣- الإشارة المائلة (/)
١٤- إشارات وعلامات أخرى تتعلق بالكتابة الإلكترونية منها:
{ } [ ] < > (^) (*) (&) (@)

- تنبيه: من هذه العلامات ما لا يجوز وضعه مطلقًا، لا في أول السطر ولا في أول الكلام، وهي: (، ؛ : ؟ !)، أما بقية العلامات فيجوز وضعها أينما وقعت.

فيما يلي شرح مفصل لوظيفة كل واحدة منها وطريقة استعمالها:

تنقسم علامات الترقيم إلى أربعة أقسام، كل واحدة منها تخدم غرضًا خاصًا بها:

أولاً: علامات الوقف

وهي ثلاثة:

أ- الوقف الناقص: وعلامة هذا الوقف الشولة (الفصلة أو الفاصلة) (،): ويكون بسكوت المتكلم أو القارئ سكوتًا قليلاً جدًا، لا يحسن معه التنفس، وهي تكتب ملاصقة للكلمة التي قبلها، ولا يترك فراغات بينهما، وظيفتها تقطيع الجملة المُركَّبة إلى أجزاء متّصلة المعنى؛ وذلك لإحداث جوّ موسيقي، ولتفصيل الكلام، وتسهيل القراءة، ويشترط في وضعها ألا

تفصل بين فعل وفاعل ومفعول، أو بين صِفة وموصوف، أو مضاف ومضاف إليه، وفيما يلي أبرز مواضع الاستعمال:

١- توضع بين الجُمل المتّصلة المعنى: (يأتي الربيعُ فتنشرحُ النّفوسُ، وتتمتّعُ العيونُ بالجمالِ، وتكثُرُ النّزهات).

٢- بينَ الجُمل القصيرة التّامّة المعنى، حتّى لو استقلّت كلّ جُملة بمعنى واحد: (الدّنيا خيرُ مدرسةٍ، والزّمانُ خيرُ معلّمٍ، والكِتابُ خيرُ صَديقٍ).

٣- بعدَ المُنادى المتّصل: (يا طالِبَ العِلمِ، اجتهد كي تَنالَ ما تتمنّى).

٤- بينَ جملتي الشّرط والجزاء إذا طالت جملة الشّرط، سواء كان الشّرط متقدّمًا على الجزاء أم لا: (إن قدرت أن تزيدَ ذا الحَقّ على حقِّهِ وتطول على مَنْ لا حقّ لهُ، فافعل).

٥- بينَ جُملتي القسم والجواب، إذا طالَتْ جُملةُ القسم: (لئن أحبّ الإنسان لأخيه الإنسان ما أحبّ لنفسه، فهو إنسان).

٦- بينَ المفردات المعطوفة التي تفيد التّقسيم، ويستحسن تقدير حرف العطف مع وجوب كتابته مع المعطوف الأخير في الجملة، كما في المثال الآتي:

- الجهاتُ أربع: الشمال، والجنوب، والشّرق، والغرب
- الجهات أربع: الشمال، الجنوب، الشّرق، والغرب

٧- بينَ المُبدل منهُ والبدل، وبينَ البدل وخبر المُبدل مِنهُ: (غاندي، زعيمُ الهند، كانَ محاميًا نزيهًا).

٨- بينَ المترادفات: (يَعْدو، يَجري، يركضُ، يُهرولُ).

٩- بينَ الأَرقام (بمعنى وأيضًا)، كما في الجملة التالية: (أنظر الصّفحات: ص. ٤، ٥، ٦).

١٠- لحصر الجُمل المعترضة القصيرة: (ولو أنّ ما أسعى لأدنى مَعيشةٍ كَفاني، ولم أطلب، قليل من المال).

١١- بين الكلمات المفردة المرتبطة بكلمات أخرى، تجعلها شبيهة بالجمل في طولها (بدل التّفصيل): (كلّ فردٍ في المجتمع مجنّد لمعركة الحضارة، التّلميذُ في مدرستهِ، والموظّف في مكتبهِ، والفلاّحُ في أرضِهِ، والعاملُ في مصنعهِ، والأمّ في بيتِها).

١٢- بعد كلمات، مثل: (نعم، لا، أجل، بلى، طبعًا، نحو ذلك، وكذلك قبل كلمة مثلاً إذا لم تأتِ في بداية الجملة)

ب- الوقف الكافي: وعلامته الشولة المنقوطة (الفاصلة المنقوطة) (؛): ويكون بسكوت المتكلم أو القارئ سكوتًا يجوز معه التنفس، وموقعها بين كل عبارتين فأكثر، يكون بينها ارتباط في المعنى لا في الإعراب، وكذلك في أحوال التقسيم والتفصيل التي يطول فيها الكلام، قليلاً أو كثيرًا، وهي تكتب ملاصقة للكلمة التي قبلها، ولا يترك فراغات بينهما.

وأهم هذه المواقع هي:

١- توضع بين جملتين إحداهما كانت سببًا لحدوث الأخرى: (لأنّ مهنة التّدريس من أشرف المهن؛ قبلتُ أن أكون معلّمًا) (الأولى سبب الثانية)، (خسر الفريق المباراة؛ لأنّه لم يستعدّ لها جيّدًا) (الثانية سبب الأولى).

٢- بين أقسام الجملة الواحدة متى تنوّعت هذه الأقسام: فيما يلي أسماء بعض الحيوانات المعروفة في بلادنا: (البقر، الغنم، والماعز؛ الخيل، الحمير، والبغال؛ الضبع، الذّئب، والثعلب).

لاحظ أنّ الفاصلة جاءت بين الأسماء المعطوفة التي أفادت

التقسيم، بينما الفاصلة المنقوطة جاءت للفصل بين كلّ مجموعة وأخرى.

٣- توضع قبل التعليل وبيان السبب: (كُن بَشوشًا أبدًا ما أمكن؛ فإنّ الحزين لا يسرُّ أحدًا).

٤- بين جُمل طويلة يتألّف في مجموعها كلام تام الفائدة، فيكون الغرض من وضعها إمكان التنفّس بين الجمل، وتجنّب الخلط بينها بسبب تباعدها:

- كلّ شيء ترخص قيمته إذا كثُرَ ما عَدا الأَدب؛ فإنّهُ إذا كثُرَ غلا.

- إنّ حرّيّة الفتاة لا تَكون... (ونعدّد بعض الأمور)؛ وإنّما تكون حرّيّة الفتاة (ونعدّد بعض الأمور)

لاحظ أنّ الفاصلة المنقوطة جاءت عندما عُدنا لنفس الموضوع بعد عدد من الجمل، وذلك منعًا للخلط.

٥- بين الجُمل المعطوف بعضها على بعض، إذا كان بينها مشاركة في غرض واحد (إن كان الارتباط بالمعنى لا بالإعراب):

- قُل الحقّ وإلاّ فاسكت؛ كاتم الحقّ شيطان أخرس.

- إذا رأيتم الخيرَ، فخذوهُ؛ وإذا رأيتم الشرّ، فدعوهُ.

٦- قبل الجملة المكمّلة للمعنى: (القرابة تحتاج إلى مودّة؛ والمودّة لا تحتاجُ إلى قرابةٍ).

ج- الوقف التام: وعلامته النقطة المربعة (.): ويكون بسكوت المتكلم أو القارئ سكوتًا تامًا مع استراحة للتنفس، وهي تكتب ملاصقة للكلمة التي قبلها، ولا يترك فراغات بينهما، وتوضع في نهاية:

١- كل جملة تّامّة المعنى، مستقلة عما بعدها في المعنى والإعراب، مثال ذلك: (التعاونُ أَساسُ النّجاحِ)
٢- توضع للدلالة على انتهاء معنى كُلّي، وقبل الاستئناف: (الطّاووسُ أَجملُ الطُّيورِ. ريشُهُ ملوّن، وذيلُهُ طويل)
٣- توضع بعد كلّ حرفٍ يدلُّ على كلمةٍ مختزلَة: (ص.ب. أي صندوق بريد)
٤- توضع في نهاية الفصل الكتابي كالفِقرة مثلاً.
٥- الوصل بين أجزاء الكلام:

قاعدة عامة: الوصل بين أجزاء الكلام يكون فيما عدا المواضع المذكورة قبل؛ فلا يصح الوقف على جزء جملة لا يكمل به المعنى، ولذلك يجوز الوصل في بعض الأحوال التي توضع فيها الفاصلة، دون ما عداها من العلامات التي سبق شرحها.

ثانيًا: علامات النبرات الصوتية

وهي سبعة: لتمييز الأغراض الكلامية، توجد علامات تتردد بين الأقسام السابقة، ولكنها تمتاز بأحوال مخصوصة من الكلام.

أ- علامة الاستفهام (؟): للدلالة على الجُمل الاستفهامية، في آخر الجملة، سواء كانت مبدوءة بحرف من حروف الاستفهام أم لا، وتستخدم عادةً لإنهاء جملةٍ مفيدة، وتنوب عن النقطة، (أي لا يصح وضع النقطة بعدها) وهي تكتب ملاصقة للكلمة التي قبلها، ولا يترك فراغات بينهما.

١- بعد الجملة الاستفهاميّة سواء كانت أداة الاستفهام مذكورة أم محذوفة:

- ما اسمك؟
- تسمع الكلام المكذوب عنّي وتسكت؟!
- الجاهل عدو نفسه، فكيف لا يكون عدو غيره؟

٢- توضع بين قوسين عند الكلام المشكوك فيه: (وُلدَ الرسول (صلعم) في ١٢ (؟) ربيع الأول).

علامة الاستفهام هنا تدل على أنه لم يقطع في تاريخ ولادته، فقد قيل أنّه ولد في ٩ وفي١٢ وقيل غير ذلك.

ب- علامة الانفعال (التعجب) (!): وتوضع في آخر كل جملة تدل على تأثر قائلها وتهيج شعوره ووجدانه، مثل الأحوال التي يكون فيها التعجب والاستغراب والاستنكار (ولو كان استفهاميًا) والإغراء والتحذير والتأسف والدعاء ونحو ذلك، وبعد كلّ جملة تُعبّر عن انفعال نفسي، وهي تكتب ملاصقة للكلمة التي قبلها، ولا يترك فراغات بينهما، مثل:

التعجّب، الفرح، الحزن، المدح، الذم، التحبيب، التمنّي، الترجّي، الدعاء، الندبة، النداء، التأسّف، التحسّر، الاستغاثة، النهي، الاستنكار، ولو كان استفهاميًّا، الإنذار، التحذير، التأفّف، التذمّر، الاستغراب، التضجّر، الندبة، الاستحسان...الخ... ويضع بعضهم علامتي انفعال زيادة للتأكيد.

مثال: (إِنَّ هَذا لَشَيءٌ عُجَابٌ!) (حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي!) (ما أجمل السماء!) (إليك عنّي!) (عليكم بتقوى اللّه!) (يا حسرتاه!) (وا لهفاه! يا أبتاه!).

ج- علامة التضبيب (التنصيص) (« »): أي ضبتان وتوضع بينهما الجُمل والعبارات المنقولة بالحرف.

١- يوضع بين قوسيها المزدوجين كلّ كلام منقول بنصّه وبعلامات ترقيمه؛ سواء طالَ الاقتباس أم قصر، ويكثر استعمال علامة التنصيص في الدراسات العلميّة:
- جاءَ في الحديث الشريف: «اطلب العِلم من المهد إلى اللحد»
- إذا سمعت القائل يقول: «ما تركَ الأوّل للآخر شيئًا فاعلم أنّه لا يريد أن يُفلِح»

٢- حول التعريف بالأحرف، أو الأرقام أو الأسماء:
- مدرسة «عمر بن الخطّاب»
- أعظم مؤلّفات طه حسين «الأيّام»

٣- حصر جملة القول: صرخَ المتّهم: «إنّي بريء»

د- علامة النقطتان (:): توضع هذه العلامات:

١- قبل الكلام المقول، أو المنقول، أو المقسم، أو المجمل بعده تفصيل، أو المفصل بعد إجمال؛ وفي بعض المواضع المهمة للحال والتمييز، أو ما يشبههما في المعنى، وهي تكتب ملاصقة للكلمة التي قبلها، ولا يترك فراغات بينهما، مثل:
- قال، أجاب، حكى، سأل، أخبر، ردّ
- قالَ الإمامُ علي: «تعلّموا العِلم، فإنّه زين للغني وعَوْن للفقير»

٢- بين الشيء وأقسامه، أي قبل المفصّل بعدَ إجمال:
- السّنة أربعة فصول: الرّبيع، الصّيف، الخريف، والشّتاء
- الكلام ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف

٣- بين الكلمة ومعناها: عادَ: رجع

٤- قبل المنوَّع بعد إجمال:

- منهومان لا يشبعان: طالب عِلم، وطالب مال
- أربعة يبغضهم الله والناس: المستهزئ، النمّام، المرائي، والكذّاب

٥- قبل المثال الذي يوضّح القاعدة:
- تُحذف نون المثنّى عند إضافته: يَدا الزّرافة أطول من رِجليها.
- تاء جمع التكسير تأتي مربوطة: راعٍ وَجمعها رُعاة.

٦- قبل الكلام الذي يُعرض لتوضيح ما سبقه: للكهرباء فوائد عديدة: ترفع مستوى المعيشة، وتسهل الحياة اليومية الخ

٧- بعد كل عنوان فرعي.

٨- بعد كلمات مثل: بقلم، إعداد، اقتباس، دراسة، الخ

هـ- نقط الحذف والإضمار (...): وتوضع هذه النقط الثلاث للدلالة على أن في موضعها كلامًا محذوفًا أو مضمرًا، لأي سبب من الأسباب، كما لو استشهد الكاتب بعبارة وأراد أن يحذف منها بعض ألفاظ لا حاجة له بها؛ أو كان الناقل لكلام غيره لم يعثر على جزء منه في وسط الجملة: ففي هاتين الحالتين وأشباههما توضع محل الجزء الناقص هذه النقط للدلالة على موضع النقص، وذلك:

١- عندما يريد الكاتب أن يقتبس جملة أو أكثر أو فقرة للاستشهاد بها من أي نص كتابي، فإنّه ينقل ما يتّصل بموضوع استشهاده ويستغني عن بعضه، ويضع علامة الحذف دلالة على وجود جزء ناقص أو أكثر، وذلك للأمانة العِلميّة أيضًا.

٢- توضع مكان الكلام المحذوف لاستقباحه أخلاقيًّا والترفّع عن ذكره كالسباب والجدف.

٣- توضع مكان الكلام المحذوف لشهرته.

٤- توضع علامة الحذف للدلالة على استمرار الكلام ضمن المعنى.

٥- في آخر الجملة إذا قُصِدَ ترك النهاية مفتوحة.

٦- قبل كلمة الاختزال إلى آخره (... الخ) والبعض يضع النقط بعدها.

٧- أحيانًا توضع قبل علامة الانفعال أو الاستفهام زيادة في التأكيد على الحالة.

ملاحظة أولى: يجب تجنُّبُ استخدام النقاط الثلاث (...) في بداية الجملة الجديدة، إلا إذا كانت داخل علامة تنصيصٍ باعتبارها اقتباسًا مباشرًا، وهي تأتي في الغالب، في وسط الجملة أو في نهايتها، وهذا يحدث سواء أكانت داخل علامات التنصيص أم خارجها.

ملاحظة ثانية: تأخذ علامة الحذف نفس دلالة المركب الاختصاري ((إلخ) (أي إلى آخره))، لهذا لا يستحسن الجمع بينهما.

و- الشرطة وعلامتها (-): وهي لفصل كلام المتخاطبين في حالة المحاورة، إذا حصل الاستغناء عن الإشارة إلى أسماء المتخاطبين، ولو بطريق الدلالة، بمثل: قال، أجاب، رد عليه، وهكذا...

وقد توضع أيضًا في أول الجملة المعترضة وآخرها إذا كانت تتخللها فاصلة فأكثر، أو جملة معترضة أخرى.

١- توضع بين العدد رقمًا أو لفظًا وبين المعدود: العملُ يُبعدُ

الإنسانَ عن ثلاثة:
١- الملل أوّلاً- الملل
٢- الرّذيلة ثانيًا- الرذيلة
٣- الفقر ثالثًا- الفقر

٢- في أسلوب الحوار اجتنابًا للتكرار، أو إغفالاً لاسم المتحدّث لسبب ما.

جاء في جواهر الأدب، دخل معن ابن زائدة على أبي جعفر المنصور، فقارب في خطاه، فقال أبو جعفر:
- كبُرتْ سِنّك يا معن!
- في طاعتك، يا أمير المؤمنين.
- وأنّك لجَلْدٌ!
- على أعدائكَ.
- وإن فيكَ لبقيّة!
- هيَ لكَ.

٣- بين ركني الجملة إذا طالَ الركن الأوّل؛ بأن توالت جمل الوصف، أو العطف، أو الإضافة أو نحو ذلك، بحيث تباعدت بداية الركن الثاني للجملة عن بداية الركن الأول، ويبدو ذلك في الفصل بين المبتدأ والخبر أو اسم كان وخبرها، أو اسم إنّ وخبرها، أو بين الشرط وجوابه، ونحو ذلك:
- المعلّم المخلص في عمله.
- المراعي لمصلحة تلاميذه.
- النامي في مهنته.
- يستحقّ كلّ تقدير واحترام.

وعمل الشرطة هنا يشبه عمل الفاصلة المنقوطة في البند الرابع.

٤- اختصارًا لعدد محدّد، بمعنى (من إلى أو من حتى): اجتمع معلّمو الصفوف الثالثة - الثامنة

٥- بين أقسام التأريخ، ويجوز وضع خط مائل أيضًا:
١٩٨٨-٢-٢٥ أو ١٩٨٨/٢/٢٥

٦- بين سنة الميلاد والوفاة أو البداية والنهاية

٧- بين كلمتين أو أكثر بمعنى المساواة والمماثلة: «الواقع - المعاناة»

ز- الشرطتان وعلامتهما (--): وهما:

١- لحصر الجملة المعترضة بأنواعها المختلفة: الصادق في أقواله وأفعاله - ولو كان فقيرًا- يثق الناس به ويحترمونه.

٢- حصر رموز تقسيم النص (بدل عناوين فرعية) بالأرقام: - ٢ - أو بالأحرف - ب-

٣- يجوز استعمال القوسين في جميع المواضع السابقة.

ثالثًا: علامات الحصر (التنصيص)

الأقواس، والأقواس المزدوجة (« » ( ) [ ])

وهي عديدة ولها ذات الاستخدامات تقريبًا، حيث تساهم في تنظيم الكلام المكتوب، وتساعد على فهمه، يوضع بينهما كل كلمة تفسيرية أو كل عبارة يراد لفت النظر إليها.

وكذلك الجملة المعترضة الطويلة التي يكون لها معنى مستقل، خصوصًا إذا كثرت فيها الشولات (الفواصل)

- القوسان الهلاليان: ويرسمان هكذا: (( ))

يوضع بينهما ما ليس من الأركان الأساسيّة للجملة، مثلاً: (الجمل الاعتراضيّة، والتفسير، وألفاظ الاحتراس، وغير ذلك)

ويُكثِر الكتّاب المعاصرون من استعمال الشرطتين بدل القوسين في جميع المواضع، ويضع البعض القوسين المزهرين (﴿...﴾)، لآيات القرآن خاصّة.

ويجوز استخدامها لوضع العناوين الرئيسيّة.

١- الجملة المعترضة التي تفيد الدعاء: كان الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) قائدًا دينيًّا ودنيويًّا فذًّا.

٢- الاعتراض بالشرط: شبابك (إنْ لم تستفِد منهُ) لا خير فيه.

٣- الاعتراض بالقيد والتعليق: الفقر (على مرارته) أهون على النفس من مذلّة السؤال.

٤- التفسير والإيضاح ولفت النظر.

مُحّ البَيْض (صفاره) مستدير الشكل أصفر اللون.

كتب أمير الشعراء (أحمد شوقي) أكثر من مسرحيّة شِعريّة.

فلان حسنُ الخُلق (بِضَمّ الخاء) والخَلْق (بفتح الخاء)

الفولكلور (التراث الشعبي) أمانة في أعناقنا، تجب المحافظة عليه من الضياع.

٥- حصر كلمة أو عبارة جاءت باللغة الأجنبيّة.

٦- حصر كلمة أو عبارة عاميّة في نصّ فصيح.

٧- حصر الرقم الموجود فوق كلمة أو جملة في النص؛ إشارة لوجود التفسير أو مصدر الاقتباس في نهاية النص، ويكثُر هذا في الدراسات والأبحاث التي تعتمد الطريقة العلميّة.

٨- حصر المصدر الذي أُخِذ منه النصّ، أو اسم الكاتب، ويكون هذا في نهاية النص:
- عن مجلّة (الشرق)، عن (مجلّة المنبر)
- هيَ الدنيا تقول بملء فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي!

٩- حول كلمة (بتصرّف) دلالة تدخّل معدّ النص في النص الأصلي من حيث الاختصار والتغيير والتبسيط ونحو ذلك.

١٠- للاحتياط (ويجوز الخط المائل): حضرة السيّد (ة)، حضرة السيد / ة

- القوسان المعقوفان: أو الحاصرتان ويرسمان هكذا: ([ ]) ويوضع بينهما ما يلي:

١- الجُمل أو المفردات في بعض النسخ دون بعض في المخطوطات المحققة، أو النصوص المنقولة.

٢- أرقام الصفحات في أصول المخطوطات المحققة.

٣- المفردات التي يراد تدريب الطلاب عليها، أو الجُمل التي يراد اختبارهم فيها، نحو:

اجمع الكلمات الآتية: [هلال – قمر – نجم]

- الشرطة المائلة: وترسم هكذا: (/) وتكون في ثلاثة مواضع:

١- بين السطور في المخطوطات المحققة؛ لتحديد بداية السطر ونهايته في الأصل المخطوط.

٢- بين تفعيلات الأبيات المقطعة، كما في:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما نيلل / مطالب / تمنّني ولاكن تؤ / خذ دنيا / غلابا
مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن

٣- بين أرقام اليوم والشهر والسنة في التواريخ، كما في:
تمت مراجعة هذا الكتاب في ١٤٠١/٢/١٥هـ - الموافق ١٩٨٠/١٢/٢٢م.

- علامة المماثلة: وترسم هكذا („):
توضع تحت الكلمات المتكرّرة بدل إعادة كتابته، مثال:
كانت جائزة الفائز الأول عبارة عن...
„ „ „ الثاني „ „...
„ „ „ الثالث „ „...

رابعًا: علامات الإشارات المستخدمة في البرمجة و الرياضيات

مثل: (< > * & ^ \ []).
وهي ليست قليلة، وكل واحدة منها لها استخداماتها الخاصة التي تدل عليها، وهي لا تختلف كثيرًا عن استخدام مثيلاتها في اللغات الاجنبية الأخرى.

.

• • • •

تم جمع وتحقيق هذه المادة، من مصادر عديدة ومختلفة (بموجب المشاع الإبداعي)، أهمها كتاب «الترقيم وعلاماته باللغة العربية» للعلامة أحمد زكي باشا، بهدف تحقيق الفائدة للجميع.

الفصل الرابع عشر
أدوات وإشارات ورموز / ٢
كتابة الهمزة

طُرق كتابة الهمزة بدون أخطاء:

ثمة عدد كبير من الأخطاء العربية اللغوية الشائعة التي يعاني منها الكثير من المثقفين في كتاباتهم، وللمساعدة في تصويب هذه الأخطاء، ارتأيت نشر بعض المبادئ الأساسية لطريقة كتابة الهمزة، دون التوسع في التفاصيل. آمل أن يرى فيها القُراء مرجعًا لغويًا مفيدًا، يساعدهم على تذكّر بعض قواعد اللغة العربية التي درسوها في مراحل تعليمهم المختلفة.

فيما يلي مختصر مفيد لقواعد كتابة الهمزة:

أولاً: الهمزة في أول الكلمة:

همزة الوصل وهمزة القطع:

للتفريق بين همزة الوصل وهمزة القطع نضع (واو أو فاء) قبل الكلمة، إذا ظهرت الهمزة في نطق الكلمة تكون همزة قطع وإن لم تظهر فهي همزة وصل.

مثلاً: كلمة (إبراهيم) نضع قبلها واو (وإبراهيم) هنا نلاحظ أن الهمزة تظهر بالنطق لذلك نضع همزة تحت الألف وبالتالي تكون الهمزة همزة قطع، بينما في كلمة (استغفر) نلاحظ أن الهمزة هنا لا تظهر في النطق لذا فهي همزة وصل (واستغفر).

أ- همزة الوصل: (الألف غير المهموزة): همزة تُنطق في ابتداء الكلام، وتسقط لفظًا -فقط- عند وصله بما قبله وتكتب ألفًا بدون همزة (ا) وتأتي في:

١- الأفعال:

- فعل الأمر الثلاثي لماض غير مبدوء بهمزة مثل: (اعلم، اكتب، انجح، اضرب، العب، اسمع)
- ماضي الفعل الخماسي وأمره ومصدره مثل: (انتفع، انتفاع؛ اطّلع، اطّلاع)
- ماضي الفعل السداسي وأمره ومصدره مثل: (استغفر، استخراج، استغفار، استنصار)

٢- الأسماء: تكون في بعض الأسماء وأشهرها: (اسم، ابن، ابنة، امرؤ، امرأة والمثنى منها: اسمان، ابنان، ابنتان، امرأتان)

٣- الحروف: تكون في (ال) التعريف فقط مثل: (المدرسة، الكتاب).

ب- همزة القطع: همزة تُنطق في ابتداء الكلام، وفي وصله، وتكتب ألفًا فوقها همزة، مفتوحة أو مضمومة، هكذا: (إ) أو (أ)، وتأتي في:

١- الأفعال: الفعل الثلاثي المبدوء بهمزة ومصدره مثل: (أكرم، إكرامًا؛ أجاد، إجادةً)

٢- الأسماء: جميع همزاتها همزات قطع، عدا ما استثني منها في همزة الوصل.

٣- الحروف: الهمزة في جميع الحروف همزة قطع ما عدا (أل) التعريف.

ثانيًا: الهمزة المتوسطة:

ترتبط كتابة همزة الوصل بحركاتها وحركة ما قبلها، وتتفاوت الحركات قوة فيما بينها، فالكسرة أقوى الحركات تليها الضمّة ثم تليها فالفتحة ثم أضعفها وهي السكون.

أ- موضع كتابة الهمزة نبرة (ئ):

١- إذا كانت مكسورة مثل (سُئل، تطمئن، أسئلة) لا ننظر لحركة ما قبلها لأنها أقوى الحركات.

٢- إذا كان ما قبلها مكسور مثل (بئر)

٣- أسبقت بياء مكسورة ما قبلها مثل (بيئة)

ب- تكتب الهمزة على الواو في المواضع التالية:

١- إذا ضمّت وضمّ ما قبلها مثل: (شؤون، رؤوس)

٢- إذا ضمّت وفتح ما قبلها مثل: (رؤوف)

٣- إذا ضمّت وسكن ما قبلها مثل: (مرؤوس، مسؤول)

٤- إذا فتحت وضمّ ما قبلها مثل: (فؤاد، مؤرّخ)

٥- إذا سكنت وضمّ ما قبلها مثل: (بؤس)

٦- إذا ضمّت بعد واو مدّ مثل: (وضوؤك)

ج- تكتب الهمزة على الألف في المواضع التالية:

١- إذا فتحت وفتح ما قبلها مثل: (سأل، اطمأنّ)

٢- إذا سكنت وفتح ما قبلها مثل: (فأس، يأبى)

٣- إذا فتحت وسكن ما قبلها مثل: (مسألة، ملأ، توأم، ييأس)

د- وتكتب الهمزة على السطر: إذا كانت مفتوحة بعد ألف مدّ مثل: تساءل، قراءة، إجراءات، أو واو مدّ مثل: مروءة، وضوءك.

ثالثًا: الهمزة في أخر الكلمة:

تُكتب الهمزة أخر الكلمة على حرف يجانس حركة ما قبلها، أي أن الهمزة تكتب على الياء إذا كان الحرف الذي قبلها مكسورًا مثل: (قارئ، يخطئ)

وتكتب على الواو إذا كان ما قبلها مضموما مثل: (امرؤ، يجرؤ)

وتكتب على الألف إذا كان ما قبلها مفتوحا مثل: (يقرأ، ملجأ)

وعلى السطر إذا كان ما قبلها ساكنا مثل: (شيء، ضوء)، أو ألفا مثل: (ماء، سماء، نداء).

- مراجعة لمواضع همزة الوصل:

تقع همزة الوصل قبل لام التعريف (الحفل)

تقع همزة الوصل في بضعة أسماء، وهي: (اسم، ابن، ابنة، اثنان، اثنتان)

تقع همزة الوصل في أمر الفعل الثلاثي: (اطلب)

تقع همزة الوصل في ماضي الفعل الخماسي وأمره ومصدره: (افتتح الافتتاح، اختتم الاختتام)

تقع همزة الوصل في ماضي الفعل السداسي وأمره ومصدره: (استقبل، استقبال، استهل، استهلال).

- مراجعة لمواضع همزة القطع:

تقع همزة القطع في كل المواضع الأخرى غير مواضع همزة الوصل. مثل:

١- ماضي الرباعي وأمره ومصدره: (أفاد أفد الإفادة أعاد أعد

إعادة الإعادة أكرم الرجل ضيفه أكرم يا أخي ضيفك الإكرام فضيلة إكرام الضيف واجب أحسن الولد إلى أبويه أحسن يا أخي إلى أبيك الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)

٢- إذا كانت الهمزة من أصل الفعل الثلاثي أو من أصل الاسم: (أخذ الرجل الكتاب أخذاً أكل الرجل طعامه أكلاً الأكل الكثير ضار هذا الأمر صعب أمر العلم سهل أمور أمة العرب في أزمة)

٣- في أول الفعل المضارع الدال على المتكلم: (أنا ألعب أمشي أشرب أنام).

.

• • • •

تم جمع وتحقيق هذه المادة، من مصادر عديدة ومختلفة (بموجب المشاع الإبداعي)، بهدف تحقيق الفائدة للجميع.

الفصل الخامس عشر
أدوات وإشارات ورموز / ٣
قواعد كتابة الأعداد في اللُغة العربية

- نبذة تاريخية عن الأرقام العربية:

الأرقام العربية، هي الأرقام التي طوَّرها الرياضيون العرب، واُستعملت على وجه الخصوص في مناطق المغرب العربي حاليًا، وقد اُستعملت في قارة أوربا عندما أدخلها البابا (سيلفيستر الثاني) الذي درس في جامعة القرويين، وتعرَّف على الرقم العربي، ومن ثم أدخل الأرقام العربية إلى أوروبا، فمن أجل ذلك يُطلق عليه أحيانًا «بابا الأرقام». وكانت أوروبا حينها تستعمل الأرقام الرومانية، التي لا تساعد على إنجاز أبسط العمليات الحسابية.

والأرقام هي الرموز المستخدمة للتعبير عن الأعداد، وهي الرموز (٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩) أو (0 1 2 3 4 5 6 7 8 9).

ففي سنة ٧٨٧م ظهرت الأرقام والصفر المرسوم على هيئة نقطة في مؤلفات عربية، قبل أن تظهر في أي مؤلفات أو وثائق أخرى. ومنها تم تطوير استعمال الصفر في العملية الرياضية، ويعتبر «محمد بن موسى الخوارزمي» أحد أبرز البناة الأوائل.

في مدينة بجاية تعرف الرياضياتي الإيطالي (ليوناردو فيبوناتشي) على الأرقام؛ وقد كان لأعماله أثر كبير في نقل الأرقام إلى أوروبا. ومنها انتشرت إلى باقي العالم عبر التجارة والكتب والاستعمار الأوروبي.

- دور الأرقام العربية في النهضة الإنسانية:

الفرق بين العدد والرقم: الأرقام ليست أعدادًا وإنما هي أشكال تكتب بها رموز الأعداد، وإذا كانت الأعداد ليس لها آخر فإن الأرقام عددها عشرة، والأرقام العربية اسم يطلق على سلسلة الأرقام المستخدمة في العالم، وكذلك تسمى في المخطوطات الغربية، وهي (٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩)، فرمز العدد اثنان يتكون من رقم واحد من الأرقام العربية وهو ٢، ورمز العدد خمسة وعشرين يتكون من رقمين من الأرقام العربية هما الرقم ٥ والرقم ٢، ونقول: العدد ٢٥ ولا نقول: الرقم ٢٥.

- أنواع الأرقام:

عرف العرب نوعين مختلفين من الأرقام تطورًا مستقلًا.

١- الأرقام العربية المشرقية التي لا تزال حاضرة في بلاد المشرق العربي: (٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩).

٢- الأرقام العربية المغربية المستخدمة في بلاد المغرب العربي: (0 1 2 3 4 5 6 7 8 9).

يشار إلى الأرقام في كثير من اللغات بالأرقام العربية، لأنها انتقلت إلى أوروبا في القرن العاشر الميلادي من البلاد العربية في غرب أفريقيا التي تستعمل الأرقام العربية المغربية.

- انتقال الأرقام العربية إلى أوروبا:

درس البابا سيلفيستر الثاني في جامعة القرويين، وأدخل الأرقام العربية إلى أوروبا، فمن أجل ذلك يطلق عليه أحيانا بابا الأرقام، وكانت أوروبا حينها تستعمل الأرقام الرومانية التي لا تساعد على إنجاز أبسط العمليات الحسابية.

وقد وجد سيلفيستر الثاني صعوبة في إدخال الأرقام العربية إلى أوروبا، فالكُتاب اعتقادًا منهم بتفوق الثقافة الرومانية واليونانية على كل الثقافات، لم يكونوا مستعدين لتقبل أهمية الصفر، ولا الأرقام العربية، فقد كانوا يعتبرون كل الحضارات الأخرى متخلفة. لذلك قام جيربير (سيلفيستر الثاني) باختراع لوح أباكوس جديد سمي (بأباكوس جيربير)، وهو لوح مطور عن اللوح أباكوس الروماني وأكثر فاعلية، استعمل فيه الأرقام العربية دون الصفر.

لهذا نجد الصفر غير ظاهر في مخطوطات القرن العاشر والحادي عشر الميلادي.

أقدم مخطوطة أوربية مؤرخة تحتوي على أرقام عربية، هي مخطوطة (فجيليانس) وقد كُتِبت في الأندلس في شرق إسبانيا في سنة ٩٧٥م. وهي محفوظة اليوم في مكتبة مدريد، ولا تحوي على الصفر (٠)

- تعريف العدد:

العدد لُغةً: أُخذت الكلمة من عدَّ يعد أي أحصى الشيء، فهو إحصاء.

أما معناها الاصطلاحي، فهو: ما دل على رقم المعدود، أي أنه ما يدل على واحد أو أكثر مرقوماً برموزه الحسابية: ١-٢-٣-٤-١٥-٢٠-١٠٠

واسم العدد: هو ما رمز به إلى هذه الأعداد بالحروف الأبجدية، مثل: واحد- اثنان - خمسة عشر- عشرون- مائة

العدد نوعان:

١- العدد الأصلي: هو ما دل على كمية الأشياء مثل: تسعة، خمسة عشر، ثلاثة وعشرون.

٢- العدد الترتيبي: هو ما دل على رتب الأشياء مثل: الرابع، الخامس عشر، العشرون، الخامس والثلاثون.

- قواعد كتابة الأعداد بحروف عربية:

هناك قواعد مهمة يجب أن تُراعى عند كتابة الأعداد أو الأرقام بأحرف عربية، يستفيدُ منها كلُّ من لهم صِلة بالكتابة، وهي قواعد تحكم سلامة الكتابة، ودقة الأسلوب، وصحة التراكيب.

وهي ثلاثة قواعد، سيعتاد عقلنا عليها في كل مرة نقوم باستخدامها، حتى نجد أنفسنا نكتب الرقم على وجه السرعة ودون توقف، وهذه القواعد هي:

١- معرفة ما إذا كانت الكلمة (المعدود وليس العدد) مذكرًا أم مؤنثًا بصفتها المفرد وليس الجمع... مثل: كلمة صحف مفردها صحيفة، فتعتبر مؤنث حتى لو كان الجمع بصيغة المذكر تبقى الكلمة مؤنثة.

٢- هل العدد ممن يخالف المعدود بالتذكير والتأنيث أم يتوافق معه؟

فاذا كان يخالف المعدود، فنكتب العدد بخلاف جنس المعدود، وإذا كان يوافق المعدود فنكتب العدد بنفس جنس المعدود، إن كان مذكرًا ام مؤنثًا (وهو ما سنبينه لاحقًا).

٣- هل العدد مركب أم مفرد؟

الأعداد المفردة: ويقصد بها الأعداد (من واحد إلى عشرة)

أولاً: العدد واحد: يطابق المعدود بالتأنيث والتذكير، ويُعرَب حسب موقعه في الجملة، فقد يقع مبتدأً، وقد يقع فاعلاً، أو نائب فاعل، أو مفعولاً به، أو مضافًا إليه، إلى غير ذلك من المواقع والوظائف النَّحْوية، مثل:

- «وما من إله إلا إله واحد»
- طالب واحد
- طالبة واحدة

ثانيًا: العدد (اثنان واثنتان): يأخذان إعرابَ المثنى، فيُرفعان بالألف، وينصبان ويجرَّان بالياء؛ لأنهما ملحقان بالمثنى، وهو يطابق المعدود بالتأنيث والتذكير أيضًا، مثل:

- «وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ»
- كتابان اثنان
- مقالتان اثنتان

ثالثًا: الأعداد من ثلاثة إلى تسعة: تخالف المعدود بالتذكير والتأنيث، إن كان المعدود مذكر، تصبح مؤنثة وإن كان المعدود مؤنث، تصبح مذكرة... والعبرة بالمفرد وليس الجمع.

أمثلة:

- «وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً»... مفردها زوج
- (ثلاث بنات)... مفردها ابنة
- «قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ»... مفردها طائر
- (أربعة كتب)... مفردها كتاب
- (خمس سيارات)... مفردها سيارة
- «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»... مفردها يوم
- (سبع ليال)... مفردها ليلة

- (ثمانية طلاب)... مفردها طالب
- «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»... مفردها آية

رابعًا: العدد عشرة: يخالف المعدود إذا كان مفردًا، ويوافقه إن كان مركبًا، وله حالتان:

الحالة الاولى: يأتي مفردا فيأخذ حكم الأعداد السابقة ويخالف المعدود مثل:
- (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ)... مفردها ليلة
- (عشرة جمال)... مفردها جمل
- (عشر زهرات)... مفردها زهرة

الحالة الثانية: يأتي مركب في الأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر، مع العددين أحد عشر وأثنى عشر توافق المعدود بالتذكير والتأنيث، فهي تأخذ حكم من معها مثل:
- (أحد عشر رجلاً)
- (إذ قال يوسف لأبيه إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)
- (إحدى عشرة امرأة)
- (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ)
- (اثنا عشر مسجدًا)
- (اثنتا عشرة مدرسة)

مع الأعداد من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر فإنها توافق المعدود بالتذكير والتأنيث بعكس الأعداد التي معها والتي تخالف المعدود مثل:
- (ثلاث عشرة طالبة)
- (أربعة عشر موظفا)

- (خمس عشرة دولة) وهكذا...

ضبط الشين في (عشرة):

(أن العشرة إذا كانت دالة على معدود مذكر، تكون الشين مفتوحة، وإذا كانت دالة على معدود مؤنث فهي ساكنة)

- ملاحظات حول العدد ثمانية:

يراعى في كتابة العدد (ثمانية) حذف الياء أو ذِكرها، فهي تحذف عندما يكون لفظ العدد منكَّرًا مرفوعًا أو مجرورًا؛ شريطة أن يكون المميَّز مؤنثًا، مثال:

- هؤلاء بنات ثمان، ومررت بفتيات ثمان

لكنها تثبت عند التعريف والإضافة، مثل:

- حضرتِ الفتيات الثماني، ومررت بالفتيات الثماني.

وكذلك تثبت عند النصب تعريفًا أو تنكيرًا، مثل:

- كرَّمت الفتيات الثمانيَ، وكرمت فتياتٍ ثمانيَ، أو كرمت فتيات ثمانيًا

أما إذا كان المعدود مذكَّرًا، ثبتَت الياءُ وبعدها التاء المربوطة، مثل:

- كرَّمت الرجال الثمانية

- (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)

- (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا)

ويلاحظ أن العدد (ثمانية) عند نصبها؛ إما أن ينوَّن كتنوين الأسماء المصروفة، وإما أن يُعربَ إعراب الممنوع من الصرف؛ لكونِه على صورة منتهى الجموع، مثال:

- قرأت قصصًا ثمانيَ، وقرأت قصصًا ثمانيًا

خامسًا: ألفاظ العقود: هي عشرون وثلاثون وأربعون وخمسون وستون وسبعون وثمانون وتسعون.

فهي واحدة مع المذكر والمؤنث، لكن تعتبر ملحق بجمع مذكر سالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء، هذه من أمور الاعراب ولا شأن لنا بها، المهم إن الفاظ العقود واحدة مع المذكر والمؤنث مثال:

- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ)
- (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)
- (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)
- (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا)
- (مَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينً)

أما ما يأتي معها من أرقام (المتعاطفة) ويقصد بها (من ١٢ إلى ٩٩ ما عدا ألفاظ العقود)، فنطبق القواعد السابقة مثال:

- (إحدى وعشرون مدينة)
- (اثنا وثلاثون معلما)
- (ثلاث وأربعون معلمة) وهكذا...

معدود الأعداد (من ١١ إلى ٩٩) مفرد منصوب ويعرب تمييزًا.

سادسًا: العدد (١٠٠): كانت المئة تكبت قديما بالألف (مائة) لتمييزها من (منة) أما الآن لقد أمن الالتباس بفعل الضوابط الكتابية لذلك من الأفضل مراعاة النطق والاختصار وكتابتها من غير الألف وقد أجاز المجمع اللغوي في القاهرة كتابة كلمة (مئة) بكسر الميم ومركباتها بغير الألف كما جاء بالقران الكريم: (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاث مِائَة سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)

سابعًا: الأعداد من (٣٠٠، ٤٠٠ إلى ٩٠٠): تكتب متصلة، ولا

علاقة لها بالتأنيث، نقول:
عندي سبعمائة كتاب، وثلاثمائة قصة

ثامنًا: الأعداد من (١٠٠، إلى ١٠٠٠): ومضاعفات العدد تمييزها مفرد مجرور، نقول في إعرابها: تمييز مفرد مجرور بالإضافة، أو مضاف إليه مجرور.

تاسعًا: العدد ألف: وهو واحد مع المذكر والمؤنث مثال: (وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)

وهذه الأعداد ستبقى بلفظ واحد مع المذكر والمؤنث «ثابته الصفة» تأنيثاً في (مئة) وتذكيرًا في (ألف) فكلمة (مئة) ملازمة للتأنيث اللفظي في كل استعمالاتها هي ومضاعفاتها.

وكلمة (ألف) ملازمة للتذكير اللفظي في كل استعمالاتها، هي ومضاعفاتها.

وكلمة (ألف) ملازمة للتذكير اللفظي دائمًا هي ومضاعفاتها فمادتها الهجائية ثابتة إلا عند إلحاق المئة بجمع المذكر السالم فيقال فيها (مئون، مئين).

- ملاحظات:

١- العلاقة بين الأعداد مئة ومضاعفاتها، وألف ومضاعفاته ثابتة لا تتغير، أي تلزم حالة واحدة بغض النظر عن المعدود سواءً أكان مذكرًا أم مؤنثًا (مئة كتاب ومئة قصة وألف كتاب وألف قصة)

٢- المقصود بمضاعفات مئة أي التي تقبل القسمة عليها بدون باق والمقصود بمضاعفات ألف أي التي تقبل القسمة عليه بدون باق.

٣- معدود مئة ومضاعفاتها وألف ومضاعفاته مفرد مجرور ويعرب مضافًا إليه.

تمييز هذه الأعداد:

يكون مفرداً مجروراً بالإضافة نحو (اشتريت ألف كتاب ومئة دفتر ومليون قلم ومليار ورقة)

إعراب الأعداد:

يعرب العددان (١، ٢) نعتًا إذا سبقهما معدودهما (عندي كتاب واحد وقصتان اثنتان) والعدد (١) تظهر الحركات على آخره والعدد (٢) يعرب إعراب المثنى؛ الألف رفعًا والياء نصبًا أو جرًا.

ويعربان حسب موقعهما في الجملة إذا تأخر معدودهما (عندي واحد من الكتب ولك اثنتان من القصص)

إعراب بقية الأعداد:

هو إعراب معدودها بدونها فإذا أردنا أن نعرف إعراب العدد فإننا نحذف العدد ثم نعرب المعدود فنجد أن العدد يأخذ إعراب المعدود:

(اشتريت تسعة كتب) فلو حذفنا العدد لصارت الجملة اشتريت كتبًا وإعراب (كتبًا) مفعول به إذن إعراب العدد مفعول به.

الحركات تظهر على الأعداد من (٣ إلى ١٠) وإعراب الأعداد المركبة ما عدا (١٢) مبنية على فتح الجزأين في محل رفع أو نصب أو جر، أما العدد (١٢) فيعرب الجزء الأول منه إعراب المثنى، والجزء الآخر مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، لأنه بمنزلة التنوين وألفاظ العقود تعرب إعراب جمع المذكر

السالم؛ الواو رفعاً والياء نصبًا أو جرًا.

كلمة عام (ظرف)، فما بعده يُعرب مضافًا إليه، نقول: (عامَ واحدٍ، عامَ ستةٍ)) كلمة سنة (ظرف)، وما بعدها يعرب مضافًا إليه، نقول: (سنةَ إحدى، وسنة ستٍّ)، (عامَ واحد، وسنة إحدى، وعام اثنين، وسنة اثنتين، وعام سبعة، وسنة سبعٍ)

نماذج لكتابة العدد بالأحرف العربية:

١- عندي ١٧٨ كتابًا، و٤٣ رسالة قرأتها عام ١٩٩٧

نقول: فيها الصور الآتية:

- عندي مائة وثمانيةٌ وسبعون كتابًا، وثلاث وأربعون رسالة، قرأتُها عام ألف وتسعمائة وسبعة وتسعين.
- عندي ثمانية وسبعون ومائة كتاب، وأربعون وثلاث رسائل، قرأتها عام سبعة وتسعين وتسعمائة وألف.
- عندي مائة وسبعون وثمانية كتب، وثلاث وأربعون رسالة، قرأتها عام ألف وتسعمائة وتسعين وسبعة.

٢- اشتريت ٦٥ كتاب سنة ١٩٩٢، وأهديت ١٣ بحث عام ١٩٩٥

نقول فيها الصور الآتية:

- اشتريت خمسة وستين كتابًا سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة وألف، وأهديت ثلاثة عشر بحثًا عام خمسة وتسعين وتسعمائة وألف.
- اشتريت ستين وخمسة كتب سنة ألف وتسعمائة وتسعين واثنتين، وأهديت ثلاثة عشر بحثًا عام ألف وتسعمائة وتسعين واثنتين، وأهديت ثلاثة عشر بحثًا عام ألف وتسعمائة وتسعين وخمسة.

٣- حضر إلى المدرج ٣١١ طالب، و٩٩ طالبة، واستمعوا إلى ٥ مادة، كل مادة ٢ ساعة، وأمضوا في الكلية ١١ ساعة، وعادوا في الساعة ٨ مساء.

نقول فيها الصور الآتية:

- حضر إلى المدرج ثلاثمائة وأحد عشر طالبًا، وتسع وتسعون طالبة، واستمعوا إلى خمس مواد، كل مادة ساعتان، وأمضوا في الكلية إحدى عشرة ساعة، وعادوا في الساعة الثامنة مساءً.

- حضر إلى المدرج أحد عشر وثلاثمائة طالبٍ، وتسعون وتسع طالبات، واستعموا إلى مواد خمس (خمسةٍ)، كل مادة ساعتان، وأمضوا في الكلية إحدى عشرة ساعة، وعادوا في الساعة الثامنة مساءً.

.

• • • •

تم جمع وتحقيق هذه المادة، من مصادر عديدة ومختلفة (بموجب المشاع الإبداعي)، بهدف تحقيق الفائدة للجميع.

الفصل السادس عشر
أدوات وإشارات ورموز / ٤
أخطاء إملائية ونحوية شائعة

لا شك بأن الأخطاء الإملائية والنحوية، في أي نص أدبي أو صحفي أو حتى في المراسلات بين المؤسسات العامة أو الخاصة أو بين الأفراد، تعد من المشكلات الكبيرة جدًا اليوم، خاصة بعد انتشار الكتابة الإلكترونية، والهواتف الذكية في المراسلات، وتبادل المعلومات، وصولاً إلى الصحافة والكتب والمراجع على أنواعها... الخ.

لهذا... لا يخفى على الجميع، بأن تبادل تلك الأخطاء الإملائية والنحوية في اللغة العربية، من خلال تلك الوسائل الإعلامية... يعني تعميمها وانتشارها بشكل غير مباشر بين عامة الناس... وبالتالي، اعتمادها من القُراء بطريقة عفوية، واعتبارها عادية جدًا... أو حتى طبيعية في كتابتهم.

لهذا ارتأيت إضافة هذا الفصل الخاص، بأهم الأخطاء الشائعة باللغة العربية (وهي للأسف كثيرة جدًا وتحتاج لقواميس وكتب لتفنيدها)، واخترت أهمها وأكثرها شيوعًا...

بعض قواعد وإعراب هذه الجُمل والكلمات غير الصحيحة، فندت وذكرت، في الفصول الخاصة بأدوات الترقيم، وطريقة كتابة الهمزة والأرقام العربية، الملحقة بهذا الكتاب.

من هذه الأخطاء:

١- إضافة التنوين على الألف، مثل: (سمعتُ خبراً، رأيتُ شيخاً، وقرأتُ جزءاً).

يجعلون التنوين المفتوح على الألف وهذا خطأ، والصواب أن يكون التنوين المفتوح على الحرف الذي قبل الألف هكذا: (خبرًا، شيخًا، جزءًا). لأن هذه الألف ليست جزءًا من بنية الكلمة، وليست الحرف الأخير فيها، ومن ثَمّ لا تظهر عليها علامات مطلقًا، وترى التنوين بالضم والكسر هكذا: (جاء محمدٌ، سلمتُ على محمدٍ).ومثلها التنوين بالفتح يُوضع على الحرف، وإنما الألف للدلالة على النصب فقط (من السابعة إلى العاشرة مساءًا) هكذا يُكتب خطأ، في مثل ميعاد فتح العيادات الطبيّة أو المحال التِّجارية، ونحوه...

والصواب (مساءً) دون الألف، لأن الكلمات التي تنتهي بهمزة قبلها ألف، لا تُزاد بعدها ألف، وفى حالة النصب مثل (سمعتُ رجاءً، رأيتُ فناءً، سماءً، رداءً)

أما في مثل (جزء، قُرء، شيء) فتُوضع الألف في حالة النصب هكذا: (جزءًا، قرءًا، شيئًا) فليس قبل الهمزة ألف.

وكذلك تُحذف ألف التنوين من الاسم المنتهي بهمزة مرسومة ألفًا مثل: (زُرْتُ سبأً، وعلمتُ نبأً، واتخذتُ الحق مبدأً)، وتحذف أيضًا من الأسماء المقصورة مثل اشتريت (عصًا، أكرمت فتىً)

٢- كتابة كلمة (إذن) والتفريق بينها وبين (إذًا):

- حرف إذن (إِذَن) حَرْفُ جَوَابٍ وَجَزَاءٍ وَنَصْبٍ وَاسْتِقْبَالٍ، مبني على السكون، لا محل له من الإعراب، ينصب الفعل

المضارع بشروط، وهذا الحرف عبارة عن دمج حرف (إذ) مع حرف (أن)، ويقال إن سبب نصبه للفعل المضارع هو حرف (أن)

- أما (إذًا) فهو حَرْفُ جَوَابٍ وجَزَاءٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ، مبني على السكون لا محل له من الإعراب، وتُكتب بالألف إذا لم تَنصِب الفعل المضارع بعدها، أو إذا لم يأتِ بعدها فعل مضارع، وقد كُتِبت في المصحف بالتنوين (إذًا)، ولم تُكتَب أبدًا بالنون (إذَن)

أوجب الإمام الفرّاء كتابة النون (أي في «إذن») إذا نصبت الفعل المضارع المستقبل، فإذا توسطت وكانت مُلغاة؛ كُتبت بالألف (إذَا)

متى تعمل (إذن) النصب في المضارع؟

إذا وقعت في صدارة الكلام من غير أن يتقدم عليها شيء، وأن تتصل بالفعل من غير فاصل، وأن تُفيد الاستقبال، وأن تقع جزاءً ومكافاةً متقدم، نحو أن يعدك شخص بمكافأة فترد عليه: إذن أشكرك (بنصب الفعل) لأن الفعل بعدها خالص للاستقبال، وليس بينه وبين الفعل فاصل، وترخصوا في الفاصل بالقسم أو بـ (لا) النافية نحو: (إذن والله أشكرك)

مذاهب اللغويين في كتابة (إذن) و (إذاً):

- كتابتها بالنون (إذن) إذا وُصِلت في الكلام، أي إذا لم يوقف عليها، وبالألف (إذًا) إذا وُقِف عليها.

- كتابتها بالألف (إذًا) عند إهمالها، وبالنون (إذن) عند إعمالها (أي عندما تنصب الفعل المضارع) - كتابتها بالألف (إذًا) دائمًا كما كتب القرآن الكريم.

- كتابتها بالنون دومًا (إذن)، لأنه من الصعب التفريق بين عملها وإهمالها، والتفريق بين (إذًا) و(إذا) الشرطية، ولأنها حرف والحرف لا يدخله التنوين لأنه خصائص الأسماء.

أمثلة على (إذًا) حَرْفُ جَوَابٍ وجَزَاءٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ: (إِذًا هَا أَنْتَ قَدْ وَصَلْتَ سَالِمًا)، (سافر عمر مع صديق صالح إذًا يستفيد منه)، (أنت مؤمن تتقي الله، إذًا تقولُ الحق الآن)

- ظَرْفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ: (إِذَا اجْتَهَدْتَ نَجَحْتَ)، (إذا الشَّعْب يومًا أرادَ الحياة... فلا بدَّ أن يستجيب القدر)

- حرف المفاجأة: (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)، (وَقَفْتُ بِالشُّرْفَةِ فَإِذا الهِلاَلُ كَبَرِيقٍ مِنَ الفِضَّةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ)

أمثلة على (إذن) المستوفية لشروطها: (قال عمر: سأجتهد، قلت: إذن تنجحَ)، (سَأَخْرُجُ، إِذَنْ أُرَافِقَكَ)

- المفصولة بقسم: (قال عمر: سأجتهد، قلت: إذن والله تنجحَ)

- المفصولة بنداء: (قال ابني: سأجتهد، قلت: إذن يا عمر تنجحَ)

- المفصولة بلا النافية: (قال ابني: سأجتهد، قلت: إذن لا يذهبَ اجتهادُك هباءً)

- إذن غير الناصبة؛ التي فُصِلَ بين إذن وفعلها: (قال خالد: سأزورك، قلت: إذن في الدار أكرمُك)

٣- كتابة (كاف المخاطبة):

أ- تكتب كاف المخاطبة كما يلي: (منكَ/منكِ) (عنكَ/عنكِ) (إليكَ/إليكِ) (أجركَ/أجركِ) (دينكَ/دينكِ) الخ... فلا نضيف

حرف الياء عند مخاطبة المؤنث، كما يفعل البعض، وهذا خطأ، مثل: (منكي/عنكي/إليكي/أجركي) الخ

مثال آخر حول إضافة حرف الياء إلى كاف المخاطبة: (أخبرتُكي أن مدرستُكي قبلتْ موضوعكي، لأنكي كتبتي وتحدثتي عن مدينتكي بأسلوبكي الجيد وفيكي نباهة) والصواب: (أخبرتُك، مدرستك، موضوعك، لأنك، كتبت، تحدثت، مدينتك، بأسلوبك، فيك)

ب- يلحق حرف الياء إلى كاف المخاطبة في المواضع التالية:

- ياء المخاطبة تلحق بفعل الأمر، مثل: (كُلِي/اشربي)

- ياء المخاطبة تلحق بالفعل المضارع، والفعل عندئذٍ من الأفعال الخمسة، يُرفع بثبوت النون ويُنصب ويُجزم بحذفها مثل: (تشربين=لن تشربي/لم تشربي)

فيما عدا هذين الموضعين، يجب رسم الكسرة، فلا تلحق ياء المخاطبة: بالفعل الماضي ولا الأسماء ولا الحروف ولا الضمائر، مثل:

- (اجتهدتِ) فعل ماض + تاء المخاطبة
- (فيكِ) حرف جر + كاف المخاطبة
- (كتابكِ) اسم + كاف المخاطبة
- (خلفكِ) ظرف + كاف المخاطبة
- (نَصَرَكِ اللّهُ) فعل ماض + كاف المخاطبة
- (ينصرُكِ اللّهُ) فعل مضارع + كاف المخاطبة

٤- كتابة (تاء الفاعل): تكتب تاء الفاعل بتاء فقط تحتها كسرة، وهي الصواب في مثل: (قلتُ/قلتَ/قلتِ) (أنتَ خرجتَ/

أنتِ خرجتِ) (جئتَ/جئتِ) (كتبتَ/كتبتِ) (فهمتَ/فهمتِ) (أصبتَ/أصبتِ) (صليتَ/صليتِ) (وصفتَ/وصفتِ) (أردتَ/أردتِ) الخ... ويكتبها البعض خطأ على الصورة التالية: (أصبتي/خرجتي/كتبتي/فهمتي/ أردتي) الخ.

٥- التاء المربوطة والتاء المفتوحة: يكتب البعض التاء المعوّضة عن ياء الإضافة، وياء الإضافة نفسها هكذا: (يا أبتي)، والصواب (يا أبتِ)، وتُكتب بعض الأسماء بالتاء المفتوحة خطأ، مثل: (الحيَات، النجات)، والصواب (الحياة، النجاة)

ويخلط بعضهم بين ثَمَّة الإشاريَّة والتي تلحقها التاء المربوطة، وبين ثُمّت العاطفة التي تلحقها التاء المفتوحة.

والكثير يجهل الفرق بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة ويخلط أحيانًا كثيرة بينهما؛ فيضع إحداهما مكان الأخرى... وقد شاعت كثير من الأخطاء في التفريق بين التاء المربوطة والهاء المربوطة.

التاء المربوطة والتاء المفتوحة:

- التاء المربوطة: هي التي تُنطق هاءً عند الوقوف وتاءً عند الوصل ولابد أن تعلوها نقطتان، وتكتب (ة)

- التاء المفتوحة: هي التي تبقى في النطق على حالتها في الوصل والوقف وتكتب (ت)

- مواضع التاء المفتوحة: تكتب التاء مفتوحة فيما يلي:

أ- آخر الفعل

- إذا كانت التاء أصلية: (باتَ، ماتَ، سكت، يسكت، اسكت)

- إذا كانت التاء تاء التأنيث: (كتبتْ، درسَتْ، نامتْ)

ب- آخر الأسماء:

- إذا كانت التاء في اسم ثلاثي ساكن الوسط: (بيْت، وقْت، بنْت، لِفْت، زَيْت، فَوْت، مَوْت، كَبْت، نَعْت، سَبْت، تُوْت، قُوْت، حُوْت، تَبْت، يَخْت)

- الاسم المذكر المفرد غير الثلاثي: (فرات، فوات، سُبات، نبات)

- في آخر جمع المؤنث السالم وما ألحق به: (مسلمات، طالبات، صالحات، كراسات، دريهمات، عرفات، أذرعات، أولات، (زينب: زينبات... ذكرى: ذكريات... صحراء: صحراوات)

- جمع التكسير الذي ينتهي مفرده بتاء مبسوطة، مثل: (زيوت، بيوت، أوقات، إذ إن مفردها: زيت، بيت، وقت)

- الكلمات ذات التاء الأصلية «تكون التاء في أصل الكلمة»: (إثبات، سكوت، شامت، فهي من أثبت، سكت، شمت)

- في بعض أسماء الأفعال، نحو: (هيهاتَ، هيتَ، هاتِ) (عدّها بعض علماء العربية اسم فعل)

- الاسم المنتهي بتاء قبلها واو ساكنة أو ياء ساكنة، مثل: (بيروت، كبريت، عنكبوت، عفريت)

- في الأعلام الأعجمية المنتهية بالتاء مثل: (الكويت، تكريت، الكوت، أنطوانيت، جانيت، هاروت، ماروت، زرادشت، بونابرت)

- اسم العلم الأجنبي المنتهي بتاء، مثل: (شوكت، مدحت، عصمت، نشأت)

- في (يا أبت) و(يا أمت)

- في مصادر الأفعال المنتهية بتاء، نحو: (تزييت، تفتيت، تصويت، تشميت، تثبيت، تسكيت، تفويت، توقيت، إنبات)

- في جمع الجمع المنتهي بألفٍ وتاء، نحو: (بيوتات، رجالات)

- وفي الحروف، مثل: (لات، ليت، و « ثُمّت، وهي العاطفة) فتقول: (دخلت هند ثُمّت سلمى)

- مواضع التاء المربوطة: تكتب التاء المربوطة فيما يلي:

- اسماء العلم المؤنث: (فاطمة، خضرة)

- الأسماء المؤنثة غير الأعلام: (بقرة، سبورة)

- صفة المؤنث: (عالمة، مريضة)

- نهاية جمع التكسير الذي لا ينتهي مفرده بتاء مبسوطة مثل: (فتح السكايب)

- للمبالغة، مثل: (علاَّمة، نسَّابة)

- نهاية الاسم المفرد المؤنث غير الثلاثي الساكن الوسط، مثل: (حرية، شجرة، قافلة، مباراة)

- نهاية صيغ المبالغة في مثل: (رحّالة، علامة، راوية)

- نهاية العلم المذكر غير الأجنبي، مثل: (حمزة، نخلة، طلحة، عبيدة)

- نهاية الصفة المؤنثة في مثل: (صغيرة، كبيرة، ذاهبة)

- تاء (ثَمّة) الظرفية المفتوحة التي معناها هناك.

- ملاحظات:

- تكتب التاء المربوطة تاءً مفتوحة إذا أضيفت الكلمة المختومة بتاء مربوطة إلى ضمير (سيارة، سيارتي وسيارتك وسيارته وسيارتنا وسيارتهم وسيارتكما) وهكذا... (ابنة، ابنتي، ابنتك، ابنته) الخ

- لا تتصل التاء المربوطة بالأفعال مطلقًا.

مواضع الهاء المربوطة:

- هاء الضمير (وهو الغالب) وهذا الضمير يكون للغائب فيتصل بالفعل والاسم والحرف فتقول: (كتابه وعلمه) وتقول في الأفعال: (علّمه الحق، وأفهمه المسألة، وتقول في الحرف، له، وعنه، وبه، ومنه)

- أن تكون الهاء من أصل الكلمة وجزءًا منها مثل: (فقه، سفه، وله، الفقيه والسفيه)

٦- كتابة ألف (ابن وابنة):

- تُحذف ألف (ابن) في الكتابة إذا وقعت صفة مفردة بين عَلَمين مذكرين، والثاني منهما أبًا للأول ومتصلا به من غير فاصل بينهما.

والمراد بالعلم:

أ- الاسم، مثل: (محمد بن إسحق)

ب- الكنية المشتهرة مثل: (معاوية بن أبي سفيان)

ج- اللقب المشتهر مثل: (هاشم بن زين العابدين)

- إذا لم تكن ابن صفة، كأن كانت خبرًا، ثبتت الألف ونوّن الاسم الواقع قبلها مثل: (إن زهيرًا ابنُ خالد)

- (ابنة) تعامل معاملة (ابن) بالشروط السابقة نفسها؛ نقول: (هذه هند بْنة طارق) ويجوز لنا أن نحذف ألفها فتكتبها بالتاء الطويلة المفتوحة، مثل: (هند بنت طارق)

- إذا وقعت (ابن) في أول السطر ثبتت ألفها ولو كانت بين علمين؛ مثل: (علي ابن الحسين)، وكذلك إن وقعت وحدها في آخره؛ مثل: (هذا هو علي ابن الحسين)

(ويُنْتبه إلى تسكين الباء عند النطق سواء أوُجدت الألف في الكتابة أو حذفت)

- إذا دخلت عليها ياء النداء (يابن آدم)

- إذا دخلت عليها همزة الاستفهام (أبنك هذا؟)

- إذا وقعت (ابن) أما إذا اختل شرط من هذه الشروط فيلزم إثبات ألف (ابن) نحو: (عيسى ابن مريم)، (عمر-رضي الله عنه- ابن الخطاب)، (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)

٧- الألف في (يا) النداء:

- يجوز حذف ألف (يا) النداء إذا دخلت على الكلمات الآتية: (ابن- أهل - أي - آية) مثل: (يابن آدم) (يأهل الكتاب - يأيها الإنسان - يأيتها النفس المطمئنة)

- تُحذف الألف من المصادر الخُماسية والسداسية وأفعالها الماضية إذا دخلت عليها همزة الاستفهام نحو: (أصطفى البنات على البنين)

- وتُحذف الألف من كلمة (اسم) إذا دخلت عليها همزة الاستفهام مثل: (أسمك محمد)

٨- ياء المنقوص: (قاضٍ، محامٍ، ساعٍ، مهتدٍ)

تَثبيت ياء المنقوص في حالتين:

أ- في حالة النصب (كن قاضيًا عادلا)

ب- إذا جاء مُعرّفا بالأف واللام (جاء القاضي)

- تُدغم الياء فيما بعدها من ياء المتكلم في المثنى وجمع

المذكر السالم المنصوب أو المجرور عند إضافته مثل: (أكرمتُ ولديّ، صحبّت أخويّ، بررت بوالديّ، أومخرجيّ هم؟)

ملاحظة: أحذر هذا الخطأ (لاتنسى ذكر الله) والصواب (لا تنس ذكر الله) فتحذف الياء من المضارع المعتل الاخر بالياء إن تقدمه جازم مثل (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وكذلك الأمر منه مثل (فاقض ما أنت قاض).

٩- فيما يلي بعض الأخطاء الشائعة الأكثر شيوعًا:

- رأيت أحدهم يكتب (فأرسل لي بذلك كتابتًا) والصواب (كتابةً)، فتُزاد الألف في آخر المنصوب المنون، شريطة ألا يكون منتهيًا بتاء مربوطة.

- إذا كانت (أن) ناصبة المضارع وتليها (لا) النافية، أدغمت النون في اللام مثل (الخير ألا تكسل)

أما إذا لم تكن ناصبة وكانت مُخففة من الثقيلة، وجب إبقاء النون، وفصلها عن اللام نحو (أشهد أنّ لا إله إلا الله) (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه)

- عدم وضع نقطتين فوق التاء المربوطة وكتابتها هاء هكذا (المربوطه/الكتابه)

- نقط هاء الضمير والهاء الاصلية للكلمة مثل (لة، هذة، الله) والصواب بدون نقط الهاء.

- عدم كتابة الهمزة فوق همزة القطع كأن يكتب: (اكل، اكرم) والصواب (أكل، أكرم)

- همز ألف الوصل بكتابة الهمزة فوق ألفها أو تحتها مثل: (إجلس وأشرب يا محمد ثم إذهب) والصواب (اجلس واشرب يا محمد ثم اذهب)

- كتابة كلمة «شيء» بهمزة فوق الياء هكذا (شئ) والصواب وضعها على السطر مفردة هكذا (شيء).

- وضع ألف بعد جمع المذكر السالم عند إضافته مرفوعًا مثل: (مسلموا البُوسنة والهرسك) والصواب حذف الألف بعد واو الرفع هكذا (مسلمو البوسنة والهرسك)

- كتابة الفعل المعتل الآخر بالواو بوضع ألف بعد الواو هكذا: (أرجوا - نرجوا - ترجوا – يرجوا) والصواب (أرجو – نرجو – ترجو – يرجو)

- من الخطأ كتابة: (أولوا - ذووا) بمعنى أصحاب بألف في النهاية، والصواب: (أولو - ذوو)

- من الخطأ كتابة: (الناس لا يساعدون بعضهم بعضا)، والصواب: (الناس لا يساعد بعضهم بعضا)

١٠- بعض الأخطاء الشائعة الأخرى، رتبت ضمن هذا الجدول حسب أهميتها:

الخطأ	الصواب
لكي	لك
إنشاء الله	إن شاء الله
أجاب على السؤال	أجاب السؤال
حَرِصَ على الأمر	حَرَصَ يَحْرِصُ
ساعي	ساعٍ
يا أبتي	يا أبتِ
لاتنسى ذكر الله	لا تنس ذكر الله
ملفت للنظر	لافت للنظر

مشاريع	مشروعات
حوّر فلان الكلام	غيّر فلان الكلام
لم يكترث به	لم يكترث له
يتثنى	يتسنى
مراعات	مراعاة
لاكن	لكن
أنتي	أنت
الرئيسية والرئيسي	الرئيسة والرئيس
حاز على إعجابي	حاز إعجابي
أنت بمثابة أبي	أنت مثل أبي
لأزالة	لإزالة
الحيَات	الحياة
فذالك	فذلك
تمارين	تمرينات
عناوين الأخبار	عنوانات الأخبار
تعال عندنا	تعال إلينا
يا أبتي	يا أبَتِ
لأزهاننا	لأذهاننا
هاذا	هذا
المسئلة	المسألة

• • • •

تم جمع وتحقيق هذه المادة، من مصادر عديدة ومختلفة (بموجب المشاع الإبداعي)، بهدف تحقيق الفائدة للجميع.

الجُزء الثالث

مقالات أدبية ذات صلة

يضم هذا الجزء مجموعة من المقالات التي كنت قد كتبتها على فترات مختلفة تهتم بمواضيع ذات صلة بالكتابة والثقافة والنشر.

وهو يضم عشرة فصول، تحت عنوان: مقالات أدبية

- الفصل السابع عشر: الموهبة
- الفصل الثامن عشر: الإلهام
- الفصل التاسع عشر: التقمُّص
- الفصل العشرون: هيبة الكاتب
- الفصل الواحد والعشرون: قِلة القراءة لماذا؟
- الفصل الثاني والعشرون: جودة الأدب ومصير المطالعة
- الفصل الثالث والعشرون: الكاتب والأخطاء الإملائية
- الفصل الرابع والعشرون: أدب الإنترنت
- الفصل الخامس والعشرون: نشر الكُتب إلكترونيًا
- الفصل السادس والعشرون: الأدب النسائي في الوطن العربي

الفصل السابع عشر
مقالات / ١
الموهبة وأثرها في صناعة الأديب

لماذا الموهبة في صناعة الأديب؟... وليست الموهبة في خلق الأديب؟

سؤال لابد أن يكون قد تبادر إلى ذهن أي منكم، وهو يقرأ عنوان هذه الدراسة البسيطة، وطرحته بلا شك على نفسي، محاولاً سبر أغوار هذا الإصرار على هذه التسمية والتمسك بها...

شيء ما كان يقول لي، لا يصح أن يكون سببًا في خلق الموهوب، وإلا لن يكون موهوبًا في الخلقة، بل الأصح لو كانت الموهبة هي التي تسبق العمل، فتكون سبيلاً لصناعته وتكوينه وإظهاره للوجود.

الموهبة حسب تعريفي الشخصي: (هي تلك النعمة التي يهبها الله لنا، لكي تميز البعض منا عن الآخر، في مهمة التكليف التي خصها الله لأحدنا وفضّله بها على غيره، لعلمه تعالى بأن من يحملها ويولد بها، إن هي إلا أمانة ودين يؤدها بالنيابة عن المجموع).

إنها بتبسيط شديد (تلك المقدرة التي وُلِد بعضنا بها للإحساس بالكون، والتفاعل معه، والتأثير فيه، بشكل يُفضي إلى مسلمات وركائز وقوانين وشروط، تحدد الإطار العام لأي من الإبداعات التي يصنعها الموهوب في مجال إبداعه).

والمقصود هي كل المجالات دون تحديد، فنًّا كان أم أدبًا أم صناعةً أم فلسفةً، أم علم اجتماع، سياسة، مهنة يدوية، أو حتى تربوية أو دينية، أي شيء يمكن للإنسان أن يخطر بباله وتكون سببًا للإتقان والخلق والإبداع.

وسأستثني موضوع الذكاء والتعلُم والخبرة المحصلة بالممارسة، لأنها مواضيع قد تشترك وتساهم في صقل عمل الموهوب، ولكن لا تؤثر في إبداعه بها أو بدونها... وسأورد في سياق هذه الدراسة الكثير من الأمثلة، دون التوسع في أي منها، لأنه موضوع متشعب وكبير جدًا لا تسعه لا الصفحات ولا الوقت، وهمي أن أبرز دور الموهبة في صناعة ووجود الأديب والكاتب، كما هي في كل المهارات التي ذكرت بعضها منذ قليل.

وعلى هذا فالأديب الموهوب، يعي منذ أول إدراك له للعالم المحيط به، حاجته لأن يتأمل ويسمع ويتساءل، ومن ثم يثرثر بوضوح، ودون تكلُف، عمَّا يجيش في داخله من مشاعر، على أنواعها وألوانها حزنًا كانت أم فرحًا، قبل أن يبدأ في تدوينها على ورق، وتتبع ما يغنيها من ألفاظ وعبارات وحجة وخيال، بمطالعة من سبقه في هذه الموهبة، فيستمتع بما يسمع ويقرأ، ويمتع بما يقوله ويكتبه، دون تكلُف أو تمثيل، أو تصنُع أو إرهاق.

إنه بكل بساطة... يمارس بموهبته تلك، الفطرة الإلهية التي مُنِحت له، فهي لا تكلفه من نفسه أكثر من خفقة قلب أو استنشاق وزفير.

ولهذا نجد الفرق الواسع الشاسع بين كاتب موهوب، وكاتب تعلَّم مهنة الكتابة.

فالأول... إذا ما تكلم أطربك بتسلسل أفكاره، وترابطها وسهولة ولوجها للقلب والروح دون تكلف، فتحرك لديك المشاعر على أنواعها، وتأخذك مهما كنت صلبًا وخشنًا، لتسحرك بألحانها وتطربك بأنغامها، وتحولك عن السبيل الذي كنت قد سلكته، وتبدل حياتك المرهقة وشجونك وآلامك وقوقعتك التي تسكن بها، إلى فردوس تحلِّق في سمائه، فتشعر بالحرية وأنت سجين، وبالنعمة وأنت فقير، وبالصحة وأنت سقيم، وبالسعادة وأنت حزين!

إنها صوت الشاعر، وعين الفنان، وأنامل الموسيقي، ويد المهني، وقلم الكاتب، الذي يصنع هذه المعجزة، التي تطرب العامة وتفك القيود وتحرِّر الشعوب.

في حين لا يستطيع الكاتب الذي تعلم الكتابة -مهما فعل- وقد رتَّب الحروف، وسطر الصفحات وزيَّنها بالحركات، فوضع الفعل في مكانه، وصرف الفاعل والمفعول به كل منهما إلى زمانه، وعلَّق شدة هنا وضمة وفتحة وكسرة هناك... من أن يحرك ولو بمقدار شعرة واحدة المشاعر!

وأنا لازلت أذكر إلى الآن ما كُتِب حول الأديبة الكبيرة «مي زيادة»، وعجزها في التصريف النحوي للكتابات الرائعة التي كانت تتحفنا بها، وكان الرأي الغالب لها، أن تكثر من قراءتها للقرآن حتى تتمكن من الكتابة بلغة متينة لا يشوبها شائبة، ولكن رغم صعوبة تحقيق ذلك، لم تتقاعس عن ممارسة موهبتها، وإظهار مقدرتها في السيطرة على أدواتها الأدبية والإبداعية.

وهكذا دواليك... نجد أنفسنا أسرى الحرف الجميل، والكلمة البسيطة القوية المُعبِّرة، والجُملة المتماسكة، حتى إذا ما

أعدنا قراءتها لمرات ومرات، نجد أنفسنا عطشى لقراءتها من جديد، ونتخيل ونحن نقلب مفرداتها بأننا نستطيع أن نفعل مثلها، ومن أول محاولة ندرك حجم هذه القلعة المنيعة، وخطر هذا البحر الهادئ، إنه السهل الممتنع، ذلك الذي يجعلنا نرى مهارة السابح، ودقة الصانع، وحركة العازف، وريشة الفنان، وقلم الكاتب، وصوت الشاعر، وخفتهم بممارسة كل منهم لما وهب له وخلق، وكأنه في متناول أيدينا، لنكتشف بعد أول محاولة حجم موهبتهم وقلة حيلتنا!

وهذا السهل الممتنع هو الذي يجعلك تتصيد كتابًا لأحمد شوقي، أو توفيق الحكيم، أو طه حسين، أو السباعي، أو الزيات... وتطرب وأنت تستمع إلى محفوظ أو هيكل أو نبيل خوري (رحمه الله)، أو سمير عطا الله أو كوليت خوري أو القباني (رحمه الله)... أو حتى الأقدمين منهم كالمتنبي أو ابن خلدون... وغيرهم كثيرون لا تسعهم الصفحات.

في حين تنفر ممن يكتب، وقد زيَّن اسمه بالألقاب الكثيرة، وجمع بين يديه مناصب تضع مصير الأدب والأدباء على شفير شحطة من قلمه، فلا تجد فيما يكتب ما يحرك الفؤاد حتى وإن زينها بالجوائز وأتحفها بالميداليات.

الفصل الثامن عشر
مقالات / ٢
الإلهام

هل يَصنع الإلهام أم يُصنع؟ هل يصنع الإلهام المبدع أم هو صنيعته؟

سؤال قد يبدو بديهيًا ولا يختلف عليه اثنان، على أساس أن معظم من عايش الإبداع على أنواع فنونهم، قد أنجزوا أهم أعمالهم، وهم تحت تلك السيطرة الميتافيزيقية الخارقة والخارجة عن حدود الزمان والمكان والتي تهيمن على عقولهم، فتجعلهم حبيسي فكرة واحدة تسيطر عليهم... تقتحم هدوئهم وصفاء ذهنهم دون عُذر، ولا تتركهم إلا بعد أن تملي عليهم شروطها... حتى إذا ما انتهوا من خطّ ما أوحي لهم، تفاجئوا بما خلصوا من عمل، وكأنه من فعل غيرهم لا شك!

وهذه الحالة هي ما نطلق عليها الإلهام.

وحتى لا أتوسع كثيرًا وأدخل في علم الغيب، والأرواح والإيحاء، والاستحضار وطقوس التناسخ، وغيرها كثير كان قد انتشرت تعاليمها وعلومها، وأخذت ما أخذته من دراسة وبحث وتمحيص، وكانت مصدر شك أحيانًا، ومصدر غضب واستهجان أحيانًا أخرى، خاصة ربطها بموضوع الإلهام وتأثيره على أي عمل إبداعي خارق!

أقول حتى لا أتوسع وأضيع في فروع، قد تصل في بعضها

إلى ما أحب تناوله من موضوع الإلهام، سأضيق الحلقة عليه، وأبقى ضمن الأدب كفنٍّ إبداعي، ودور الإلهام في صياغة أعمال الأديب ونجاحه.

وهنا سأنتقل إلى بعض الأدباء لأنقل عنهم تجربتهم في الكتابة، وتطور العمل الأدبي لديهم وتأثير المكان والزمان على إبداعاتهم.

فإذا كان طه حسين على سبيل المثال، كان متلقيًا وملقيًا في صياغة أعماله، فهو لا شك يتحكم بإلهامه ويجعله طوع يمينه أينما شاء، وفي أي وقت يشاء.

وهذا على عكس أديبنا الكبير محفوظ، حيث كان تواجده في الأماكن العامة أو في المقاهي الشعبية هو الحافز الأول لإنجازه لأكبر إبداعاته.

في حين أعطى الحكيم لنفسه مساحة أكبر من الحرية، ليختار زمان ومكان أي عمل يريد أن ينجزه، باسطًا بذلك ذراعيه للحياة يعبُّ منها ما استطاع، فيأخذ وقته في التعلُم والحب والسفر والتفكير والتنظير والبحث والتمحيص، لينجز أعماله، بعد أن يخرجها من غياهب التاريخ والدين، فيعيد لها الحياة بعد أن يهبها من أنفاسه الرائعة تلك، الحياة الأبدية التي أرادها لأبطاله، بعد أن كانت مجرد اسم أو حدث أو رمز أو مكان جامد دون روح.

وهكذا نجد كاتبنا الكبير هيكل وقد اختلف عنهم في أسلوبه، فكان لديه برنامج محكم منظم ومرتب يعرف من خلاله أن ساعة الكتابة قد حلَّت، فتحضر بين يديه كل أدوات الإبداع دون تأخير، وعلى رأسها إلهامه.

هذه الأمثلة البسيطة تعود بنا إلى السؤال الأول... ألا وهو: من يصنع الآخر؟ الإلهام هو من يصنع الأديب... أم الأديب هو من يصنع الإلهام؟

وهل الإلهام ضرورة للإبداع تُفرض علينا من الخارج، أم هي نتيجة حتمية لاهتمامنا بموضوع ما... يقوم الذهن في لحظات انشغالنا في حياتنا اليومية، بالإعداد لها وتجهيزها ورفدها بالحجة والخيال، ليطرق باب وعينا دون استئذان وفي أي مكان وزمان؟

وهل حالات الكتابة التي يغرق فيها الكاتب بين شخوصه وأحداث قصصه ومواضيعه، ما هي إلا حالات من الغياب عن الوعي، يحلِّق الكاتب فيها إلى عوالم بعيدة عن تلك التي يعيشها؟! فإذا ما انتهى من خط سطوره، التفت حوله ليجد نفسه في مكان غير ذاك الذي توقَّع أن يكون فيه، وقد تمر ساعات وهو يقلّب بأوراقه التي يخطّها دو أن يشعر بأن المحيطين به، قد تغيروا وتبدلوا، وبأن يومًا كاملاً من حياته قد انقضى دون أن يتحرك من مكانه؟!

من الصعب جدًا التأكد من كل هذه الحالات، ولكن ما هو واضح ولا يقبل مجالاً للشك، هي الصيحة الكبرى التي يصيحها الكاتب أو العالم أو الفيلسوف (لقد وجدتها... لقد وجدتها!)، وبالرغم من أن الكلمة لا تعني على وجه الخصوص عدم وجود تلك الفكرة من قبله، بل هي لم تكن أكثر من نتيجة لبحثٍ مُضنٍ قد تناوله عقله، لإيجاد حل لمعضلة أطال بها التفكير، وكانت ضائعة عنه وقد وجدها.

وهذا لعمري هو ما كان يستنجد به فطاحل الشعراء، وكانوا يسمونها بشياطين الشعر!

فإن حضرت؛ حضرت معها إبداعاتهم وفصاحتهم، ورسالتهم التي أرادوا إيصالها... وإن غابت؛ غابت عنهم بلاغتهم وفصاحة لسانهم، وقد يطول هذا الأمر ليشمل خمولاً في الإبداع يتجاوز عددًا من السنين.

وهذا ينقلنا إلى السؤال التالي: هل هي حقًا شياطين الشعر تلك التي غابت؟

هل الإلهام هو الذي استعصى؟

أم إن الأمر لا يتعدى كون المتلقي، قد فقد حوافزه واهتماماته، وبالتالي فقد إلهامه وشيطان شعره؟

وحتى لا أخوض فيما لا أعرف... وأنا لا أملك أي مصدر علمي يرفدني بأجوبة منطقية، ويدعم فكرة انطلقت من هنا، وعبارة سقطت من هناك، سأحاول قدر المستطاع نقل تجربتي في هذا الموضوع، وأنا على يقين بأنها لن تكون بعيدة، عن غالبية من عايش تجربة أي فن من الفنون الإبداعية، ومنها الكتابة.

فمن منا على سبيل المثال لم تسيطر عليه فكرة ما، أو موضوع أو مشروع تمنى أن ينجزه، ولم تستجب لنا إلا في مكان وزمان لم نتوقعه.. وفي ظرف لم نحسب له حسابًا؟!

ومن منا لم يستيقظ ليخطّ عبارة ويتفقد جملة ويصحح فكرة، أو -بكل بساطة- يكتب قصة أو رواية أو مقالة، دون سابق إنذار، وفي مواضيع لم يكن يتوقع الخوض فيها؟!

بل سأذهب أبعد من هذا لأقول: من منا لم يفاجئه هبوط جواب لمعضلة ما، كان يبحث عنها وهو يمارس حياته اليومية، فإذا ما أهمل تسجيلها أضاعها وحزن عليها، كما يحزن الفارس على كبوة حصانه؟!

في الحقيقة لقد عايشتُ أكثر من هذا في سعيي لتسجيل لحظات الإلهام تلك، منذ أن وعيتُ الحياة، وأدركت أهمية تلك اللحظات المهيبة العظيمة التي تسيطر علينا، حيث تذهب بنا إلى عوالم من الخيال المليئة بالعفة والصدق، وتسكنها الحجة وتزدهر في أرجائها تلك المتعة الروحية في اكتشاف ومعاينة ومعالجة الحياة، والتقرب إلى المعرفة وهي بتول، لم تمسها بعد يد طامع، ولم يشوِّه نقاء منبعها الصافي أي أثيم.

ونكبر، وتكبر معها تجربتنا وخبرتنا واكتشافنا للعالم المحيط حولنا... فلا نجد أي ملجأ آمن لنا للحفاظ على أحلامنا الطاهرة، إلا تلك اللحظات الرائعة التي يهبها لنا الإلهام، فنستدرجه بما اكتسبناه من خبرة، ليحملنا على جناحيه ونخط بمعيته أجمل أعمالنا.

وهكذا يستطيع الكاتب من التحكم -في لحظات من النضج التي يصل إليها في حياته- بأفكاره ومواضيعه التي يحب أن يتطرق إليها، ويستطيع بمتابعة أي عمل أدبي طويل يحتاج للمراجعة والمداولة والمتابعة دون أي انقطاع في تسلسل الأحداث، وكأنه قد عقد صفقة مع وعيه وإلهامه، فيبدع كما لو أنه تحت سيطرتها... ولا يعيبه صوت يأتيه من هنا، أو نبرة عالية من هناك، أو نداء لطفله يتوسل عنده قُبلة، أو زوجة اشتاقت منه لمسة حب أو إطلالة حنان، فيعيش قصص أبطاله كما يعايش أهل بيته بانسجام ووئام، حتى لا تختلف القيم التي يخطها على لسان شخوصه، عن تلك التي هي مصدر إلهامه وعطائه ونجاحه...

ولهذا أنا لم أجد بتاتًا ولا في أي لحظة من لحظات العطاء التي عايشتها، أي انزعاج عن أي انقطاع بسبب حلول طفل

لي يستجدي ضمة مني أو قُبلة أو لحظة دفء، لأنني على يقين بأنني إذا ما بخلت فيها عليه فإن تلك اللحظات العابرة من طفولته، والتي لم تنال اهتمامي، هي لحظات ضائعة لن نستطيع -مهما فعلنا- استعادتها وتعويضها.... في حين انقطاعنا عن لحظات الإلهام ونحن نخط سطورنا، هي طوع الكاتب وتحت سيطرته، يستطيع استدراكها وجلبها متى أراد...

وهنا تظهر قوة وتمكن الكاتب من أدوات كتابته وأهمها الإلهام.

الفصل التاسع عشر
مقالات / ٣
الأدب وموضوع تقمص الأديب لشخصيات أبطاله

الأدب وموضوع تقمص الأديب لشخصيات أبطاله، يبدو موضوعًا طبيعيًا جدًا، ويعتبر وسيلة من وسائل التعبير، وأداة من أدوات القص التي يعتمدها معظم الأدباء والقصاصون في أعمالهم، للتعبير عن مشاعر وانفعالات وتصرفات شخوصهم، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ولكن ماذا عن تقمص الكاتب الرجل لشخصية المرأة والتحدث باسمها؟

وماذا عن تقمص الكاتبة المرأة لشخصية الرجل والتحدث بلسانه وكتابة ورسم مشاعره؟

تقول الأديبة والقاصة الكبيرة «كوليت خوري»، في إحدى المقابلات التلفزيونية لها: (بأنها لا تؤمن أبدًا بإمكانية تقمص الكتاب من الجنسين، في تقمص أبطالهم من الجنس الآخر، والتحدث بعواطف ومشاعر الآخر، وهي تعتبر بأن لكل منهما ميزته الخاصة في نقل مشاعره بصدق، ولا تميل بتاتًا إلى فكرة أن يحل الرجل في ثوب المرأة لكي يتحدث بلسانها والعكس صحيح، وتعتبر أي عمل في هذا المجال، هو عمل ناقص لأن لكل واحد منهما خاصيته ومعرفته المميزة لنفسه)

وبما أنني من المعجبين بكتابات الأديبة كوليت خوري، وأعتبرها من الأديبات العربيات القلائل اللواتي إذا ما تحدثت

تكلمت أدبًا، وأطربت السامع من كلماتها شعرًا، وأخذتك معها ومن خلال أبطالها في رحلة تعيش من خلالها مغامراتهم دون تأخير وحتى النهاية، وبالرغم من أنها مارست هذا النوع من التقمص من خلال وصف مشاعر أبطالها الذكور في قصصها... فأنا لم أفهم سبب عدم اعترافها بمقدرة الكاتب على إتقان هذا التقمص!

وبما أنني ممن تمرَّس في تقمص شخصيات أبطالي في الروايات والقصص التي كتبتها ومن الجنسين، وأجد سهولة في الحلول بثوب الطرف الآخر، ونقل مشاعره وانفعالاته... فلا أرى وأنا أخطها أي صعوبة في الإفصاح -وبمنتهى الصراحة- عن مشاعر قد تتجاوز تلك التي من الممكن أن تفصح عنها، إذا ما كانت الكاتبة امرأة.

ويمكن أن يكون من حسنات هذا التقمص، أن يبعد كل من الجنسين -إذا ما أحبا التعبير بثوب الآخر- أصابع الشك والاتهام عن معايشة نفس الهموم، والتعرض لنفس المعاناة التي يعيشها أبطالهم.

أي أننا نملك مساحة من الحرية كبيرة جدًا، لكي نصول ونجول في عرضنا لتلك الهواجس، والآمال والأحلام، واختبار مقدرتنا وموهبتنا في نقلها، ومقدار اقترابنا أو ابتعادنا عن الواقع.

ولكيلا أبتعد عن الموضوع... فسأنقل تجربتي الشخصية في هذا المجال، وهي تُختصر بمدى صدق وتطابق تلك التجربة، في تقمص الشخصية الأنثى، والتحدث بلسانها، وعرض مشاعرها بإتقان وشفافية تقترب إلى حد كبير من الحقيقة.

قد يتساءل البعض: كيف؟

وهل من الممكن ذلك؟
وهل يوفق الكاتب فيه وإلى أي مدى؟

كلها أسئلة كنتُ قد طرحتها على نفسي، ولم أتحقق إلى الآن من أي منها بشكل قطعي، خاصةً إذا ما التقى الكاتب بأحد الشخصيات التي كتب عنها، وطلب منها رأيه فيما كتبه عنها، وهل تصل درجة الصدق في وصف ونقل تلك المعاناة أو التجربة أو المشاعر إلى مستوى الحقيقة وإلى أي مدى؟

وأنا أقولها وبمنتهى الصراحة: لقد فعلت، وتفاجأت أن أكون ناقلاً لآمال وطموحات أبعد من تلك التي كانت تأملها، أو ترغب في الإفصاح عنها تلك الشخصية أحيانًا، وفي أحيان أخرى... أفاجأ بأنني لا أعرف شيئًا عن المرأة، وبأن نقل مشاعرها لا يتعدى كونه محاولة فاشلة من محض الخيال، ولا تمت إلى عالم الأنثى بشيء!

إذ لا يكفي أن نخط مشاعر الطرف الآخر على الورق، لكي ندعي فهمنا لها، مهما تمتعنا بالموهبة والحس المرهف والعين الثاقبة في التقاط الحقيقة، ومعايشتها ومشاركتنا لمعاناتها، وامتلاكنا للخبرات المتراكمة من وحي تتبع همومها اليومية، ومآسيها الاجتماعية، وما تتعرض له من إهمال أو استغلال أو انتقاص في الحقوق... أو حتى مجاراتها في رحلتها نحو المساواة وتكافؤ الفرص، وتبوؤها المراكز الاجتماعية التي تطمح لها، ومقدار تطابقها مع حلمها، وتأثيرها على سير وتماسك حياتها العاطفية، ومقدار الثمن الذي عليها أن تبذله في تحقيق ذلك... الخ.

كل ذلك لا يكفي لكي نخطّ سطرًا واحدًا، ندعي فيه مقدرتنا على نقل الحقيقة فيما تُحب وتشعر، لأننا -بكل بساطة- رجال... ولأنها -بكل بساطة- امرأة.

الفصل العشرون

مقالات / ٤

هيبة الكاتب وقيمته الأدبية

عنوان مثير للاهتمام ويُخفي خلفه الكثير من الأسئلة... وحتى لا أضيع في متاهات التفسيرات الجانبية له، سأعود به إلى صيغته الأصلية وأطرحه بطريقة أخرى وهي: هل يفقد (الكاتب) هيبته وقيمته من خلال نشره الإلكتروني لأعماله؟

وأضع هنا كلمة (كاتب) بين قوسين، لأن المقصود به هو الكاتب المعروف على الساحة الأدبية وليس أي كاتب.

والمفروض طبعًا من هذا السؤال، هو حصد أكبر عدد من الأجوبة المختصرة والمحددة والواضحة عنه، ليبدو وكأنه استفتاء للقراء، يفضي إلى نتائج واضحة وملموسة ومتعددة، تُعتمد في النهاية كمرجع لمن يهمه الأمر.

وبما أنه لم يُطرح كاستفتاء يبحث عن جواب محدد بنعم أو لا، بل طُرح كموضوع يبحث عن الجواب من مرتادي ومهتمي هذا الموضوع... يبقى من حقهم علينا ومن حق القراء، أن يحصلوا على جواب شامل وواضح عن الأمر مستفيدين ممن ملك الخبرة من قريب أو بعيد حوله.

وأنا إذ أدلو بدلوي في هذا الموضوع، فبصفتي قارئ وكاتب هاو، مهتم بالأدب بشكل عام وبكتاب القصة بشكل خاص، وعلى احتكاك مباشر برواده.

ولكي أبسط الموضوع أكثر سأقسمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: يتعلق بالكتاب الكبار والمعروفين على الساحة الأدبية في العالم العربي، ولهم إصدارات أدبية ومكانة اجتماعية مرموقة ومعترف بها.

الثاني: الكُتَّاب الذين بدأوا بالظهور على الساحة الأدبية العربية بخطى ثابتة -رغم المعوقات- ليشغلوا بعضًا من المساحة الشاغرة التي يستحقونها.

الثالث والأخير: وسأسميهم بأصحاب (ضربة الحظ).

ولكي أسهل الأمر على نفسي... سأقوم بعملية تقمص وألبس ثوب عدد من الكتاب الكبار في عالمنا العربي.

(١)

حللت بأولهم ضيفًا خفيفًا مستعيرًا مكتبه وكرسيه الذي يكتب من عليهما، ووسادته التي يرتاح عليها، وعصاه التي يتكئ عليها، وفمه الذي يتناول الطعام ويتحدث من خلاله، وقلمه الذي يكتب به، وعيونه التي يرى العالم من خلالها... ولِمَ لا عائلته وأطفاله وأصحابه، وحتى فراشه الذي ينام فيه... فرأيته على غير ما يراه الآخرون!... بسيطًا وودودًا وحميمًا وشاعريًا إلى حد لا يمكن لأي كان أن يتصوره.

فهو إن نجح ليصبح كبيرًا، فبفضل كل أولئك الذين أحاطوا به سلبًا (ليقحموه في صراع بين الحق والباطل وليصنعوا منه عن غير قصد، البطل المناسب الذي يدافع عن المظلومين)... أم إيجابًا (بالرعاية والاهتمام والحنان، ليخلقوا بفعلهم النبيل، الرجل الذي ارتضى الشقاء طريقًا يلتمس الإخلاص لمبادئ

آمن بها من خلاله)، ويكتفي بما منحوه من رعاية مكافئة لا بديل عنها يرضيه.

فأتحسس من خلال ظُلمة المكان الذي أحاط بطه حسين، تلك الثورة المشبعة بنور الحرية المتوهج، يصرخ بوجه الظلم من خلال رائعته (المعذبون في الأرض)...

لأتسلل بخفة الظلال الساكنة إلى قلبه، لأجده ينبض بحُب لا حدود له للحياة، وآمال لا يحدها زمان ولا مكان، وقد مهرت ببراعة فنان لا يكلّ ولا يملّ من خلال سيرته الخالدة (الأيام)... فلم ينتقص من نشرها على مراحل وأجزاء في الصحف (وهو ما يشبه النشر الإلكتروني اليوم) من قيمة قلمه أو هيبة كاتبه.

(٢)

أتعثر بالمارَّة والبائعين المتجولين وأصحاب المهن الحرة وبائعي الخضار، وهم يصيحون لبيع بضاعتهم، وأنا في طريقي المعتاد متوجهًا إلى خان الخليلي، حيث أنني على موعد مع طاولتي وكأس الشاي أو فنجان القهوة المعتاد... طربًا بصوت النادل ينشد طلبات زبائنه وكأنه يغنّي، وقد اختلط بقرقعة الشيشة ورنين الأطباق النحاسية، وهي تصطف تباعًا على الرفوف الخشبية!

فلا تعيقني رائحة الدخان المنبعث من أفواه المرتادين، وقد اختلط بروائح البخور المنبعثة من محلات العطارين القريبة... ولا بصوت فاطمة تنادي على (صبي) بائع الفول ليحضر حصتها منه لفطورها... وقد قصدت إثارة انتباهي وهي تتخفى خلف خمارها، ملوِّحة به بين الحين والآخر لتكشف عن بعض مفاتنها المثيرة... فأصنع من كل هذا روائعي

الشهيرة الثلاث: (بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية) ولا يعيبني أبدًا أو ينتقص من قيمتي وهيبتي إذ بدأت بنشر ما أكتب بالصحف أو الجرائد المحلية... ولو قُدِّر لي أن أكون على اتصال مع جمهور عريض وواسع عن طريق الإنترنت لما تأخرت... فوجودي أنا نجيب محفوظ يعتمد على قرائي، فأنا أكتب لهم ولأجلهم رغم عني، لأنني لا أعرف أن أفعل أي شيء غير هذا!

(٣)

أتردد بخجل على بائعة التذاكر لأحصل على بطاقتي لدخول المسرح، فلا أعرف إذا ما كان هو مصدر اهتمامي أم أن لابتسامة تلك المضيفة الجميلة الساحرة حظًا مما أنا فيه، لأعود مع دراهمي القلية المتبقية لي من مصروفي الشهري، لأشتري بعضًا من الرز والموز... أقتات عليهم في سبيل شيء ما يشدني إليه رغم عني... وهو هذا المسرح، بشخوصه المتعددة أعيش معها صراعها الأزلي بين الحق والباطل، فلا أكتفي بالكلمات المنمقة، ولا بالعبارات التي تصدح بالعبرة والفصاحة والحكمة، بل تطاولها فضولي إلى المكان الذي يحيط بهم، وبالألبسة الزاهية التي يلبسونها وقبعاتهم التي يعتمرونها!

ولا أجد تفسيرًا إلى دوافعي لكي أُضحِّي بدراستي للقانون، التي كان من الممكن أن أنجح بها، لأعود بشهادة لا تخولني إلا بممارسة التمثيل والكتابة للمسرح!

ولا أعرف حقًا إذا ما كانت ساحرتي بائعة التذاكر، هي الحقيقة المخفية لكل ما جرى لي لأكتب -وأنا أتخيل نفسي بين

ذراعيها- روائعي في المسرح (كأهل الكهف، وبيجماليون، وصلاة الملائكة، وشهرزاد) وغيرها كثير... ولهذا كانت روايتي... قناعي أنا توفيق الحكيم (عصفور من الشرق).

أم أن عملي في سلك القضاء، هو ما أنعش في ذهني تلك النار الخامدة لزمن طويل تحت الرماد، لأنتفض من سباتي وألتصق بالمسرح، وصُناعه؛ على فقرهم وقلة حيلتهم، فأصنع معهم أجمل أعمالي!

كل ما أعرفه هو أنني كنت مُخيَّرًا أن أعيش كالباشوات، ولكنني -مدفوعا بقوة خفية تتجاوزني- فضلت أن أخلص لما خلقت له... ومهما كان الثمن.

ولم يضيرني الكتابة حتى على جرائد الحائط، ولو أتيح لي أن أقترب أكثر من جمهور كبير عبر الكتابة الإلكترونية لما قصرت أبدًا...

فالمال لم يكن يوما هدفي، بل إبلاغ رسالة كُلِّفت بها هو مقصدي وخياري!

(٤)

وأخيرا ها أنا أجلس في مدينة الضباب (لندن) أحتسي قهوتي وأطالع جرائدي بعد أن أُصبت بخيبة أمل لا علاج لها من الضعف والمهانة التي اجتاحت العالم العربي، لتقصف -بعد الهزيمة المريعة لهم في حرب ١٩٦٧، وتقاعسهم في جني مكاسب انتصارهم في ١٩٧٣، وترك فلسطين ومن بعدها لبنان لسماسرة القتل!... ولتقذف بمُحبي العدالة والحرية والمساواة على أرصفة البيكادلي في لندن والشانزليزيه في

باريس... يتجادلون فيما بقي لهم من عزة وكرامة... فأصنع بما بقي لي من حبر وورق ثورة الجيل المقهور، لأريه عالمًا لم يعِشه، ومذلة لم يتذوقها إلا من خلال الخطابات!

ولا يعيبني أي منبر كان ومن أي مكان كان صحيفة أو جريدة أو ندوة أو لقاء... أو حتى من خلال الحناجر الصادحة بالحق تغني مآثري... مآثر أمة صورتها بامرأة (فكانت قارئة الفنجان) كما كان قبلها ولسنين طويلة (اعتذار لأبي تمام، خمس رسائل لأمي، أحزان في الأندلس، رسائل لم تكتب لها)... وآلاف الرسائل والقصائد التي زيَّنت دواويني التي تجاوزت الأربعين تحكي قصتي... قصة نزار قباني... الوطن والحب والمرأة والثورة.

الفصل الواحد والعشرون

مقالات / ٥

قِلة القراءة لماذا؟

المطالعة أين نحن منها؟... مقارنة بين العرب والغرب

من خلال معرفتي المتواضعة عن الغرب بحُكم إقامتي فيه، وللإجابة على سؤال حيوي ومهم جدًا حول أسباب إحجام الكثير من القراء العرب عن المطالعة، والمقارنة بين المطالعة في العالم العربي وبين الغرب، ودوافعه وعوامل انتشار الكتاب وتزايد عدد القارئين له... أرى -إذا ما أحببت أن أكون صريحًا جدًا- بعدم وجود أي أوجه للشبه في هذا الموضوع نهائيًا... فنحن في كوكب، وهُم في كوكب آخر...

١- من ناحية الحرية: الكتابة في أي شيء وفي أي موضوع وفي كل المجالات... حيث لا يتعرض الكاتب إذا ما امتهن الكتابة، لأي ضغوطات تمنعه من الإخلاص للمبادئ والأفكار التي يؤمن بها، هذا بالإضافة إلى إنها (أي مهنة الكتابة) وسيلة جيدة تضمن الحياة الكريمة لأصحابها، هذا إذا ما لم تنقلهم الشهرة لإبداعاتهم الأدبية إلى القمة.

٢- من ناحية الحوافز: ومكانة الكاتب أو الصحفي أو المؤلف، أو حتى المواطن العادي الذي لا يملك إمكانيات الإبداع والكتابة، ولديه قصة يحب أن يرويها... هناك من يكتب عنه ويسمونهم (الكُتَّاب الشعبيين)، حيث هم مدعاة احترام وتقدير واهتمام من الإعلام والجماهير على السواء، بل أن

بعضهم تفوق شهرته وثروته، أكبر مشاهير العالم في مجال الإعلام والفن وأكثرهم ثراءً!

٣- الإعلام ودور النشر: ودورهم الكبير جدًا في احتضان ونشر الثقافة والكتاب ومبدعيهم، وعملها الدؤوب على حث هؤلاء الكتاب والأدباء، على المشاركة في معارضهم الخاصة، والترويج لهم ولإبداعاتهم الأدبية في الأسواق، والمكتبات الكبرى والتظاهرات الثقافية الدولية، ومساعدتهم على الانتشار من خلال ترجمة أعمالهم إلى لغات أخرى ومتابعتهم عن كثب. حتى إن مهنة الكتابة في الغرب الآن، تحولت إلى أسهل الوسائل للثراء والشهرة، بعد أن توسعت الوسائل الإعلامية وارتبط العالم بشبكة هائلة من وسائل الاتصال والمعلوماتية، تجعل التعريف بهم والوصول إليهم وإلى شراء أعمالهم أمرًا سهلاً.

٤- من ناحية التوجيه: الحث على المطالعة من قِبل الجهاز التعليمي الرسمي أو الخاص، وذلك بفرض شراء الكتب الأدبية لكبار الأدباء، واعتبار النقاش حول الأديب وعمله مادة أساسية من المواد التعليمية، وذلك بمعدل عشرة كتب على أقل تقدير بالعام الدراسي، مع ما يتبعه من فتح آفاق الطلبة على عالم المطالعة والكتاب، وتسهيل نشر الكتاب وبيعه.

٥- من ناحية الثمن: ثمن الكتاب أو المجلة أو الجريدة مقارنة بالدخل، حيث لا يشكل عبئًا أو عائقًا لأي كان (على سبيل المثال توزِّع وزارة التربية في فرنسا وكل عام على طلاب الإعدادية والثانوية لديهم بطاقة اعتماد مالية بقيمة خمس وسبعون «أرو» أو أكثر وللجميع بدون استثناء وذلك لشراء المطبوعات فقط، خاصة تلك التي يطلبها المدرس منهم،

وعادة يكون ثمن الكتاب بين ثلاثة إلى خمسة «أرو» - أقل من ثمن علبة تبغ، للمقارنة فقط-، وهذه نوع من المساهمة على نشر الكتاب).

٦- دور الأهل: كمثال يُحتذي به من قِبل الأبناء، ودور وجود مكتبة في المنزل، حيث تكون المكتبة المنزلية هي أول لبنة حُب وإعجاب ولقاء بين الطفل والكتاب، هذا بالإضافة إلى وجود أبوين قارئين له منوعين لعناوينه.

٧- دور المجتمع الذي يحيط بنا: حيث أن التناقض في هذا الموضوع مع الغرب كبير وواضح، فأنت لا تجد شخصًا ما في المترو أو الطائرة أو حتى بالأتوبيس، بدون كتاب جيب أو مجلة أو جريدة، وفيما بعد، وبعد انتشار الهواتف الذكية، ها هي تأخذ بعضًا من اهتمامهم ووقتهم، كوسيلة جديدة للمطالعة، ومصدرًا لا يمكن تجاهله للثقافة.

هذا إذا تجاوزنا وجود من لا يقرأ في الأماكن العامة والحدائق والمنتزهات والمقاهي وعلى الشاطئ أثناء العطلة، بحيث يصبح هو من يثير الشبهة.

وأنا أتفق مع الكثيرين ممن غمسوا ريشتهم وكتبوا، في موضوع السخرية ممن يمسك كتابًا ويقرأ في الأماكن العامة... وقد تعرضت لهذا عندما كنت في إجازة في سوريا، وكنت أُواجَه بنظرات استغراب!

ولكن أنا لست ممن يضم الكتاب ويخبئه، لأن لدي فلسفة مفادها، تعويد المحيطين بنا على وجود من يقرأ حتى يصبح الأمر شائعًا.

طبعاً أنا حاولت قدر المستطاع الاختزال في طرح مشكلة كبيرة، ألا وهي المطالعة في العالم العربي...

وأظن بأن كل نقطة من النقاط التي طرحتها للمقارنة مع الغرب، وهي سبب في تأخرنا وإحجامنا عن المطالعة، تحتاج لعشرات الصفحات لتبيانها.

وقد تحاشيت الإطالة حتى لا يهرب القراء، فأكون قد ساهمت عن غير قصد في الإحجام عن المطالعة، لأن الإطالة هي أحد أسبابها.

الفصل الثاني والعشرون

مقالات / ٦

جودة الأدب ومصير المطالعة

في معرض حديثي عن موضوع قِلة القراءة التي ناقشتها وفنَّدت أسبابها في مقالتي السابقة، تطرقت إلى أسباب عديدة ومهمة جدًا، كالحرية في الكتابة والحوافز المادية والمعنوية ودور دور النشر والطباعة... ثم تطرقت إلى دور الأهل والدولة، متمثلة بالتعليم والثقافة، وانتهيت بدور المجتمع.

بعدها عدت لنفسي أسألها: وماذا لو توفّر للقارئ كل هذا وأحجم عن المطالعة؟

مثلي مثلاً؟!...

فأنا على سبيل المثال، وكلما ذهبت لأشتري كتابًا لأقرأ قصة أو رواية أو قصيدة شعرية، وبدأت بتقليب صفحات الكتب المعروضة دون النظر إلى اسم الكاتب (لأعطي فرصة للكُتَّاب الجُدد) أتركه لأنتقل إلى غيره... حتى دون أن التفت إلى سيرة الكاتب ومستواه التعليمي وثقافته.

لماذا؟

أولاً: حتى لا أتأثر بتلك السيرة اللامعة ثم ألومه... خاصةً إذا لم تكن كتابته ذات مستوى تليق بشهرته.

وثانيًا: حتى لا أخسر ثقتي بالعثور على كتاب جيد، أستطيع أن أتمتع بمطالعته.

فأجد نفسي في نهاية المطاف، أهرب إلى الكّتاب القلائل الذين قرأت لهم، وسُحِرت بكتاباتهم وأدبهم.

وأنا لا أخفيكم... بأنني كنت أصاب بخيبة أمل كبيرة، عندما لا أجد لهم الشيء الكثير من مطبوعاتهم، لحجج يفندها البائع... إما لفقدانها من السوق وعدم طباعتها مرة ثانية -بعد المئة- لإحجام المطابع ودور النشر عنها، لأنها تكلفهم غاليًا بسبب حقوق النشر للكاتب أو لورثته (إذا كان قد توفي) هذا طبعًا إذا تجاوزنا موضة المطابع بإصدار نشراتها بطبعات أنيقة وملونة، مما يؤدي إلى زيادة الكلفة، وهذا ينتهي بالطبع إلى امتناع القارئ عن الشراء.

إذًا... هناك سبب آخر أهم من كل ما ذكرت، يعود إليه سبب إحجام الجمهور عن المطالعة، ألا وهو نوعية المعروض من الكتابة، أي جودة قلم الكاتب وجودة الكتابة ذاتها.

وتساءلت عن هذا السر الأبدي في سحر الكلمة، عندما تمسك بك من أول سطر في قصة أو رواية أو بيت شعر، ولا تتركك إلا وأنت عطش لقراءة المزيد منها... ومهما كلفك من وقت وثمن!

وتساءلت أيضًا... عن سبب عدم استجابة الكلمات والعبارات والحروف بين يدي كاتب ما... لتتحول هي نفسها إلى أداة للتأثير، لتجلب المتعة أو الحزن، الثورة أو الحب والتسامح، بين أنامل كاتب آخر!

وأخيرًا... تساءلت عن سبب امتناعي عن المطالعة الأدبية المنتظمة، لزمن غير قصير (يتجاوز العشر سنوات)... وكنت أعتقد بأنني لابد قد أصبت بمرض ما، قد أثَّر على هذه المزاجية التي أمتلكها في حبي للمطالعة، بحيث كنت أعمل على ألا

يمر يوم دون أن أقرأ معظم الصحف وبعضًا من الدوريات الأسبوعية والشهرية، فأعمل فيها أكلاً حتى أنتهي منها، ومن كل الزوايا الفنية والاقتصادية والكاريكاتورية وحتى الكلمات المتقاطعة... بالإضافة إلى الكتب السياسية والتاريخية والاجتماعية الصادرة حديثًا في ذلك الوقت، وكانت أكبر متعة لي أن أنام والكتاب على صدري.

ولا زلت أذكر كيف كنت أحجز نسختي من مجلتي الأسبوعية السياسية المفضلة «المستقبل» التي كانت تصدر من باريس، وكيف تكبدت عناء حمل أعدادها الأكثر من ألف إلى الوطن، بعد أن جمعتها على مدى سنوات، وقمت بتغليفها وضمها في مجلدات، وكيف بقت هي مرجعي وسبب متعتي، كلما أمسكت عددًا منها لا أتركه -أو لا يتركني- دون أن أنتهي من المجلد كاملاً!

وأذكر أيضًا بأنني، وبعد أن أُغلِقت هذه المجلة، شعرت بنفسي يتيمًا، وقد تُركت دون أب أو أم يؤمِّن لي هذا الغذاء الروحي، فحاولت أن أعثر لنفسي عن بديل، فبدأت بمتابعة المجلات الكثيرة الصادرة الواحدة تلو الأخرى -وكانت حرب الخليج الأولى قد وضعت أوزارها- فلم أستطع أن أتعلق أو أتابع أيًا منها أو من كُتَّابها، حتى حدا بي الأمر لكي أجد عزائي بالبحث عن كُتب لكتابها الكبار (كالريس والماغوط وعبد ربه والخوري وعطا الله) وغيرهم كثيرين ممن تعرفت إليهم وعلى كتاباتهم الرائعة، فلم أجد أكثر مما قرأته لهم فيها!

فعدت بسؤالي الأول: ماذا حدث للكلمة؟...

وماذا حدث للحرف؟...

وماذا حدث للكاتب؟...

لكي يفقد كل منهم قدرته على البلاغة، وقوة الحجة والإبداع، ووجدت نفسي أعود للمربع الأول ألا وهو حرية الفكر!

وهكذا وعندما يفقد الكاتب أولى أدوات إبداعه، وهي تلك المساحة الكبرى من الحرية، تفقد كلماته مهما كانت بليغة، قوة الإغراء والجذب والتأثير، ومن ثم يفقد بعضًا من مصداقيته.

وهذا ما جعل لكتابة بعض منهم -بعد أن انتقلوا ليتحولوا إلى أقلام مأجورة (بسبب امتهانهم للقلم) - تفقد هذا البريق وهذا السحر الذي يجذبك إليهم، وبالتالي تفقد حتى الرغبة في مطالعتهم!

أما عمن حرص وأخلص للكلمة التي حملها... فهم قلة وهم مصدر سعادتنا، إذ نعود إليهم كلما شعرنا بحاجتنا إلى تلك الجرعة الضرورية من الثقافة الجادة.

وجاء الإنترنت... ليفتح أمامي عالمًا آخر وكبيرًا جدًا، لا ينتهي من فرص الاطلاع على الأدب على أشكاله... لأكتشف بأنني لازلت ولله الحمد أتمتع بتلك الرغبة الجامحة للمطالعة، وبأنني لم أتغير، بدليل إنني بدأت أقع في غرام كُتَّاب أتعرف إليهم وإلى كتاباتهم لأول مرة، دون أن يكون لهم أي تاريخ بالكتابة أو ظهور على التلفاز أو أي استعراض لأقلامهم بالدعاية في الصحف.

فتجددت متعتي بالقراءة للقصة والشعر والرواية، عندما أدركت بأن العامل الأهم من كل العوامل الأخرى بعد الحرية، هي نوعية الكتابة وجودتها ومقدرتها على التأثير علينا، بحيث لا تحتاج للسعي إلينا لكي نتتبعها... بل نحن، ولمجرد أن نكتشفها، نسعى خلفها، وخلف من يكتبها، فنطارده من

موقع إلى موقع، ونسعى خلفه من مكان إلى مكان، وننتظر بشغف كل ما يكتبه أو ينشره أو يقوله.

وهذه الجودة طبعًا، مرتبطة بمقدرة الكاتب على امتلاكك، من أول حرف تقرأه له، في أي عمل أدبي، فلا يتركك إلا بعد أن تنتهي من أخر حرف مما كتب مهما طالت... لأنها تعطيك زادك من الكلمة، بمقدار الشغف الذي تملكه بتذوق كل ما هو رائع منها.

وإنه لعمري لهو ما ينبئ بميلاد قلة من حملة الأقلام، الذين سيأخذون بشعلة الأدب، لينيروا لنا طريقًا كنت إلى زمن قريب، قد اعتبرته عصيًا بوعورته وظلامه!

وهذا ما يعطي لكبار الأدباء من فطاحل الأدب -الذين عرفناهم، وقرأنا لهم، وأعجبنا بهم، وأحببناهم، وتمسكنا بإصداراتهم، واعتمدناها مراجع لنا- القوة والقيمة والمصداقية التي هم عليها.

إذًا... سبب آخر ومهم لامتناعنا عن المطالعة... هو افتقادنا إلى جودة الكتابة، والتي تقودنا بالتالي إلى العثور على الكاتب الجيد، بحيث لا يحتاج لكي يفرض نفسه عليك، أكثر من كلمات بسيطة يدخل بها إلى قلبك، فيفعل فيها ما يشاء، حيث ينقلك بكلماته من أتعس زنزانة بالعالم تقبع فيها، إلى فردوس تحف به الحرية من كل جانب... يصل إليك وإلى كل فرد من أفراد عائلتك ومجتمعك، ومهما كانت ثقافتهم ومفرداتهم اللغوية التي بحوزتهم، ليثير لديهم الحب، ويهذب فيهم الخلق، ويشكل بكلماته الشائعة المفهومة البسيطة ثقافة أمة، فيعلمهم ويغنيهم ولا يتركهم إلا وقد اكتملت سعادتهم بها.

هكذا هو الأديب والفنان والمبدع... لا يحتاج لإبداعه إلا الكلمة البسيطة الجريئة الصادقة، وإلى مجموعة من الألوان... ليكتب ويلون حياتك دون كلفة، أو تصنع أو تمثيل أو ابتذال، فيصنع بهم ما عجزت عنه أعتى أدوات العلم الحديث من صناعته ألا وهي السعادة.

فهل نعطي ذاك الأديب -وهو يصنع من قوة الحرف وقوة الكلمة المعجزات- ما يستحقه من الاهتمام والحرية، ليعيد بذلك للكلمة قيمتها وحقها، وقد بدأ خلق العالم بـ«كلمة»... أرجو ذلك.

الفصل الثالث والعشرون

مقالات / ٧

الكاتب والأخطاء النحوية والإملائية في النص

لا يخفى على أي منا، بأن الأخطاء اللغوية، في النصوص الأدبية، هي حتمية مهما حاولنا تحاشيها... حيث يوجد هناك -وكما تعلمون- ثلاثة أنواع منها:

الأول: ويتعلق بالأخطاء المطبعية، (في الكتابة الإلكترونية) وهذه تكون ظاهرة للعيان وواضحة، كوضع حرف قريب منه في اللحن بدلاً من آخر، أو تكرار الهمزة على نبرة وفوق الألف، أو وصل الحروف ببعضها، أو حلول حرف مكان آخر قريب منه على الطابعة... ليعطي في النهاية معنًا آخر... الخ.

الثاني: يتعلق بالإعراب وتصريف الأفعال في الجُمل، ووضع الصفة في مكانها ووزنها، وإعادة الصفة للموصوف، والمنعوت للناعت، ووضع الهمزات، وتتبع الفعل والفاعل والمفعول به، وصرف كل منهم إلى مكانه ليؤدي عمله، ويظهر اختصاصه... الخ.

وهناك نوع ثالث من الأخطاء: وهي ما يمكن تسميتها بالأخطاء الصامتة... التي لا يتناولها في النقد أحد... وهي اختفاء علامات التشكيل (كالضمة والفتحة والكسرة والشدة والسكون، وفي أحيان كثير الهمزة) حيث يضطر الكاتب إلى إسقاطها إما عن قصد، رفعًا لحرج قد يصيبه، أو لسهولة كتابتها دون التوقف في كل مرة يبحث عن الهمزة أو علامات الرفع والنصب والكسر والشدة، ليتركها معتمدًا على ثقافة القارئ، ومعرفته

للغة ومقدرته على فهم الكلمة المقصودة في نصه!

هذه المقدمة... تضاف إليها مشكلة أخرى، ألا وهي ما يقوم به دماغنا، من تصحيح لأخطاء موجودة في النص، ولكن لا تراها العين، حيث يقوم الدماغ بإيهامنا بأنها صحيحة، وهكذا نحن نستغرب وجودها، في كل مرة نقوم بمراجعة النص، أو يسبب لنا الإرباك، عندما ينبهنا إليها صديق!

بالإضافة طبعًا للتصحيح اللغوي عن طريق برامج الكتابة، التي تحتوي على آلية تصحيح فيها (كوورد مثلاً) حيث يوقعك في أحيان كثيرة في الشك فيما تكتب! لافتقاده إلى التقنيات اللازمة والضرورية للتصريف اللغوي، ويفتقر إلى قاموس صحيح، (حيث تعتمد الشركات المنتجة والمحدثة له، على ما يرفدها به مختصون اللغة العربية من مواد).

وهذا ما يحصل معي في الغالب، عندما أعرض نصي للتصحيح اللغوي فأكتشف بعد الانتهاء منه، إلى استبدال حرف بدلاً من آخر، وسقوط همزة بدلاً من المدة... أو يضعك في حيرة باستبدال كلمة بأخرى لم تستخدمها في حياتك، وتتساءل: هل هي حقًا موجودة في اللغة العربية ومستخدمة؟... وهل وضعها صحيح أم لا؟... إلى آخر هذه التساؤلات.

حتى أنني وعندما عدت إلى نصوصي القديمة والمكتوبة أثناء مرحلتي الإعدادية، تفاجأت بعدم وجود مثل هذه الأخطاء، لاعتمادي على الكتابة بالقلم من ناحية، وانغماسي بالمطالعة بكثرة (التي هجرتها منذ زمن وعدت إليها أخيرًا) والتي تشحن الذاكرة بالمفردات والكلمات والمعاني، حتى إذا ما احتجنا إليها كتبناها دون أن نعرف لماذا كتبت هكذا، وما هي مكانتها من الإعراب أو الصرف.

وقلة هم الكتاب والمبدعون من يعطي كثير أهمية لذلك -ولو شعروا بالأسى لعدم تمكنهم منها- وتوقفوا عن ممارسة الكتابة لأجلها...

لأن الكتابة شيء كالموسيقى والرسم، هي موهبة قبل كل شيء، وهي حالة من الغيبوبة تصيبنا ونحن نمارسها، فإذا ما استيقظنا بعدها وجدنا نصًا غريبًا عما تمنيناه، وكأنه من فعل فاعل، خاصة إذا ما كان ينمّ عن حذق في التفكير، وفطنة وإبداع، فنحتضنه وندافع عنه ونحميه حتى يصل بنا الأمر لتجاهل الأخطاء فيه، وكأنها وجدت لتبقى هكذا شئنا أم أبينا!

في البداية: كنت أتساءل: كيف يمكن لإنسان؛ أي إنسان؛ أن يمتنع عن الكتابة، أو المطالعة، خاصةً إذا ما كان يتمتع بقدر عالٍ من الإعجاب بالأعمال الأدبية، وحُب يتجاوز حد المتابعة بدافع الفضول... إلى البحث عن غذاءه الروحي الذي يحتاجه!

وهذا ما يقودنا بالتالي، إلى نقدنا لتلك الأعمال، خاصةً إذا ما شعرنا بأن هناك أخطاء تشوِّه النص وتسيء له.

إنه بلا شك حرصنا على أن يتمتع النص المعروض أمامنا بحد أدنى من الشروط، لكي يكون مستساغًا ومقبولاً، ويحمل إلى عقل وقلب قارئه المتعة والفائدة والتسلية.

وسؤالي ذاك أخذ بي إلى ما وراء الإعجاب والهواية وحُب المطالعة، إلى البحث عن الكمال... الكمال في لغة النص، الكمال في الصيغة، الكمال في الحبكة... وأخيرًا الكمال الذي يجب أن يتمتع به الكاتب -أمام قُرَّائه ونُقاده- من خلق ولطافة ولباقة تصل حد الإذعان... شيء يشبه الطاعة ما بين الطالب ومعلمه.

فالأديب أو المبدع أو الفنان، هو كتلة من المشاعر، يحمل همًّا عامًا... ولا يملك أكثر من ريشة ومحبرة لتصوير ونقل هذا الهم إلى الآخرين، بعبرته وتجربته... فيُضحك أحدًا ما هنا، ويثير الهلع هناك... يعلِّم ويهذب سلوك هذا هنا، ويثير غيظ الآخر هناك... يبكي، يحزن، يُدخِل الأمل إلى النفوس، يحرِّض الناس على الثورة، يدلهم على السعادة، وينقلهم إلى عوالم من الخيال تملؤها المتعة والفائدة والسرور... دون أن يتحركوا قيد أنملة من أماكنهم، فتجدهم وهم ممدون على الشاطئ أو في الحافلة أو في أسرتهم... وهم يذرفون الدموع، أو يبتسمون ويضحكون، وكأنهم في حضرة مهرج أو في صُحبة مُحب.

وهم يتلمسون بعضًا من آمالهم وأمانيهم من تجارب مبدعيهم، فيغفون على وقع الكلمات الساحرة، ليستيقظوا فيما بعد وقد خبا صوت الشر في نفوسهم، وأصبحوا أكثر دِعة وتفهمًا ومحبة للآخرين.

من هنا تأتي أهمية تدارك الأخطاء في أعمالنا الأدبية، والعمل على تصحيحها والحفاظ على اللغة العربية سليمة ومتينة فيها، خاصة عندما نحاول أن نلقي بنصوصنا إلى النشر، ونضعها بين يدي القارئ لمطالعتها.

تحدونا الرغبة... أن نكون من طلائع كتاب الأدب وقدوة له، وذلك لسبب جوهري وهام جدًا، ألا وهو تعويد القارئ على تكوين مفردات وجمل صحيحة، وضمها إلى قاموسه اللغوي حتى يصبح فيما بعد قادرًا على التعبير بلغة صحيحة ومتقنة، بشكل آلي دون التوقف عندها.

لأن اللغة، قبل أن تكون عبارة عن حروف وإشارات ورموز وأفعال وكلمات، هي قبل كل شيء، آخر روح وقلب ومشاعر،

ووسيلتنا للتعبير عن هواجسنا وآمالنا وأحلامنا... إنها بكل بساطة لساننا.

والهاوي الموهوب الذي يكتب دون إذن بتلك اللغة، التي أتقنها وعرفها ومارسها طوال حياته، قد لا يدرك بأن هناك لغة أخرى متعارف عليها لكتابة النصوص الأدبية، حيث لا مجال للأحرف الأعجمية ولا للمفردات العامية ولا للأخطاء الإملائية او النحوية... ويكتشف إذا ما قابل أحد المختصين باللغة، بأن كتاباته كلها تعج بالأخطاء ولا تصلح للمطالعة أو النشر، وبأن عليه أن يعود مرة ثانية إلى الإعدادية ليحفظ أصول التعبير وشروط الإعراب وبحور الشعر!

وحتى لا أخوض حديثًا طويلاً حول اللغة، وقد جندت لها مئات آلاف من الأحاديث والمقالات والنقد والمقابلات للحفاظ عليها، كما هي دون تطوير، بدعوى الحفاظ عليها من الضياع، أعود لأتساءل أليس الإنسان هو من وضع قوانينها؟... ومن كان سابقًا لوجوده على الآخر... اللغة أم القواعد؟

من هذا المنطلق ارتأيت وقد وقع بين يدي كتاب قيم لا يمكن أن أمرّ عليه دون أن أضعه بين يد الآلاف ممن يبحثون عن المعرفة حول اللغة العربية، وأصول كتابتها، خاصة وأن مؤلفه العلامة الكبير والمفكر الأستاذ محمد الأفغاني.

حيث بيَّن المؤلف نهجه في مقدمة الكتاب بالقول: (جريت في تفصيل مواد الكتاب على خطة غير بعيدة فعنيت بالشواهد وانتقيتها بليغة من عيون كلام العرب في عصر السلامة، تنمية لملكة الدارس وتوسيعًا لآفاقه في إدراك أحوال أمته، لكون هذه الشواهد مصورة أحوال مجتمعات أصحابها أصدق تصوير، تصويرًا لا نجده - بهذه الدقة والصفاء - حتى في كتب

التاريخ نفسها، وهي متى استوعبت أعْوَد على الملكات من كثير من القواعد المحفوظة والتعليلات المكلفة، وجنبت الدارس الأقوال المرجوحة والمذاهب الضعيفة، مختارًا ما ثبتت صحته على الامتحان).

وهذا الكتاب هو (الموجز في قواعد اللغة العربية)، وهو متوفر في الفضاء الإلكتروني وموقع القصة السورية.

الفصل الرابع والعشرون

مقالات / ٨

أدب الإنترنت... الحلم والواقع

عنوان ملفت للنظر، وموضوع شيق يستحق الكثير من المعالجة والمناقشة، وأنا هنا لن أعيد وأكرر ما ساقه الكثيرون قبلي حول هذا الموضوع كلٌ حسب معرفته، بل أحببت أن أضيف بعض مما خبرته من خلال تجربتي المتواضعة فيه.

فالأدب من خلال الإنترنت... هذه النافذة الساحرة التي تضم فيما تضم أكبر مكتبة في تاريخ البشرية، وأكبر تجمع للعقول والعلماء والخبراء، بما فيهم الكتاب والصحفيين والأدباء على أنواعهم، والتي نستطيع بكبسة زر الاتصال بهم ومحاورتهم والأخذ برأيهم والاستئناس بمشورتهم، والاطلاع على أخر الإنجازات البشرية وفي كل المجالات، بما فيها الأدب.

من كان يحلم على سبيل المثال ولسنين مضت، بأنه يستطيع العثور أو الوصول إلى كاتب ما، أو دار نشر، أو مكتبة، أو متحف، والاتصال بهم والتواصل معهم والاطلاع على مؤلفاتهم، وهو جالس في مكتبه أو في بيته يحتسي القهوة؟

بل لنقل أبسط من هذا... من كان يستطيع لسنين ماضية قليلة خلت، أن يتصور بأنه من الممكن أن يستلم في بريده الإلكتروني وفي كل صباح نسخة عن أكبر وأشهر الصحف العربية والعالمية حتى قبل أن تصل إلى الباعة في السوق، فيكون أول المتلقين للخبر والمتفاعلين معه والمعلقين

عليه، وهو لازال في ثياب نومه يتناول فطوره، مع تناوله لهذا الغذاء الروحي دون تكلف؟

وحتى لا أضيع وأخرج عن الموضوع -وهو متشعب وكبير وشائك وله فروع طويلة لا تسعه الصفحات- أقول: بأن الإنترنت ومحاولة الانتشار والتعريف بالكاتب وأعماله كبيرًا كان أم صغيرًا، معروفًا أو مغمورًا، سيفرض نفسه لسنين قادمة كثيرة، ولا يقدِّرها ويعرف قيمتها الحقيقة إلا المهتمون بها، خاصةً بعد التوصل إلى اختراع الكتاب الإلكتروني، حيث يستطيع القارئ أن يمتلك كتابًا واحدًا لا يتجاوز حجمه ووزنه حجم ووزن أي كتاب عادي، ويضم مئات الآلاف من الكتب، بما فيها تلك التي تهتم بالأدب، حيث يستطيع القارئ وبلمسة بسيطة من إصبعه أن يطالع أي مخطوط أو كتاب وهو جالس في الحديقة دون أي جهد يذكر!... وهذه حقيقة وليست خيال علمي.

أما عن أدبائنا العرب، ومدى مساهمة الإنترنت في التعريف بهم ونشر أعمالهم، فأنا أراها محدودة الفائدة حتى الآن، خاصة فيما يخص الأدباء الكبار، حيث لازالت أعمالهم حبيسة الكتب ودور النشر وحقوق المؤلف... الخ.

هذا إذا أضفنا إليها... عدم تفرغ أي هيئة رسمية أو غير رسمية في فهرسة وجمع أعمالهم، وتبني نشرها ووضعها في خدمة القراء على الإنترنت دون مساومة!

وأنا أتساءل: هل سيأتي اليوم الذي أجد فيه كتب وأعمال أدبائنا الكبار العرب وشعرائهم في متناول اليد على الإنترنت؟!

ملاحظة: لقد تم ذلك وبشكل كبير، بعد نشر هذه المقالة بسنوات قليلة!

فأصل بلمسة زر إلى أعمال العقاد أو توفيق الحكيم أو طه حسين، أو أطالع كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة... ثم أعود لأتفقد شعر المتنبي وأحمد شوقي وإليا أبو ماضي، أو نزار قباني، إلى أخر اللائحة!

ولهذا قفز إلى الواجهة وعبر هذه الوسيلة البسيطة... هذا السيل الجارف من الكُتَّاب والأدباء الجُدد، خاصةً الشباب منهم، والذين أغواهم الانتشار السريع لأعمالهم!

ومنهم المخضرم، الذي سُحِر بهذه الوسيلة العصرية وحاول استدراك الزمن لينشر بعض ما كان يحلم بإيصاله للناس من أعمال، بعد أن نفض غبار التقصير والإهمال، وأخرجها فرِحًا من بطون الدفاتر العتيقة، علَّه يفيد -بهذه الوسيلة السهلة- الآخرين من خبرته وعلمه.

وأنا هنا لن أتناول الكثيرين ممن عرفتهم، وقد كتبوا الشعر والروايات والقصص، الأدبية منها والتاريخية، وقد غادروا الدنيا دون أن يطلع عليها أحد.

إذًا... وكما هي حالي، أرى بأن الاتصال والتعريف ونقل العمل على الإنترنت، هو كواجهة لعرض ما ننتج، نستطلع القراء آراءهم... هي إذا أحببتم... وسيلة لجس نبض الشارع والمهتم بالأدب والمطالعة بشكل عام، نقيس فيه درجة اهتمام الآخرين بأعمالنا.

إذ أن الكاتب، عندما يكتب عملاً ما، لا يرى -مهما بلغت فيه قوة الملاحظة ومهما تمتع برهافة الإحساس أو تلك الحاسة العظيمة التي يسمونها الحاسة السادسة- لا يستطيع أن يرى كل ما يراه الآخرون بأعماله، ولهذا بعد عرضها، سيكون هو أول القُراء لها عن بعد، وسيشعر بأنه ليس وحده القارئ،

ولهذا سيعمل دون كلل على التشذيب والتصحيح... عبارة من هنا كلمة من هناك... حتى يصبح العمل متكاملاً ونظيفًا وقابلاً للمداولة والنشر.

إذًا هي وسيلة ونافذة (فيترينه)... وأنا أتبعها من خلال موقعي الخاص، لكي أعرض ما أنتجه من أعمال أدبية دون الحاجة لأن آخذ تصريح من أي كان بذلك... ودون مقص أو رقيب.

بالإضافة إلى ذلك، هو عدم شعورنا بالارتباط بأي كان... سوى العمل الذي نحب أن نقوم به، والمتلقي المهتم بما نعمل.

وأنا لا أتفق مع ما ذهب إليه البعض، في موضوع عدم قدرة الانتشار والوصول إلى القارئ عن طريق مواقع الإنترنت، خاصةً بوجود مئات المواقع المختصة بالأدلة، ويكفي أن يسجّل الموقع بإحداها حتى يجدك أي محرك بحث سواء باسمك الشخصي أو باسم الموقع وبأي لغة كانت، وهذه إحدى الميزات الكبيرة التي يتمتع بها الإنترنت.

طبعًا مع عدم إغفالنا بأنه لن يكون الوسيلة الشعبية في العالم العربي، إلا بعد أن يُعمَّم على المدارس ودور الثقافة، ويصبح في متناول الجميع كجهاز التلفاز، والذي أتوقعه قريبًا جدًا إن شاء الله.

وأنا متفائل بذلك لما تخطوه صناعة الكمبيوتر من خطوات سريعة وعملاقة، حيث قد لا تمر سنوات لا تتجاوز أصابع اليد، دون أن يحل جهاز واحد بدل كل الأجهزة المنزلية المعروفة، وعندها لا يحرم الأمي من المعرفة... فسيكون باستطاعته الحوار مع جهازه، وتلقي ما يحب منه عن طريق الصوت والصورة، وبلُغته التي يعرفها، حتى وإن كان ساكنًا في مجاهل الأمازون أو في الاسكيمو أو في منطقة قفرة من العالم!

هذا ولا شك حتمي وننتظره بفارغ الصبر، حتى يعم العلم والمعرفة وتصبح بمتناول الجميع دون استثناء.

- ملاحظة: كتبت هذه المقالة منذ عدة أعوام تقريبًا... وهي مدة كافية لكي نشهد وجود الكثير مما توقعته وتحدثت عنه كحقيقة... أهمها:

افتتاح (المكتبة الرقمية العالمية) (https://www.loc.gov) من قبل اليونسكو في ٢٠٠٩/٠٤/٢١.

الفصل الخامس والعشرون

مقالات / ٩

نشر الكُتب إلكترونيًا إلى أين؟

كثُر الحديث في الآونة الأخيرة عن حسنات ومضار النشر الإلكتروني للكتب على الشبكة العنكبوتية، خاصة تلك التي تلحق أصحاب الحق من كُتَّاب ودور نشر، وعلت أصوات كثيرة بإيجاد حلول وتشريعات لها... خاصةً بعد أن كثرت السرقات، لكتب وأعمال علمية وأدبية دون الرجوع إلى أصحابها، أو أخذ الموافقة على نشرها، من أي جهة رسمية أو غير رسمية.

وأنا أتصور وبمعزل عن أي تفسير شرعي لموضوع نشر الكتب الإلكترونية -دون أخذ إذن صاحب العلاقة- بأن الأمر يتعلق أولاً وأخيرًا بطريقة ذلك الاستخدام...

هل هو للتجارة وتحقيق الربح؟

أم لنشر الثقافة وتحقيق المعرفة؟!

قبل البدء في السباحة في بحر هذا الموضوع الهائج، علينا التمييز بين عدة أنواع من النشر الإلكتروني:

١- النشر الإلكتروني لكتب التراث: حيث لا حقوق للمؤلف، ولا لورثته ولا تعقيدات في الترخيص والدعاية والتوزيع، لأنها تهتم في الغالب، بكتب تراثية ذات طابع علمي أو ثقافي تحتاجه المؤسسات التعليمية وجمهور المعلمين والمثقفين كل لغرضه.

٢- النشر الإلكتروني للكتب المترجمة: وفي غالبها تتم

بتشجيع من الهيئات والمؤسسات الحكومية سواء العربية أو الأجنبية، بهدف نشر الثقافة غير العربية في البلاد العربية، وحقوق النشر في هذه الحالة تكون ضمن اتفاقيات خاصة بين المنتفعين (بعضها بدعم من المنظمات الدولية) ونشرها بدون إذن خاص تلقى كل ترحيب بل يمكن أن يكافئ الناشر عليها.

يبقى هناك نوعان آخران من النشر الإلكتروني الذي يتحفظ الجميع حولهما، وهما دائمًا محط خلاف وشكوى وامتعاض من المؤلفين أو ورثتهم، أو من له الحقوق الخاصة المحفوظة لصالحه وهما:

٣- النشر الإلكتروني للبحوث والدراسات العلمية: (طب، فيزياء، كيمياء، ذرة، فضاء، اختراع... الخ)، أو الأدبية أو الدينية أو التاريخية، التي تتميز بخصوصيتها لأن وراءها جهد وتعب للمؤلف قد يتجاوز عدة سنوات مضنية وصعبة قد بذلها من حياته لإنجازها، منها ما استحق درجة علمية خاصة كالدكتوراه.

٤- النشر الإلكتروني للكتب الثقافية والأدبية: وخاصةً تلك التي تهتم بالرواية والقصة والشعر المعاصر.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار، بأن معظم الكتب المنشورة ورقيًا في هذين المجالين، لم يحققا أي انتشار أو إعادة طباعة أو توزيع، بما يليق بالأسماء الكبيرة وخبراتها وأهميتها الأدبية على الساحة العربية والدولية... وبأن دور النشر لم تعد ترغب حتى في إعادة طباعة بعض الكتب المهمة، بعد نفاذها من الأسواق، لعدم مردودها المالي أو حتى تغطية كلفة طباعتها... وبذلك حُرِمت أجيال كثيرة من الشارع العربي من متعة مطالعة هذه الكنوز المهملة لثمنها المرتفع إذا ما وجدت!...

بحيث أصبحت في بعض الحالات حكرًا لبعض الناس من أصحاب الأموال والنفوذ، يبتاعون نسخها المنمقة لصمدها في مكتباتهم الخاصة كقطعة ديكور وزينة لهم لا أكثر.

وبالرغم من تحفظي على نشر هذه الكتب، بشكل عشوائي على الشبكة العنكبوتية، دون موافقة أهل الشأن، فأنا أجد بأن هذا النشر لا يضر بأي حال من الأحوال، لا بالمؤلف ولا دور النشر أصحاب الحقوق. لأن هذا النشر لن يزيد أو ينقص من عدد المشترين لنفس الكتب من السوق الورقي، هذا إن وجدت.

مع الملاحظة بأن النشر الإلكتروني لمثل هذه الأعمال، قد تكون وراء زيادة الطلب والشراء لهذه الكتب بعد مطالعتها على الإنترنت... فهي وسيلة دعائية مثالية للمؤلف والناشر، لابد أن يعترفوا بفضلها عليهم يومًا ما.

لأن المتعارف عليه حول حقوق النشر، هو كل نشر غير شرعي يحقق السارق (الناشر بدون إذن صاحب العلاقة) ربحًا من وراء عمله. أما والحالة الخاصة التي ظهرت أخيرًا من خلال النشر الإلكتروني للأعمال الأدبية، سواءً كانت حكومية أو خاصة، فأظن بأن الهدف الرئيسي خلفه، هو تعويض النقص الحاصل في النشر الورقي... وتقاعس الكثير من دور النشر في نشر الكتب ذات محتوى ثقافي وأدبي، لعدم مردودها المالي من ناحية، وتعقيدات حقوق الكاتب (خاصة مع ورثته إذا كان متوفى) كما ذكرت، واهتمام الجمهور المعاصر من القراء في الكتب ذات الصبغة المعاصرة (كتب العناية بالجسم، الطبية، الشعوذة والأبراج، المعلوماتية...الخ). وأخيرًا: لأن النشر الإلكتروني، يخاطب مجموعة محدودة من القراء (الطبقة

المثقفة) والتي لا يتجاوز عددها عشرات الألوف من ملايين رواد الإنترنت، الذين يستخدمونه لأغراض الترفيه والتسلية. وهذه الطبقة المثقفة في غالبها محدودة الدخل (طلبة، أساتذة جامعات) وتجد في هذه النافذة الجديدة فرصة لتعويض ما فاتهم من وقت، في الاطلاع على الكتب المهمة من تراث وأدب وعلوم. بالإضافة لاعتمادها كمصدر وحيد وسهل للمعلومات التي يحتاجونها في مراجعاتهم وبحوثهم ودراساتهم.

في الغرب تقوم الشركات الكبرى مثل (غوغل وياهو وميكروسوفت) وبالاتفاق مع كبريات المكتبات في العالم، على نسخ وتصنيف وتعميم الكتب وبشكل مجاني على الشبكة.

ولهذا أنا استغرب محاربة المساعي الفردية لأي كان في نشر ونقل أمهات الكتب، وطرحها على الشبكة طالما الهدف الرئيسي منها هو نشر الثقافة والمعرفة والعلم. وليس المتاجرة بها وتحويلها لمسلسلات، أو أفلام سينمائية، أو طبعها على الورق، لتوزيعها وكسب المال من وراءها، وهذا شيء مختلف تمامًا برأيي.

أما إذا كان هناك من محاسبة وملاحقة قانونية لمنع هذه الظاهرة من الانتشار على الشبكة «العنكبوتية» والحصول على تعويضات عليها. فأنا أرى بأن عليها أن تتوجه أولاً وأخيرًا ضد الحكومات العربية، الممثلة بمؤسساتها الرسمية الثقافية (وزارات الثقافة، اتحادات الكتاب) على تقاعسها عن القيام بدورها في دعم المؤلفين، وأصحاب الحقوق، للوقوف على أرجلهم ومنحهم الحياة الكريمة (خاصةً تحسين الراتب التقاعدي لمن يمتلك الحق، وإيجاد آلية لمنح راتب تقاعدي

يليق بمكانة الكاتب لمن لا يملك هذا الحق) من خلال الدعم المالي وشراء هذه الحقوق والقيام بنشرها، أو السماح للغير بنشرها، دون الرجوع إليها، في سبيل خدمة الثقافة العربية المتخلفة، والتي تتراجع يوم بعد يوم إلى الوراء، ولا تفي بمتطلبات الحياة المعاصرة.

وعليه أصبح لزامًا على تلك الهيئات الحكومية، إيجاد صناديق دعم مالي لهؤلاء المؤلفين ورعاية إنتاجهم الأدبي والعلمي والمعرفي، بدلاً من مضيعة الوقت في البحث عن المقصرين وملاحقة المثقفين.

وأخيرًا... يبقى للطباعة والنشر الورقي وللكتاب رغم كل شيء دفئه الخاص، ومكانته المرموقة التي لا يمكن لأي كان انتزاعها منه، مهما تطورت الحضارة وتمددت وانتشرت عبر شبكتها الإلكترونية العملاقة...

وسيبقى الكتاب شئنا أم أبينا... ملكًا وسلطانًا متوجًا بكل اعتزاز وفخر على قمم الحضارات مهما حصل، لأنه الوحيد الذي لا ينطفئ ولا يموت بكبسة زر.

الفصل السادس والعشرون

مقالات / ١٠

الأدب النسائي في الوطن العربي

الأدب النسائي في الوطن العربي... أدب المرأة... المرأة والأدب... الأدب النسوي... المرأة في الأدب والقصة العربية...!

عناوين كثيرة وكبيرة، قد تثير انتباه القارئ أكثر مما تحتويه من فِكر وفائدة!

ولهذا أوقعتني هذه المهمة في الكتابة عن أدب المرأة أو الأدب النسائي، في الوطن العربي، في حيرة كبيرة والتباس في المدلولات والرموز، حتى أنني وقفت عاجزًا عن اختيار العنوان المناسب لها!... خاصة بعد أن اطلعت على أكثر من مقالة ودراسة ورأي حولها... وكدت أن أستسلم وأترك الموضوع وشأنه، لأنني لم أعتد على الكتابة إلا بدافع الحاجة... وحاجتي كانت دائمًا وقبل كل شيء تتصل بالعثور على الحقيقة، وتفسير الغامض منها، والفهم عبر الكتابة عنها... ولهذا تأتي كتاباتي مختلفة في صيغتها عما يطرحه الآخرون، لأنها لم تكن في أي حال من الأحوال إلا محاولة بريئة وصادقة في البحث عن جواب شفاف وصادق.

١- والسؤال الأساسي والأول المطروح هو: هل يوجد حقًا أدب نسائي؟... وبالتالي يفترض أن يكون هناك أدب رجالي بالمقابل؟! وما هي خصائصه وصفاته ومميزاته التي تدل عليه؟

أي بمعنى: هل يكفي أن تكتب المرأة موضوعًا أدبيًا حتى نصنفه بأنه أدب نسائي؟ أو تصنيفها ككاتبة أو أديبة نسوية؟ وهل يصح ويكفي الكتابة في شؤون المرأة (على تنوعه حتى نصفه بأنه عمل يتعلق بالأدب النسوي؟!

أرجو ألا يكون كذلك... وإلا تحتم علينا إنشاء نقابات وأندية خاصة بالأدب النسوي مع ما سيفضي إليه هذا التصنيف من ملحقات وتشعبات وقوانين، تميِّزه عن غيره وتضع له شروطه!... وقد يؤدي في النهاية إلى ضم كل من كتب عن المرأة تحت لواءه، حتى وإن كان رجلاً!

بحيث يعيدنا مرة أخرى إلى نقطة الصفر... والبحث عن مسميات جديدة له تحفظ خصوصية أدب وكتابة وربما ثقافة المرأة كوحدة خاصة مميزة بمفردها!

ومن ثم ماذا سيكون موقفنا من الدراسات الاجتماعية والتاريخية والطبية والفلسفية والفنية وكل ما يمت للعلوم الأخرى -والتي لا تتصل بالأدب- بصلة؟... وتكتب فيها المرأة بحكم اختصاصها وموهبتها ومهنتها؟... وهل نصنفها تحت الكتابات العلمية التاريخية الفلسفية الفنية النسائية أيضا؟!... أم أن لها تصنيفات أخرى لا نعرفها؟!

وهل إذا بدأنا على هذا المنوال ستصل الحال بنا إلى طب وسياسة وفلاحة وهندسة وفنون نسائية... الخ... الخ... الخ

٢- أنا أتصور وبكل بساطة، بأن هناك علم وأدب إنساني فقط، يشارك في بنائه وتطوره ونجاحه ذلك المخلوق الرائع الذكي الوحيد الذي استطاع أن ينتصر على كافة المخلوقات ألا وهو الإنسان... وبأن الإنسان بتناوبه في ثوب الذكر أو الأنثى (أنا استعضت بالذكر والأنثى عن الرجل والمرأة، حتى لا أحرم من

دونهما من حقوق «كالأطفال والفتيان»، ولِمَ لا الملتبسين في الخلقة والتكوين والجنس «كالمخنثين»)، لا يعكس بأي حال من الأحوال إلا هموم جنسه وقد يتجاوزه بدافع روحي وأخلاقي وديني بحت إلى الاهتمام والحماية والدفاع عما يحيط به من خلائق، سواءً بيئية أو حيوانية، لأنه يدرك بحسه الفطري بأنه ينتمي إليها بطريقة أو بأخرى!

وتصوري ذاك يقودني إلى الاعتقاد بعدم وجود جنسين من الأدب (أدب ذكوري أو أنثوي)، أنا لا أتفق على ما جاء به البعض من تشبيه الأدب النسائي بالأدب الخليجي أو أدب المهجر!... تمهيدًا لتكريسه والاعتراف به!... لأن الموضوع يتعلق بجنس الكاتب وليس موطنه، إلا إذا اعتبرنا بأن المهاجرين والخليجيين من جنس واحد!

وبأن الفارق الوحيد الذي يثير اللبس في وصف وتحليل وكتابة كل منهما، تعود في الدرجة الأولى إلى الطريقة التي يعالجان فيها المشكلة التي يتحدثان عنها، ونظرتهما الخاصة إليها... والتي تشبه في بعض أوجهها، الفرق بين نظرة كاتب صحفي وطبيب، كاتب... الخ. وهي تعتمد بدرجة كبيرة على الثقافة والتربية والبيئة الاجتماعية.

وأنا أعتقد بأن التسميات الحديثة، التي التصقت بكتابات الأديبات العربيات (أدب المرأة، أدب نسوي، أو أدب نسائي... الخ) لم تكن أكثر من صفات أُطلقت على أعمالهن لمحاولة إظهاره والدلالة على وجود أديبات عربيات، وأدب يكتبه ويبدع به مثقفات ومتعلمات وكاتبات من الوطن العربي لا أكثر. خاصةً بعد الاستقلال وحملات محو الأمية، والاعتماد على المرأة ومشاركتها في كافة المجالات التنموية، بعد أن كانت مهمشة وأُمية وبعيدة عن الأضواء.

وتلك الحالة لم تكن بعيدة عن وضع الرجل، سوى أنه كان سباقًا إلى الانخراط في البيئة الثقافية بصورة نسبية، تتناسب مع حجم تفاعله ومساهمته في الميادين الأخرى. وهذه الصورة بالتالي تختلف من بلد عربي إلى آخر، كل حسب تاريخ انعتاقه من الاحتلال ووضع محو الأمية وتحرر المرأة فيه.

ولهذا لا يصح اعتماد تلك الصفات، للدلالة على أدب مميز وخاص بعينه، لأنها تفرِّغه من مضمونه وتجرِّد المرأة الكاتبة الخلاقة من حقوق تداولها للشأن العام (غير النسوي) خاصةً إذا ما وُضِعت في حالة الند والمنافسة مع الرجل، في مواضيع (نسوية) قد يكون الرجل فيها أكثر إبداعًا وقُربًا في تصويره للحقيقة منها!... فقد يقترب الذكر في وصف حالة ما من مشاعر الأنثى، لدرجة أكثر جراءة وصدقًا مما يمكن أن تفعله هي، ولأسباب تتعلق بالحفاظ على الحد الأدنى من أسرارها الأنثوية!

وفي المقابل قد تقترب هي في طرحها وتناولها لموضوع اجتماعي أو سياسي أو عاطفي، من عقل وخيال وحقيقة الذكر، أكثر منه، وذلك لأسباب تتعلق بإحجام هذا الأخير عن الإفصاح عنها، لأسباب تتعلق بالعيب والسمعة والخوف من ربط الحدث بكاتبه!

وقد لا يصيب التوفيق أي منهما، في الوصول إلى تمثيل ووصف مشاعر الطرف الآخر، بحيث يقف كل منهما مذهولاً أمام الحقيقة إذا ما أنيط اللثام عنها!

إذًا يقترب كل منهما من الصدق في وصف مشاعر وهموم الآخر، بدرجة اقتراب أي منهما من صفات الآخر!... فنجد عند الذكور من يتصف بدفء ورقة المشاعر، ورهافة الإحساس

وشدة التأثر والتعلق والإخلاص للعائلة والأطفال.... كما نجد عند الإناث من يتصف بالخشونة في المعاشرة وحب المغامرة والخروج عما هو مألوف في طبيعتها ومعاملتها للغير!

ويقتربان كثيرًا من طرحهما ووصفهما للحدث، إذا ما تناولاه بصيغته الأكاديمية والبحثية المجردة.

٣- أن يتم طرح الموضوع بعيدًا عن الجنس، والاستعاضة عنه بمراحل العمر المختلفة وتقسيمها إلى ثلاث مراحل بارزة ومتفق عليها ألا وهي:

أ- الفتوة: وفيها يبدأ الإنسان باكتشاف ذاته ومحيطه وموهبته، ولا يختلف الكاتب عند أي من الجنسين في نظرته الحالمة البريئة والمثالية للعالم الذي يعيش فيه!... بحيث تبدو الكتابة عنده لا تعدو أكثر من نزهة للمشاعر في حديقة الحياة الغناء، وهو يمارسها دون أي تحمل للمسؤولية أو أي شعور بوزر وثقل الضوابط الاجتماعية، فأي مشكلة قد تعترضه لا تحتاج أكثر من بضع كلمات أو سطور في قصيدة... بحيث تعود الأمور بعدها إلى نصابها وكما كانت من قبل!

فالحياة لديه لا تتجاوز حدود غيمة عابرة، تتمدد وتتشكل لترسم الصورة الجميلة التي يحلم بها!

ب- الشباب: وفيها يبدأ الإنسان (من الجنسين) بالكتابة، ورسم العالم الذي يحيط به، بشيء من الشاعرية والخيال، ولا يخلى في بعض الأحيان من الثورة!

لقد بدأ يكتشف العوائق التي تحيط به، والمتمثلة بالقوانين والأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية... هذا بالإضافة إلى سلسلة طويلة من الإشارات والرموز، القابعة هاهنا في عقله

ووجدانه، تتربص به وتحد من طموحه... وفي بعض منها انعكاس لأمر صارم من أب يهابه، أو دمعة دافئة سخية كانت قد سرت على وجنيني أمه الناعمتين تهزه... وبينهما تتجسد تلك التعاليم الدينية التي تربطه بالخالق وتجمع بينه وبين ملائكته ورسله المبجلين والمفضلين لديه!... ولا يستطيع مواجهة أي منهم وتحت أي عُذر، فهم يسكنون كيانه ويشكّلون جزءًا لا يتجزأ من شخصيته واسمه وضميره، ولا بد من التعايش معهم، ولو كان ذلك على حساب حريته الذي تمناها واشتهاها.

ولهذا لا يتأخر من بث لواعجه ومشاعره ومآسيه على الورق، دون أن يقترح حلولاً لها، فهو مستسلم في كل الأحوال لقدره لا حول له ولا قوة!

وبعض كتاباته الحالمة الخجولة، قد تطفق بالمعاني النبيلة والحب المفعم بالصدق، والأمل بمستقبل طيب ومشرق حُر، جاهز لكي يغدق بكل ما لديه من عطاء، لمجرد أن ينتهي من العبودية التي يعيش فيها، متوجهًا لبناء حياة مشتركة مع الطرف الآخر...! فهما يتشابهان بقدرٍ ما، في الصيغة والطرح!

ج- سن الحكمة أو الرشد: حيث يبدأ كل من الجنسين، باختبار معرفته لذاته، وكشف مشاعر الطرف الآخر، بحُكم المعاشرة والخلطة، ويبدأ بنقل خبرته ومهاراته إلى الغير!

فقد آن الأوان لكل من الجنسين، الاقتراب -في تطرقهما للمواضيع المطروحة- من الحقيقة بشيء من التجرد والصدق والشجاعة.

لقد انتهت فترة المناورة والاختبار، وبات كل طرف على دراية كافية بالآخر، لدرجة يستطيع بها الحلول مكانه، والتحدث

بلسانه، بشيء من الثقة والإصرار، على لعب دوره كاملاً...

لقد اكتملت معارفه، ونضجت خبراته، وبدأت فترة العطاء الحقيقي في تدريب وتعليم ونقل النصيحة والمعرفة للغير... وربما تخطي حاجز المؤازرة والدفاع، ورد الظلم عنهم، إلى المواجهة، مع كل ما يحمله ذلك من عواقب... فهو الصادق مع نفسه المخلص لمبادئه.

٤- إن سبب ازدهار فكرة الأدب النسائي... يعود بالدرجة الأولى إلى عمل البعض على تحجيم دور الكاتبات العربيات، وإبعادهم عن أخذهم الدور والمكانة الطبيعية التي يستحقونها...

واعتباره أدبًا خاصًا يراعي نموذجًا واحدًا... وهو النظرة الأنثوية وطريقة معالجتها للأشياء من ناحية، وإلباسها صورة المدافعة عن حقوق المرأة -مع ازدهار حركات تحرر المرأة في العالم بشكل عام وفي العالم العربي بشكل خاص- من ناحية ثانية.

ومما أعطى للمدافعين عن هذه الفكرة المصداقية، هو اندماج بعض الباحثات عن الشهرة من كاتبات وأديبات الوطن العربي، إلى تبني أفكار تلك الحركات... بدلاً من البحث عن أسباب تخلف وجهل وأمية المرأة في الوطن العربي، والتي تعود إلى نفس الأسباب التي يعاني منها الرجل وهم في هذا سواء!

وكان من نتيجته ازدهار ما يسمى بالأدب النسائي،لما كان يتمتع به من حماية ودعم من السلطات الرسمية، وفسح المجال واسعًا أمام أعمالهن وكتاباتهن، لإعطاء المصداقية لبعض الحكومات في الوطن العربي أمام العالم، حول إعطاء المرأة حقوقها واندماجها بالحركة الثقافية العالمية!

ولهذا بدأنا نشهد نشاطًا متزايدًا لترجمة كتاباتهن -عن غير وجه حق- إلى اللغات الأجنبية، لأنهن يشتكين فيها من ظلم الرجل والزواج بالإكراه وحرمانهن من العمل... الخ.

وهو ما يثلج قلب الغرب ويفرحه لأسباب معروفة، وكلها مشاكل اجتماعية عامة للرجل فيها ما للمرأة من نصيب في القهر.

هذا بالإضافة إلى إنهن لا يضفن إلى الأدب العالمي، أي جديد سوى قراءة أعمالهن وكأنه خبر في جريدة، ووصف لحالة إنسانية متخلفة ومزرية، دون إظهار أي بُعد عاطفي أو إنساني أو أدبي لأعمالهن!

وهذا ما شجع المصنفين لهن ولإعمالهن، على الإصرار بوجود أدب خاص بالمرأة، حتى يحافظون على احتكارهم للأدب وملحقاته (الصحافة والإعلام ودور النشر) بصيغته الذكورية المعروفة.

٥- وأخيرًا... أنا أعلق الآمال على جيل جديد من الكُتَّاب، من الجنسين تجاوزوا مرحلة الخوف أو الحرج أو الخجل، في تناول أي موضوع ومن أي نوع، ومن أي مستوى كان... لما تمنحه وسائل التعلم والاتصال مع الغير، من حرية في التعبير وبلاغة وجراءة في الوصف، تجعل من كتاباتهم وأدبهم عملاً واحدًا موحدًا بذائقة فنية متنوعة، وملونة بألوان ثقافية وموهبية جديرة بالاحترام، وتؤهلهم للحاق بالآخرين دون تردد،...وهذا ما أتوقعه وأتمناه.

كلمة عارضة وأخيرة للكاتبات الجدد: وهي أنني لا أجد في كتابات بعضهن وصراحتهن البالغة التي تصل حد الإسفاف والإباحية، أي مغزى سوى الإثارة الرخيصة!...

وبأن الخوض بكتابة الأدب الرفيع، يستلزم مقدرة بلاغية فائقة، وخيالاً خصبًا، يساعد على إيصال ما نريد البوح به إلى الغير، ومن ضمنه رسالة تربية وتأديب، دون أن يؤدي ذلك إلى جرح لمشاعر الغير!

وبأن الجراءة والصراحة في تناول المواضيع الجنسية... وهي الغالبة عند الجيل الجديد من الكاتبات... منهن من تتكلم عن أشياء، لا يملكن أي تجربة أو ثقافة أو خبرة تذكر، سوى سماعها من الغير!... ومنهن من خضن تجربة فاشلة واعتبرن إياها من المسلمات!

وهذا لا يعطيهن النتيجة المطلوبة لأداء وإيصال رسالتهن إن وجدت... لأنها لا تعدو أن تكون أكثر من عرض لتجربة شخصية، تشبه في بعضها تقارير مخافر الشرطة!، أو جلسة من جلسات العلاج في عيادة للطب النفسي!

وبأن الكتابة في أي شيء وفي كل شيء سهل جدًا... إلا أن الكتابة لنقل رسالة تخدم هدفًا أو غرضًا إنسانيًا -وهو المطلوب- هو الامتحان الكبير والجدي لهن.

المؤلف في سطور

• يحيَى الصُّوفي

• أديب وكاتب صحفي وناشر، استشاري في نشر الكتب الإلكترونية (eBooks)

• من مدينة حمص في سوريا، درس وأقام في جنيف (سويسرا)، ثم قطر، حاليًا في باريس / فرنسا.

• كتب العديد من الأعمال الروائية والقصصية (منها مجموعات موجهة للطفل والناشئة)، والمسرحية والشعرية، بالإضافة للخاطرة والمقالة بأنواعها، الدراسات، أدب المراسلات والسيرة.

– نشر بعضها في صحف ومجلات عربية (ورقية وإلكترونية) عدة يصعب حصرها.

– مؤسس ورئيس تحرير موقعي القصة السورية والمحيط للأدب في جنيف ٢٠٠٤

– مؤسس ومدير محطة Yahia Soufi TV للثقافة والترفيه والإعلام، في الدوحة ٢٠١٧

• له في الرواية:

– نارين (الحب الضائع): رواية لم تنشر بعد.

– أختي توأم حياتي: رواية لليافعين لم تنشر بعد.

• قصص أطفال وناشئة:

– صندوق كرم: قصة للناشئة / نشرت بمناسبة العيد الوطني لقطر.

- عيون تطير: قصص أطفال / لم تنشر بعد.
- بائع الأحلام: قصص أطفال / لم تنشر بعد.

• له ضمن الكتب الإلكترونية المنشورة أو المعدة للنشر ورقيًا:
- مجموعته السُباعيَّةُ، والتي تشترك جميعها -سواءً من حيث الشخصيات، أو من خلال ترابط الأحداث والأماكن التي جرت فيها- بلحن واحد، وتضم الأعمال التالية:
١- وجوهٌ أربعةٌ للقاءٍ حارٍ جِدًا / قِصَص
٢- نِسائي الأُخرَياتُ: ما ملكهُ قَلبي بالحُبِ / أدَبُ السيرَةِ
٣- الوَردةُ الجوريةُ الحَمراءُ / مَسرَح
٤- حبٌّ عبرَ الأَثِير / أدَبُ المُراسَلاتِ
٥- نَسمةُ الغَربِ: مِن دَفاترِ الوَطنِ العَتيقةِ / شِعر
٦- الحُجرَةُ السِريَّةُ: مِن وَحيِ القلبِ / شِعر
٧- الخاتَمُ الرَّخيص: مِن وَحيِ الروحِ / شِعر

• في الخاطرة:
- مجموعته الرُّباعيَّةِ: التي تشترك جميعها بروح واحدة... وتضم الأعمال التالية:
١- نَزهَاتٌ فِكريَّةٌ: مِن وَحيِ القَلبِ / خَواطِر
٢- خُطواتٌ وَخُطوطٌ: مِن وَحيِ الرّوحِ / خَواطِر
٣- فُسَيفِساءُ: مِن وَحيِ الحَياةِ / أدَبُ السيرَة
٤- القَرينُ: مِن وَحيِ العَقلِ / خَواطِر فلسفيَّة

• في الدراسات:
- أدب وفن كتابة القصة: كيف أصبح كاتب قصة؟ / دراسات

• في المقالة والخاطرة السياسية:

مجموعته التُساعيَّةُ: ضمن إصدارات تسع، عن الثورة السورية، وتضم الأعمال التالية:

١- الجزء الأول: الفصل الأول / الانتِصارُ عَلى الخَوفِ
٢- الجزء الأول: الفصل الثاني / أَسَابيعُ الغَضَبِ
٣- الجزء الثاني: الفصل الأول / الجَيشُ الحُرُّ يَحمينا
٤- الجزء الثاني: الفصل الثاني / مُفاوَضاتٌ بِالقَتلِ
٥- الجزء الثالث: الفصل الأول / أنقِذوا سُوريَا
٦- الجزء الثالث: الفصل الثاني / التَّغريبَةُ السّوريَّةُ
٧- الجزء الرابع: الفصول الستة / أَعوامُ الخِذلانِ
٨- قصائد من زمن الثورة: / أَلحانُ الصُّمودِ
٩- ثورات الحرية والكرامة: / ثَوْراتُ الرَّبيعِ العَرَبِيِّ

• بالإضافة لعشرات المخطوطات، لمشاريع كتب متنوعة، في الخاطرة والتربية وعلم الاجتماع والنفس والسيرة، بعضها يدرس على طلبة الثانوية والجامعات في بعض الدول العربية.

شمس للنشر والإعلام

ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net